

سُفْرَاءُ



بِحَمْدِ اللَّهِ فَجَبَّهُ
الأهل المهدى
بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَالْأَوْهَامِ



رُكُودٌ

عَلَى آراءِ أَهْلِ أَمِينِ الْمَدِينِ
جَوْلِ سَفْرَاءِ أَهْلِ الْمَهْدِيِّ
بِحَمْدِ اللَّهِ فَجَبَّهُ



السَّيِّحُ ضِيَاءُ الدِّينِ الْخَزْرَجِيُّ

تَقْدِيمٌ وَتَحْقِيقٌ

مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ الْتَخْصِيَّةِ فِي أَهْلِ الْمَهْدِيِّ

سُفَرَاءُ
الْأَمَلِ الْمَهْدِيِّ
بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَالْأَوْهَامِ

رُكُودُ
عَلَى سُرَى أَحْمَدَافِينِ وَالْمَدَى سَنَالِجَتَا عَيْنِي
جَوْلَ سُرَى الْأَمَلِ الْمَهْدِيِّ

الشيخ ضياء الدين الخزرجي

تقديم وتحقيق



مركز الدراسات التخصصية في أهل المهدي



مركز الدراسات التخصصية للإمام المهدي

اسم الكتاب: سفراء الإمام المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام

ردود على آراء أحمد أمين والمدرسة الاجتماعية حول سفراء الإمام المهدي عليه السلام

تأليف: الشيخ ضياء الدين الخزرجي

تقديم وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

رقم الإصدار: ٢٧١

الطبعة: الأولى ١٤٤٣هـ

عدد النسخ: طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز:

كانت الفترة الزمنية الواقعة بين (٢٦٠ - ٣٢٩هـ) - وهي الفترة المعروفة بالغيبة الصغرى - أصعب وأخطر مرحلة من مراحل حياة المجتمع الشيعي، وبالتحديد بعد رحيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام ليختبر الشيعة آنذاك واقعاً جديداً لم يعهدوه من ذي قبل، تمثل بفقدانهم الحضور الظاهر للإمام المعصوم وعدم إمكانية التواصل المباشر معه، ليُشكّل هذا الواقع الجديد التحدي الأكبر والأبرز في تاريخهم على الإطلاق، فعلى كثرة المحن والابتلاءات التي رافقتهم في الفترات السابقة ومع ذلك كان لوجود شخص المعصوم بين ظهرانيهم قيمة معنوية كبيرة تمدّهم بالصبر والتحمّل والرابطة على عقيدة الولاء والإيمان بالعترة الطاهرة.

بطبيعة الحال كان لهذا الواقع الجديد مع ما يحمله من انعطافة حرجة وحساسة إشكالاته العلمية والعملية خصوصاً في أوساط بعض المجتمعات الشيعية نتيجة التفاوت في الوعي والمعرفة أو القصور في إدراك المنطق السنتي الحاكم في مجرى الأحداث الكونية، فبرزت حينها ما تمّ التعبير عنه بظاهرة الحيرة، والتي تحكي حالة الاضطراب والقلق وعدم الوضوح في مآلات الأمور ونتائجها.

ولا يخفى على المطالع لتلك الحقبة بإمعان أن يستوعب القيمة العظمى

٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

للتراث الروائي للأئمة السابقين عليهم السلام والذي استشرّف وتنبأ بهذا الواقع الجديد قبل حصوله بعشرات السنين، والذي من دونه حتماً كان الضياع والتهيه هو العنوان الواضح لمجمل الواقع الإيماني والرسالي الذي كان يزيد حلكة وقاتمة التوتّر الناشئ من الضغط السياسي والإبادة القاسية التي بلغت ذروتها قبل أكثر من عقد من الزمان، كما في عهد المتوكّل ثم استمرارها بدرجات متفاوتة إلى أواخر مرحلة الغيبة الصغرى.

من هنا احتاجت هذه المرحلة الاستثنائية إلى معالجات استثنائية تتواكب معها وتضع لها الحلول لتذليل البلوى وتخفيف صدمة الغيبة ومنع الطفرة في حصولها، فكانت الآلية التي اعتمدها الإمام المهدي ﷺ أن مهّد لغيبته الطويلة بما عُرف بالغيبة الصغرى والتي يتخلّلها التواصل مع شيعته وأنصاره بواسطة سفرائه الأربعة ﷺ، ليكونوا السبيل بينه وبينهم، والباب الذي يُؤتى منه إليه ويتحقّق به التواصل معه، وهو كما لا يخفى لم يكن خياراً اعتباطياً أو عبثياً أو قابلاً للأخذ أو الترك، بل هو ما كان يقتضيه الموقف الحكيم الذي كان لا بدّ أن يحصل وفقاً لمنطق الأمور وطبيعة متطلّباته، سيّما إذا ما أخذنا مجمل الأسباب والظروف التي كانت قائمة آنذاك، وهو على كلّ حال ما ينسجم مع طبيعة الشعور العميق بالارتباط الذي يحمله الإمام ﷺ تجاه الموالين من شيعته ومحبيّه، عناية منه لهدايتهم وحيطة لهم من الوقوع في شرك الفتن والضلال، متحملاً في سبيل ذلك كلّ المخاطر والصعوبات التي يمكن أن تنشأ عن أيّ اختراق تشده السلطات الحاكمة آنذاك، والتي ما فتأت على طول خطّها التاريخي في ترصد الإمام ﷺ ومحاولة القضاء عليه، وهو ذات المعنى الذي حكاه لنا أحد التوقيعات الشريفة الصادرة من الناحية المقدّسة، والذي جاء فيه: «وَلَوْ لَا مَا عِنْدَنَا مِنْ مَحَبَّةٍ صَلاَحِكُمْ وَرَحْمَتِكُمْ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْكُمْ، لَكُنَّا عَنْ مُحَاطَبَتِكُمْ فِي

مقدمة المركز..... ٥

شُغِلَ فِيهَا قَدْ اُمْتُحِنًا بِهِ مِنْ مُنَازَعَةِ الظَّالِمِ العُتْلُ الضَّالِّ المَتَّبِعِ فِي غِيَّهِ، المُضَادِّ لِربِّهِ، الدَّاعِي مَا لَيْسَ لَهُ، الجَّاحِدِ حَقَّ مَنْ افْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ»^(١).

ومن هنا كانت سفارة هؤلاء السفراء عليهم السلام كنيابة عن الإمام المفترض الطاعة وأداء رسالته وتعاليمه، الوسيلة التي لا مناص عنها، وهي بعد كل ذلك ظاهرة إيجابية في أبعادها التخطيطية والتنفيذية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تلك الشخصيات التي تسنمت هذا المنصب وذلك الموقع توفرت على كل المؤهلات القيادية والتدبيرية علماً وورعاً وأمانةً وحُسن تأتُّ في الأمور، متقيدين إلى أبعد الدرجات بأوامر الإمام عليه السلام وتعاليمه دون إضافة أو نقصان، وهذا ما نلمسه بجلاء في جواب السفير الثالث لمحمد بن إبراهيم بعد أن احتمل أن يكون بعض جوابه اجتهاداً منه أو تحليلاً خاصاً به، فقال له: يَا مُحَمَّدَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ، لَئِنْ أَخَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَنِي الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِي الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ فِي دِينِ اللَّهِ عَلَيْكَ بِرَأْيِي وَمِنْ عِنْدِ نَفْسِي، بَلْ ذَلِكَ عَنِ الْأَصْلِ، وَمَسْمُوعٌ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

ومن هنا يمكن أن نرصد بوضوح المقوم الأهم في شخصية السفير، والمعيار الأبرز في اختيارهم كشرطٍ عامٍّ وصفةٍ مشتركةٍ لا بدَّ من توفُّرها في شخوص هؤلاء السفراء، ضرورة أنَّهم لم يكونوا يُمثِّلون البديل عن مقام الإمامة كما ادَّعاه بعض الكتَّاب المخالفين^(٣)، وإنما هي وظيفة بيانية وإدارية لا تتجاوز الوساطة المحضة في ممارسة الإمام عليه السلام لدوره بعد أن منعت الظروف الاستثنائية التي فرضت غيابه واحتجابه عن شيعته ومواليه، وعليه فقد كانت المهام الملقاة

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٨٦ / ح ٢٤٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٢١ و ٣٢٢ / ح ٢٦٩).

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (ج ٢ / ص ٨٣٤).

٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

على عاتقهم مرسومة بعناية فائقة ومحددة سلفاً لهم، وهو ذات المعنى الذي فهمه الشيعة آنذاك، وجرت لأجله علة رجوعهم وانقيادهم لهؤلاء السفراء.

فقد روى الصدوق رحمته الله عن ابن سنان الموصلي قوله: وَأَمَرْنَا الْقَائِمُ عليه السلام أَنْ لَا نَحْمِلُ إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى بَعْدَهَا شَيْئاً مِنْ مَالٍ، فَإِنَّهُ يَنْصِبُ لَنَا بَعْدَادَ رَجُلًا يَحْمِلُ إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ، وَيَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ التَّوَقِّعَاتُ^(١).

وبذلك يكون واضحاً لدينا أن الإمام المهدي رحمته الله لم يكن بمنأى عن سفرائه الأربعة، ولا بمعزل عما يجري في الواقع من أحداث، بل كان قريباً منهم وعلى اتصال كامل معهم، يُوجههم في أفعالهم، وينهج لهم الخط الذي يتحركون في امتداده، ليكون كل واحدٍ منهم مصداقاً حقيقياً لواقع سابق بيّنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حقّ السفيرين الأول والثاني رحمتهما الله فيما مضى، حيث قال: «الْعَمْرِيُّ وَابْنُهُ ثِقَتَانِ، فَمَا أَدْيَا إِلَيْكَ فَعَنِّي يُؤَدِّيَانِ، وَمَا قَالَا فَعَنِّي يَقُولَانِ، فَاسْمَعْ هُمَا وَأَطِعْهُمَا، فَإِنَّهُمَا الثَّقَتَانِ الْمَأْمُونَانِ»^(٢).

ولا يخفى ما يعطيه هذا الخبر من قيمة عليا لهؤلاء السفراء تتجاوز التوثيق المتعارف عند الناس، والذي قد يحمل في طياته إمكانية الخطأ أو الاشتباه، ونحن هنا لا نريد أن ندعي العصمة الواجبة لهم، فهذه مرتبة وموهبة تختص بأهلها، ولكن يبقى لهذا التأكيد المطلق من قبل الإمام العسكري عليه السلام مؤشراً يحكي عن فرادة خاصة تميّز بها هؤلاء الأربعة عن أقرانهم ونظائرهم من أولياء أهل البيت عليهم السلام، وهو الأمر الذي أدّى لوقوع الاختيار عليهم دون سواهم من أصحاب الكفاءات العلمية المتميزة ورجالات الشيعة وهم كثر في تلك المرحلة،

(١) كمال الدين (ص ٤٧٨ / باب ٤٣ / ح ٢٦).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٣٣٠ / باب في تسمية من رآه عليه السلام / ح ١)، الغيبة للطوسي (ص ٢٤٣ و ٣٦٠ / ح ٢٠٩ و ٣٢٢).

لما يملكه هؤلاء النوّاب من قدرات كبيرة سواء على المستوى الروحي والنفسي أو السلوكي والعملي، ولذلك كانوا محلاً وأهلاً لمقام مجرى الكرامات والإخبارات الغيبية التي تُثبت وثافتهم وصدقيتهم بما لا يدع مجالاً للشكّ فيهم أو التوهين منهم، وهو الأمر الذي جعل الشيعة والمجتمع الموالي لا يتردّد في الرجوع إليهم والامثال لهم، يقول الشيخ الطبرسي رحمته الله في كتابه (الاحتجاج): ولم تقبل الشيعة قولهم [أي السفراء الأربعة] إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام، تدلُّ على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم^(١).

وهذا النصُّ الصادر من العلامة الطبرسي رحمته الله على وجازته يُؤكّد لنا نقطتين جوهريتين ينبغي الالتفات إليهما بعناية:

الأول منهما: يحكي لنا عن خطورة هذا المنصب، وأهميته في الواقع الإسلامي، ومدى تأثيره لارتباطه بالتأدية عن المعصوم والتبليغ عنه، والذي لأجله اقتضت حكمة السماء وتدبيرها المتقن عدم القبول بصيرورة هذا الموقع محلاً للمدّعين وأصحاب الأهواء من المغرضين، ولترسم لنا بذلك منهجاً عملياً وتربوياً في التعاطي مع أصحاب هذه الدعوات ينبغي عدم التنازل عنه بأيّ حال من الأحوال في كلّ من يزعم الارتباط الخاصّ بقناة الغيب أو التشريع إلا بعد الإتيان بالمعجزة والأمر الخارق الذي يُؤكّد حقيقة هذا الارتباط وهذه الصلة.

وأما الأمر الثاني: فهو يحكي لنا عن حالة الوعي واليقظة التي يتميَّز بها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعدم الانقياد لكلّ من هبّ ودبّ، وهذه خصوصية لا نبالغ إذا قلنا: إنّ المجتمع الشيعي قد تميَّز بها دون غيره من المجتمعات الدنيّة، فكان لها أكبر الأثر في حفظ هذا المذهب وأهله عن

(١) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٦ و ٢٩٧).

٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الاختراق والتسلُّل من قِبَل الآخرين، فحافظ بذلك على استقامته وتماسكه على امتداده الزمني، ولذلك نجد أنَّ الدعوات الباطلة والتيارات المنحرفة سرعان ما تتساقط وينكشف زيفها في باكورة حركتها ونشاطها، مع أنَّ التاريخ سجَّل لنا في ماضيه، بل وحتى في هذا الحاضر وجود عشرات الدجالين، بل والمئات منهم وهم يحاولون التعكُّز على هذه العقيدة استغلالاً وانتهازاً بغية الوصول إلى مآربهم الخبيثة وأهدافهم الفاسدة، وهو الأمر الذي دفع الشيخ الطوسي رحمته الله وهو من علماء القرن الثالث الهجري أن يعقد فصلاً كاملاً في كتابه (الغيبة) عنونه بـ (ذكر المذمومين الذين ادَّعوا البايَّة والسفارة)، وتكلَّم عن بعض تلك الشخصيات وتلك الفرق.

على أنَّ هذه الظاهرة من التدجيل والتزييف على كثرتها لا يمكن أن تُشكَّل مطعناً في العقيدة المهدوية أو نقطة ضعف في ثبوتها أو إثباتها كما يحاول البعض التشويش عليها بذلك، بل هي أدلُّ على رسوخها وتجذُّرها في الوجدان الإسلامي بشكل عامٍّ والشيعي بشكل خاصٍّ، لما يُوفِّره هذا الثابت الديني من مقوِّمات الإثارة والتفاعل عند غالبية المسلمين، فيحاول بعض ضعاف النفوس استغلال وتكريس هذه العقيدة الحقَّة بأنَّحاء أغراضهم الرديئة والسيئة.

ومن هنا كان الحديث عن هذه الفترة الزمانية والبحث في مفهوم السفارة عن الإمام المهدي رحمته الله وحياة السفراء وتفصيلاتها التاريخية في المذهب الشيعي ليس أمراً ترفيلاً أو ثانوياً، بل له أهميَّته ومكانته الذي ينبغي أن تُعطى له القيمة العلميَّة والبحثيَّة تبعاً للشأن الذي ترتبط به، وعلى الرغم من صدور الكثير من المدوَّات الحديثيَّة والكتابات والدراسات التي تناولت هذا الموضوع سواء بشكل مستقل أو بالتبع، إلا أنَّ هذه القضية ما زالت تحتزن الكثير من الدلالات والمعطيات التي هي بحاجة إلى مزيد من المتابعة والتقصي.

مقدّمة المركز ٩

ولأجل ذلك وجد مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عليه السلام مشروعاً الفكري والعلمي، معنياً بنشر هذا الكتاب القيم وتقديمه للقارئ الكريم، والذي أجاد مؤلّفه كلّ الإجابة في تناول هذا الموضوع ومعالجته لمجمل القضايا والموضوعات المرتبطة بموضوع السفارة والسفراء الأربعة عليهم السلام، والذي قدّم فيه إفادات ضافية وفوائد قيّمة ترشد طالب الحقّ وتعين الباحث المختصّ، فله منّا كلّ الشكر والثناء، داعين الباري تعالى أن يكون جهده المتميّز بعين رعايته وتوفيقه، ومحلاً لرضا وسرور صاحب العصر والزمان عليه السلام.

مركز الدراسات التخصّصية

في الإمام المهدي عليه السلام

تقريظ الأستاذ العلامة جعفر السبحاني

اتَّفَق المسلمون قاطبةً - إلا من شدَّ منهم - على أنه يقوم في برهة من الزمن قائد يعمل على إصلاح المجتمع الإنساني قاطبةً، وينشر راية العدل في رُبوع الأرض بعد ما مُلئت بالجور والطغيان.

وهذا القائد المثالي العظيم من سلالة النبي الأكرم ﷺ، وقد جاء نبأه وثورته العارمة على الفساد في الكُتُب السماوية، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).
ومن حسن الحظ أن زبور داود ﷺ الموجود في العهد العتيق يحتوي على مضمون هذه الآية بصراحة^(١).

هذا ما اتَّفَق عليه المسلمون وأهل الكتاب جميعاً، غير أن هنا نكتة لا محيص من إلفات نظر القارئ إليها، وهي:

أنَّ الإمام وإن كان يخرج بالقوَّة، ويواجه الفساد بمنطق الشدَّة والعُنْف، ولكنَّها ليست العماد الوحيد لثورته وسلطته، بل هناك عماد آخر وهو بلوغ الإنسان عبر القرون إلى ذروة الكمال من حيث الصناعات والعلوم، وتقدُّمه في معترك الفنون والثقافة إلى حدِّ يؤمن إيماناً كاملاً بأنَّ الظروف الحاضرة لا تستطيع أن تُلبِّي حاجاته وتُعطي له حياة طيِّبة، وأنَّ المنظَّات البشريَّة مع دويها وعناوينها الفخمة لا تُسعده أو تُنقذه من محتته ومشكلته، ولأجل ذلك ظلَّ يتربَّص بصيصاً من الأمل حتَّى تُمدَّه عناية غيبية في إصلاح المجتمع وإسعاده.

(١) الكتاب المقدَّس (العهد القديم) (ص ٨٥٨): (لأنَّ المباركين منه يرثون الأرض، والمعونين منه يقطعون).

١٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ولأجل هذا الأمل والتفتح العقلي لقبول الدعوة الغيبية، فإنه إذا ظهر القائد - الذي وعد الله به الأمم - لبَّاه كثير من الناس بالإيمان والبيعة والتضحية والفداء بلا شك وتردُّد، ويستقبلونه بصدور رحبية.

إنَّ هذا التهيؤ النابع من صميم الإنسان، هو الذي يُسهِّل لقائد الإصلاح أن يصل إلى الغاية التي أُمِرَ بتحقيقها بسرعة. وإلى ذلك العامل المؤثر يشير الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُءُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُوبَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ»^(١).

إنَّ الشيعة قاطبةً وكثيراً من أهل السنة يرون أنَّ ذلك القائد هو الإمام الثاني عشر، ومن ذرية الحسين عليه السلام، ونجل الإمام الحسن بن عليٍّ العسكري عليه السلام، وقد وُلِدَ عام (٢٥٥هـ)، وظلَّ في أحضان والده خمس سنين حتَّى تُوفِّيَ الإمام العسكري عليه السلام، فتعلَّقت مشيئة الله تعالى بغيبته عن أعين الناس لا عن بيئاتهم، بل يحیی حياة إنسانية كاملة من غير أن يعرفوه إلى أن يأذن له الله تبارك وتعالى بالظهور.

والناظر في حياة الأمم يقف على أنَّ ذلك ليس بأمر بديع، وبلا مثال متقدِّم، فقد كانت بين الأمم غيبة للأنبياء والأولياء حتَّى إنَّه سبحانه يأتي بأنموذج واضح من ذلك في سورة الكهف، ويُعرِّف إنساناً كان ولياً راشداً من أوليائه عائشاً بين الناس، حالَّ لعقدهم إلى حدٍّ، لم يكن الناس يعرفونه حتَّى النبيُّ موسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

غاب الإمام الثاني عشر على إثر ضغط الحكومة العباسية المصممة على قتله بسبب اطلاعهم على ما شاع بين الناس على أنَّ المهدي المصلح نجل الإمام

(١) الكافي (ج ١ / ص ٢٥ / كتاب العقل والجهل / ح ٢١).

تقريظ الأستاذ العلامة جعفر السبحاني ١٣

العسكري، وهو الذي يُقَوِّضُ عروش الجبابة والطواغيت، فلاجل ذلك لمّا انتشر نبأ وفاة أبيه توالى حملات التفتيش على بيت الإمام العسكري عليه السلام لكي يعثروا على الوارث الوحيد لإمامته، ولكنهم رجعوا خائبين، فقد حالت مشيئة الله تعالى بينهم وبين ما وعد الله به الأمم في كُتُب السابقين واللاحقين، فحفظه وصانه عن كيدهم.

ما عشت أراك الدهر عجباً:

إنّ هناك من ينقض ويرم في أحاديث الإمام المهدي عليه السلام وبالأخصّ فيما يرجع إلى ميلاده وحياته وسفرائه، وهو ليس في حلّ ولا مُرتحل ممّا يرجع إلى علم الحديث وأصوله وأحكامه وأقسامه، فيا ليت شعري ماذا جرى على عالم الحديث حتّى أخذ الصبيان في الكتابيح يجلّون ويعقدون في أمره دون أن يدرسوا عند عالم أو يتفقّوها عند محقّق.

إذا ما فصلت علياً قريش فلا في العير أنت ولا النفير^(١)
إلى الله المشتكى من أقلام مأجورة، لا تهدف إلا إلى تكدير الصفو، وتغطية الوقائع المسلمة وإنكار الأحداث الواضحة، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل: ١٤)، فسيعلمون ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (طه: ١٣٥).

نعم إنّ هذا النوع من الخصوم اللدّيّ تقدّم لنا أكبر هديّة، وهي استقطاب نظر المحقّقين إلى الفحص عن الروايات الواردة حول المهدي بشتّى عناوينه، فيخرجوا عن الدراسة أكثر صلابةً، وأكبر رصيдаً، مرفوعي الرأس عند أصحاب التحقيق، وحماة الحقائق.

(١) البيت للبحري، راجع: الأغاني (ج ١٠ / ص ٣٨٤)، وشرح مقامات الحريري (ج ٣ / ص ٤٣٥)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٣ / ص ١٢٢).

١٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

غاب الإمام الثاني عشر عن أعين الناس ولكن لم تنقطع صلته بهم، وكان بينه وبين شيعته صلة قديمة عن طريق سفرائه طيلة سبعين سنة (٢٦٠ - ٣٢٩هـ)، وكان سفراؤه هم الذين يتصلون بالإمام ﷺ، ويبلغونه رسائل شيعته وحوادثهم، فيجيبهم الإمام ﷺ عن طريقهم، ويرشدهم على القدر المستطاع، وهؤلاء سفراؤه هم أكارم جيله، وأصفياء عصره، قد حمل كل واحدٍ منهم على عاتقه رسالة إرشاد الناس ورفع حوائجهم، ومجابهة الدعايات الضالّة حسب ما هو مذكور في التاريخ، وستقرأ شيئاً من خدماتهم الجليلة في صيانة التشيع من الزيغ، هم:

١ - عثمان بن سعيد العمري، وكانت سفارته ما بين (٢٦٠ - ٢٦٥هـ).

٢ - محمد بن عثمان العمري، وكانت سفارته ما بين (٢٦٥ - ٣٠٥هـ).

٣ - الحسين بن روح النوبختي، وكانت سفارته بين (٣٠٥ - ٣٢٦هـ).

٤ - علي بن محمد السمری، وكانت سفارته بين (٣٢٦ - ٣٢٩هـ).

لقد هيأت الغيبة الصغرى أرضية صالحة لإيمان الناس بالغيبة الكبرى التي انقطعت فيها الصلة بين الإمام ﷺ والناس، ولولا الغيبة الأولى لكان تحمّل الغيبة الثانية أمراً شديداً على المجتمع، إلا أن الله تعالى بلطفه جعل الغيبة الصغرى طريقاً للغيبة الكبرى، وسبباً لمزيد الإيمان بها.

وهذا الكتاب الذي يُزفُّ إلى الطبع أثر جميل يبحث عن حياة السفراء الأربعة للإمام المهدي ﷺ، ويُميّز ما هو الواقع عمّا أُلصق بها من الأساطير، وقد أفاض الكلام في مقدّمة الكتاب حول فكرة الإمام المهدي ﷺ، ونقد ما افتراه بعض الكتّاب في ذلك الطريق، واكتسح الأشواك المطروحة في هذا المقام.

وقد قضيتُ فترة من الوقت في مطالعة هذا الكتاب، فوجدته ثمرة ناضجة، وتاريخاً تحليلياً مقروناً بالدليل والبرهان، فأخذ المؤلف من ضميري ومن جوانحي مأخذاً مهماً، ألا وهو الشيخ الجليل والكاتب القدير ضياء الدين

تقريظ الأستاذ العلامة جعفر السبحاني ١٥

الخزرجي (حفظه الله تعالى ورعاه)، فقد خدم الإمام المهدي عليه السلام وسفراءه والمجتمع الإسلامي بهذا الكتاب في العصر الذي صارت الفكرة غرضاً لنبال مرشوقة من جانب الأعداء، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

الإمام المهدي عليه السلام هو شمس الحياة الطالعة التي لا يمكن أن تُستَرَّ بالأوهام والافتراءات، ولا بالدعايات الفارغة ولا بالتحليلات الخاطئة، ولا تجد موضوعاً كهذا الموضوع - موضوع المهدي عليه السلام - تواترت فيه الروايات، وألقت فيه كُتُبٌ وموسوعات منذ بدء حياته إلى يومنا هذا.

نعم تغمرني من الأحاسيس ما تراه متجلية في الآيات التالية، وهي باقة زهور عطرة أقدّمها إلى القراء جادت بها قريحة بعض المخلصين المجاهرين بولاء أئمة أهل البيت عليهم السلام.

لئن غبت عنا هيكلاً متجسداً فما غاب منك الروح يشرق والفكر إلى أن قال:

ألتاع بالأشواق جهراً وخفيةً وأنت الذي عني تصدّ وتزورُ
أما أن أن أفاك يا حبُّ ساعةً فقد ملّني حتى التجلّد والصبرُ
أسير غرام لَجّ في قلبي الهوى طويلاً وهل إلا الهوى للهوى أجرُ
لكلّ أسيرٍ مدّة ثم تنقضي ولكن من يهوى يدوم له الأسرُ^(١)

قم/ مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام

غرّة ذي الحجّة الحرام من شهور عام (١٤١٦هـ)

جعفر السبحاني

(١) للعلامة المحقّق والشاعر المفلح محمود البغدادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تُعتبر فكرة الإمام المهدي عليه السلام من القضايا الضرورية في الفكر الإسلامي، وقد أَلَّفَ الفريقان كُتُباً عديدة في الإمام المهدي عليه السلام، وحكموا بتواتر الأحاديث الواردة بشأنه.

قال القنوجي: إنه لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابل النصوص المستفيضة المشهورة البالغة حدّ التواتر^(١).

وقال ابن خلدون: اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت عليه السلام يؤيّد هذا الدين^(٢).

لكن هناك نوع من الانحراف عن هذا المنهج الصحيح الثابت في البحث التاريخي والعقائدي حول فكرة الإمام المهدي عليه السلام وما يتعلّق به من بعض الكُتّاب المعاصرين أمثال: أحمد أمين المصري، والدكتور عليّ سامي النشار، ومحمود صبحي، والنشاشيبي، وجماعة أُخرى من المستشرقين أمثال: فان فلوتن، ورونلدسن، وغيرهما، حيث أصدر هؤلاء أحكاماً متسرّعة في مثل هذه القضية الفكرية العالمية، ممّا يجدر بالباحث التوقّف والاستغراب في آرائهم غير المدروسة.

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (ص ١٨٣).

(٢) تاريخ ابن خلدون (ج ١ / ص ٣١١).

١٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ونستعرض هنا بعض الشُّبُهَات المطروحة من قِبَل بعض المدارس الاجتماعية حول هذه الفكرة، ملتزمين بقواعد البحث المنطقي والعلمي فيها، لنضمن عدم انحرافها عن المسار الصحيح، وذلك من خلال الموضوعية، وتحديد المسلمات الفكرية التي تؤمن بها الأطراف المتخاصمة، مع مراعاة التناسب المنطقي بين المقدّسات والأدلة والتنتاج.

ونشير قبل كل شيء إلى ظاهرة مشتركة في تطابق الآراء بين المدارس الاجتماعية والغربية معاً، فمثلاً يرى الكاتب المصري أحمد أمين أن حديث الإمام المهدي ﷺ هو حديث خرافة^(١)، وأسطورة أفسدت عقولاً ساذجة، واعتبارها هدّامة في التاريخ الإسلامي^(٢).

واعتقد فان فلوتن أن فكرة الإمام المهدي ﷺ مجهولة، لا يُعرَف من وضعها ومتى وضعها^(٣).

ويتفق أحمد محمود صبحي وفان فلوتن في القول بأن نشوء هذه الفكرة يعود إلى الظروف السياسية^(٤).

(١) ضحى الإسلام: (ج ٣ / ص ٢٤٣).

قال الشيخ العباد في محاضراته: إن بعض الكُتّاب في هذا العصر أقدم على الطعن في الأحاديث المروية في المهدي ﷺ بغير علم، بل بجهل أو بتقليد لأحد لم يكن من أهل العناية بالحديث، وقد اطّلت على تعليق لعبد الرحمن محمد بن عثمان على كتاب (تحفة الأحوذى) قال: يرى الكثيرون من العلماء أن كل ما ورد من أحاديث عن المهدي ﷺ إنّما هي موضع شك، وأنها لا تصح عن رسول الله ﷺ. بل تجرأ بعضهم كمحمي الدين عبد الحميد في تعليقه على (الحاوي للفتاوي) في آخر جزء من (العرف الوردى) فقال: إن أحاديث المهدي من الإسرائليات...

راجع: العرف الوردى (ص ٢٨)، والإمام المهدي ﷺ عند أهل السنة (ج ٢ / ص ٣٩٩).

(٢) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٤٦).

(٣) التشيع والشيعة (ص ٣٥).

(٤) نظرية الإمامة (ص ٤٠٥).

وفي نظر أحمد أمين أنّها نبعت من الشيعة، وأنّهم هم البادئون باختراعها^(١). ثمّ قال ساخرًا: لقد استغلّ القادة المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمّسة للدّين والدعوة الإسلاميّة، فأتوهم من هذه الناحية الطيّبة الطاهرة، ووضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأحكموا أسانيدها وأذاعوها من طُرُق مختلفة، فصدّقتها الجمهور الطيّب ببساطة...، وكان لذلك أثر سيّئ في تضليل عقول الناس^(٢).

ثمّ أكمل حديثه قائلاً: ووُضِعَت في المهدي الأحاديث المختلفة، ولم يرو البخاري ومسلم شيئاً عن أحاديث المهدي، وهذا ممّا يدلُّ على عدم صحّتها عندهما، وإنّما ذكرها الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم^(٣).

ثمّ ناقش هذه العقيدة قائلاً: والمفكر يعجب لأمرين:

أحدهما: تولية الإمامة لطفل في الرابعة أو الخامسة من عمره مع أنّ الإمامة منصب عظيم يشرف على أمور المسلمين، فلا بدّ له من رجل ناضج على تحمّل المسؤوليّة، عارف بأمر الدّين والمشاكل الدنيويّة، والطفل الصغير لا يستطيع ذلك مهما أوتي من النبوغ...، وهي نظريّة تحتاج إلى مناقشة...

والأمر الثاني: دعوى الشيعة في هذا الطفل أنّه خفيّ لا يظهر، وإنّما يظهر عند حاجة الزمان إليه، وقد جرّهم ذلك إلى القول بطول عمر الإمام الغائب، مع أنّ سنّة الله في خلقه تحديد أعمار الإنسان وقد جرى ذلك على الأنبياء أنفسهم...، فلم يُعمّر أحد أبداً^(٤).

(١) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٤١).

(٢) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٤٣).

(٣) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٣٧).

(٤) ظهر الإسلام (ج ٤ / ص ١١٧ و ١١٨).

٢٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وهذا هو نفس ما توصل إليه الدكتور محمود صبحي قائلاً: لا شك في أنّ حياة المهدي أكثر من ألف عام موضع الارتياب، وكفيل أن يهدم العقيدة من أساسها^(١)، وهي لا تتفق وسنة الله في خلقه، ولا تتفق مع العقل الصحيح^(٢). ثم ختم أحمد أمين بحثه قائلاً: إنّ دعوى الطفل هذه من صنع الوكلاء طمعاً في المال الذي يُجبي من سائر الأقطار الإسلامية لأئمة الشيعة^(٣).

إننا ومن خلال مراعاتنا للموضوعية في البحث ناقش هذه الافتراءات والدعايات الفارغة لتلك المدرسة، وتناول بالنقد والتحليل تلك الشبهات حول فكرة الإمام المهدي ﷺ، ونؤكد قبل كل شيء إلى حقيقة هامة، وهي: أنّ قادة تلك المدرسة الاجتماعية والغربية لا يتعدى كونهم باحثين اجتماعيين، لا تكاد تصل نتائج بحوثهم إلى المستوى العلمي المطلوب، لعدم إحاطتهم بالأدلة والأسلوب المنطقي الصحيح، الذي سار عليه المسلمون قديماً انطلاقاً من مبادئهم العقائدية، فهم يفقدون إذن شرط توفر مقومات النقاش في المسائل الجوهرية، لأنهم غفلوا أو تغافلوا في مجال إقامة الدليل عن الأحاديث المتواترة، وعن الاستناد وعنصر الإلزام العقائدي فيها، فلم يقيموا لها وزناً، واعترضوا بأدلة ناقصة تؤيد مقالتهم وتركوا ما تعارف منها، ولا أدري كيف منح الأهواني سمة البعد عن الدجماطيقية لأحمد أمين المصري^(٤)، مع جزمه بالرأي قبل البحث والتنقيب، وإلا فكيف سمح لنفسه بأن يعتقد خرافة الإمام المهدي ﷺ مع هذا التواتر الروائي بشأنه بحيث لم ترد كل تلك النصوص في حق نبي من الأنبياء

(١) نظرية الإمامة (ص ٤٢٠).

(٢) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٤٥).

(٣) ظهر الإسلام (ج ٤ / ص ١١٨).

(٤) راجع: مقدّمة الجزء الرابع من ظهر الإسلام للأهواني (ص ١١).

عدا رسول الله ﷺ، كالتي وردت في حقّه ﷺ، والتي يُعدُّ إنكارها جرأة عظيمة؟! أفلا يسع هذا الكاتب وأمثاله ما وسع الناس على ممرِّ الأعصار والأزمة؟! والذي يُعدُّ منهم شذوذ بعد معرفة أن الكافة على خلافهم؟! وهل اتفق هؤلاء كلُّهم على الخطأ؟! وكيف لم تُميِّز تلك الأحاديث التي وضعها الشيعة - كما ادَّعى أحمد أمين - دون غيرهم؟! وأيُّ مؤامرة تلك التي ادَّعاها هذا الكاتب؟ وقد تلاقفت هذه الفكرة معظم أقلام الباحثين وأهل السِّير بالنقد والتمحيص، حتَّى أصبحت لديهم من المسلّمات الفكرية، وقبلتها من دون شكٍّ وترديد، وقد صرَّح بنفسه أنّها مروية في صحيح الترمذي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم^(١).

وكيف لم يرَ تلك الأحاديث في صحيح البخاري ومسلم، قال ابن طائوس رحمته الله نقلاً عن (الكشف المخفي في مناقب الإمام المهدي): دُكِرَ الإمام المهدي في الصحاح الستة، وهي: صحيح البخاري ومسلم...، فمنها من صحيح البخاري ثلاثة أحاديث، ومنها من صحيح مسلم أحد عشر حديثاً^(٢).

وقال ابن حجر في (صواعقه المحرقة): ومما وردت في الأحاديث في حقِّ المهدي رحمته الله ما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي^(٣).

ثمّ ألا يكون ما ذكره هذا الكاتب الاجتماعي من ذكره الصحاح كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم وهم أقرب عصرًا من غيبته كافيًا للوصول إلى

(١) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٣٧).

(٢) الطرائف (ص ١٧٩)؛ وراجع: صحيح البخاري (ج ٥ / ص ٤٠١ / ح ٣٠٨٧)، وصحيح مسلم (ج ١ / ص ٩٤).

(٣) الصواعق المحرقة (ص ١٦٣).

٢٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الإسلام؟! ولماذا كلُّ هذه السخرية بأفكار الجمهور^(١)؟! ثم هل كان هذا الأمر - الاعتقاد بالمهدي ﷺ - اجتهادياً، فتعالج هذه القضية بمقاييس أهل غير الاختصاص؟! أفلا يرى هذا الكاتب وأمثاله بأن الاعتقاد به ﷺ هو أمر غيبي لا يسوغ لأحد إثباته إلا بالدليل من الكتاب أو السنة، وأن الدليل معهم وهم أهل الاختصاص^(٢)؟! ولماذا يسمح المسلمون أن يتركوا قضاياهم تحت رحمة هذا الفكر المطعم بشبهات الغرب والمستمد مبادئه من أسس تتغير جوهرياً مع الأسس الإسلامية؟!!

لقد ادّعت تلك المدارس الاجتماعية أن فكرة الإمام المهدي ﷺ هي فكرة هدامة للتاريخ الإسلامي، ومفسدة للعقول، وأنها نبتت من الشيعة... إلخ، مع ما يكون لعنصر الانتظار من أهمية خاصة في الإسلام، لكونه من الدوافع التي يمكن أن يتحلَّى بها المسلم لتهيئة الأرضية، فيستغلها في صالح هدفه المنتظر.

(١) روى أحاديث المهدي ﷺ معظم الصحابة، وقد تجاوز عددهم حدَّ التواتر، منهم: ابن عباس، وابن مسعود، وأبو هريرة، وابن عمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، والحدري، وابن البيان، وأنس بن مالك، وغيرهم.

وألف أهل السنة أكثر من أربعين كتاباً فيه ﷺ، منهم: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وابن أبي شيبة، وأبو نعيم، والطبراني، والدارقطني، والبارودي، والبرزنجي، والخطيب، وابن عساكر، وابن منده، والحري، وتمام الرازي، وابن جرير، وغيرهم.

وألف كتباً مفصلة جماعة كثيرون، منهم: أبو بكر بن خيثمة، والحافظ أبو نعيم، والسيوطي، وابن كثير، وابن حجر المكي، وعليّ المتقي الهندي، ومرعي بن يوسف الحنبلي، والشوكاني، والصنعاني.

وحكم بتواتر أحاديثه الكثيرون، منهم: الحافظ السجزي، وابن القيم، ومحمد البرزنجي، ومحمد رضا السفاريني، والقاضي الشوكاني، والقنوجي، والكنجي الشافعي، وغيرهم.

(٢) راجع: مجلة الجامعة الإسلامية، وقد ذكرت محاضرة الشيخ محسن العباد إمام ومحاضر في جامع المدينة المنورة، وحضرها ابن باز وعلّق عليها وثبتت من الإذاعة.

إنَّ الإيمانَ بمخلَّصٍ منتظرٍ هو مظهرٌ من مظاهر الشيوعية^(١) ما دام لهذا المخلَّص صفته الدِّينية والسياسية معاً كما اعترف بذلك أحمد أمين^(٢). ونحن نرفض رفضاً باتاً أن تختصَّ هذه الفكرة بالشيعة وحدهم، وقد ذكرنا رواية الصحابة وكُتِب السِّير والتراجم.

وقد حاول جولد تسيهر أن يربط بينها وبين عقيدة الشيعة قائلاً: إنَّ الفكرة المهدوية إنما جاءت انسجاماً مع معتقداتهم، فإنَّ الإسلام في ثورته الشيعة هو وحده البيئة الملائمة التي يجب أن تنمو بها بذور الأمانى المهدوية^(٣).

ولقد بالغ الكاتب المصري أحمد أمين وغيره في بيان العنصر الاجتماعي، معتمداً على عامل الزمن من ناحية، حيث مرَّ أربعة عشر قرناً، وعلى التفكير الوضعي الحديث الذي يُنكر الحكم الشيوعي من ناحية أُخرى^(٤).

قرؤوا أنَّ هذه النظرية لا تتفق وسُنَّة الله في خلقه والعقل الصحيح، وما تلك إلا دعوى باطلة أظهرت الحقائق زيفها، ولأنَّهم ناقشوها بحسب مقاييسهم الاجتماعية! فهل أنَّ بقاء الإنسان طول هذه المدَّة من المستحيلات العقلية؟! ولو أردنا اتباع هذا المنهج، فهل تبقى لنا قضية من قضايا القرآن الثابتة بالنصِّ القرآني؟!

إنَّ المتتبع للحوادث العلمية والفلسفية يرى إمكان بقاء الإنسان طويلاً

(١) قيام القائم (ص ٢٢٥).

(٢) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٤١).

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام (ص ٢١٩).

(٤) نظرية الإمامة (ص ٤٠٤ و ٤٠٥).

٢٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
سواء على الصعيد العلمي أو العملي أو الفلسفي^(١)، مضافاً إلى الشواهد
التاريخية^(٢).

ودعوى تطاول الأعمار في سالف الدهر ثم تناقصها باطلة، لأن العاقل
يعلم أن الأزمان لا تأثير لها في الأعمار، وأن زيادتها ونقصها من فعل قادر مختار
يُغيّر ما في الأوقات بحسب ما يراه من الصلاح ...

ثم نسأل هذا الكاتب: هل أن تكلم الطفل في المهدي، وتحول عصا
موسى ﷺ إلى ثعبان، وبتق الجبل فوق بني إسرائيل كأنه ظلّة، وإحياء الموتى،
وشقّ البحر حتى ظهرت الأرض، وبقاء طعام عزير النبي ﷺ لم يتسنّه مائة عام
هي أمور تتفق وما جرت عليه سنة الله تعالى في الأمور العادية؟! أو أنّها توافق
العقل التجريبي الصحيح!؟

فالعقل يحكم في قطعياته وضروريّاته، ونحن نُؤوّل النصوص، وأمّا
ظنيّاته فلا قيمة لها أمام النصوص إلا أن تكون اجتهاداً في مقابل النصّ.
فالمنهج الصحيح هو ملاحظة حال النسبة إلى الشريعة، فإن تمتّ لاحظنا
الموانع المناسبة مع تلك المسألة، لا أن نخرج جزافاً بمقاييس لا ترتبط بها.
وأمّا دعوى أحمد أمين الأخرى في إبطال إمامة الصغير كالإمام المهدي ﷺ

(١) راجع: بحث حول المهدي ﷺ (ص ٦٣ - ٧٤)، وفي انتظار الإمام (ص ٤٧ - ٥٨)، والمهدي
(ص ١٣٧)، وغيرها.

(٢) ذكر الكنجي في البيان في أخبار صاحب الزمان المطبوع ضمن كفاية الطالب (ص ٥٢١) بأنّ
الدلالة على جواز بقاء المهدي في غيبته ولا امتناع في بقائه، بدليل بقاء عيسى ﷺ وإلياس
والخضر من أولياء الله، وبقاء الدجال وإبليس الملعونين من أعداء الله، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم
بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا عليه، فلا يسع بعد هذا لعاقل إنكار جواز بقاء المهدي ﷺ.
وقال الكراچكي ﷺ في كنز الفوائد (ج ٢ / ص ١١٧): إن أهل الملل كلّهم متفقون على جواز
امتداد الأعمار وطولها، وقد تضمّنت التوراة من الإخبار بذلك.

فهي باطلة أيضاً، لأنَّ النبوة والإمامة كلاهما تفضُّل منه سبحانه وتعالى وبيده، يمنحها لمن يشاء من غير اختيار لأحد فيهما، ويجوز هذا عقلاً ولا مانع منه، مع دلالة الدليل عليه، لأنَّه سبحانه وتعالى قادر على أن يجمع في الصبيِّ جميع شرائط النبوة والإمامة^(١)، فلم يكن الإمام المهدي عليه السلام هو الحدث الفريد من نوعه في التاريخ، مع ما ورد من تلك النصوص القرآنيَّة في يحيى عليه السلام أنه أوتي الحكم صبياً، وعيسى عليه السلام بأنه تكلم في المهد واستلم منصب النبوة وهو صغير^(٢).

ثم روى علماء أهل السنَّة وغيرهم بأنَّ الإمام الجواد عليه السلام كان قد بلغ في وقته من الفضل والأدب والحكم مع صغر سنِّه منزلةً لم يساوه فيها من ذوي الأسنان من السادة وغيرهم^(٣)، وأنَّ الإمام الهادي عليه السلام حاز على الإمامة وهو ابن ثمان سنوات، وكذا الإمام العسكري عليه السلام وهو ابن أحد عشر عاماً^(٤).

ثم إنَّ واقع الأئمة عليهم السلام في علمهم بالشرعية وتطبيقهم لأحكامها في سلوكهم وواقعهم تجاه السلطة المنحرفة وخصومهم في الفكر، كان قد حفل به التاريخ، وظهرت نتائج اختباراتهم وتعريفهم لصنوف الإغراءات والمواقف الحرجة، فتكون إناطة المسؤولية بهم وإن صغر سنُّهم لا يقف مانعاً أمام تصدِّي منصب الإمامة، وكنموذج عليه ما كان للإمام الجواد عليه السلام مع المأمون العباسي^(٥).

(١) المهدي (ص ١١٤).

(٢) راجع: في انتظار الإمام (ص ٢٣)؛ قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (آل عمران: ٣٠) قال إني عبُد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً (مريم: ٢٩ و ٣٠).

(٣) راجع: دائرة المعارف الإسلاميَّة الشيعيَّة (ج ١ / ص ٥٩٨).

(٤) راجع: الفصول المهمَّة لابن الصبَّاح (ج ٢ / ص ١٠٦١ - ١٠٩٤)، إثبات الوصيَّة (ص ٢٢٨ - ٢٥٦)، دلائل الإمامة (ص ٤٠٩ - ٤٣٢)، وغيرها.

(٥) راجع: دائرة المعارف الإسلاميَّة الشيعيَّة (ج ١ / ص ٥٩٨).

٢٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ولو افترضنا سكوت التاريخ عن هذه الظاهرة، فإنه من غير الطبيعي أن لا يُحدّث عنها رغم تكرّرها، خاصّةً وأنّ المعارضة الشيعيّة كانت على أشدها في العصور العبّاسيّة، وكانت طريقة إعلان فضيحة الشيعة الإماميّة بإخراج أئمّتهم فيما يدّعون من علم واستقامة سلوك، وكذا إبراز سخفهم لاحتضانهم أئمّة بهذا السنّ والعمر، هو أيسر بكثير من تعريض الأئمّة إلى حروب طاحنة قد يكون الخليفة من ضحاياها، أو تعريض هؤلاء الأئمّة إلى السجون والمراقبة أو المجاملة أحياناً.

وأما دعواه حول السفراء:

وذلك باتّهامهم بالكذب، والدجل، والخيانة، وتزوير الأحاديث، والسرقة لأموال المسلمين بحجّة أنّهم سفراء عن الإمام المهدي ﷺ، فهو ممّا لا يليق بهذا الكاتب الاجتماعي (أحمد أمين) التفوّه به، ولا يمكن مسامحته عليه، فكيف يستهين بتلك الشخصيات العظيمة التي وصلت إلى درجة رفيعة حسدهم عليها الملوك، والقضاة واعترفت الأئمّة بجلالتهم وعظمتهم وكمال عقلمهم^(١)؟! أليس ما ذكره هذا الكاتب إلّا إفساد للحقائق وتمويه للعقول؟! فكيف تُسلّم - كلّ تلك الأموال الضخمة التي كانت تصلهم من البلاد الإسلاميّة التي اعترف بها الكاتب المصري نفسه^(٢) - إليهم دون معرفة بهم، والاطّلاع على أحوالهم، والوقوف على أمور غيبية عنهم؟!!

إنّ وصول كلّ تلك الأموال إليهم ليُصحّح أطروحتهم، ويبيّن صدق مقالاتهم وعظم شأنهم ومنزلتهم الرفيعة في الأئمّة، ولقد كان حال السفراء

(١) راجع: تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، وسير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٢)، والوفاء بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

(٢) ظهر الإسلام (ج ٤ / ص ١١٨).

واضحاً عند مختلف طبقات الأمة، حيث اختبروا مرّات عديدة، فبان صدق مقالتهم وحسن سيرتهم، مع ما كانوا عليه من مسلك السريّة والكتمان بسبب مراقبة السلطات لتحركاتهم، وبثّها الجواسيس حولهم لاقتناص أخبارهم وأخبار من انتسبوا له، مع تلك المؤامرات وحالات الشغب التي كانت تحاك ضدّهم، والعقائد الفاسدة لبعض العناصر في المجتمع، وقد اندفع السفراء الأربعة لمجابهة التيار المنحرف المتمثّل في السلطة والمجتمع، فلم يقلل نشاطهم من شأنهم، أو يحدّ من سلوكهم، وكانت فترة سفارتهم من أشدّ الفترات وأصعبها.

إننا ومن خلال النقاش العلمي السليم والوصول إلى مستوى الموضوعيّة في البحث بحاجة إلى الإلمام التام بجميع الأحداث التي أحاطت بهم، والظروف السياسيّة والاجتماعيّة والفكرية التي مرّوا بها، ودراسة تلك المعاناة وتجربتهم في الأمة، ومدى ارتباطهم بالأئمّة وتصديق الأمة لهم ليتبيّن كذب مقالة تلك المدرسة الاجتماعيّة وافتراءات أحمد أمين حولهم.

وتدور هذه الدراسة حول محورين أساسيين:

المحور الأوّل:

معرفة حال هؤلاء السفراء، والأهداف المرتقبة في إيجاد السفارة المهدويّة، واستعراض صفاتهم ومقوماتهم في السفارة، وبعض الشُّبهات حول السفارة.

المحور الثاني:

دراسة موضوعيّة للأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة والفكريّة، وذكر بعض تراثهم الثقافي والعلمي، وبيان أطروحتهم وكيفية ارتباطهم بالأئمّة، وكيفية استلام التوقيعات وخروج المعجزات من قِبَل الأئمّة عليهم السلام على أيديهم لبيان صدق مقولتهم، وزيف الافتراءات حولهم.

٢٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
ثم مناقشة التوقيع الصادر من الإمام المهدي ﷺ في إغلاق باب السفارة،
وإعلانه عن بداية الغيبة الكبرى.

* * *

الفصل الأول:

نظرة متكاملة حول

سفارة الإمام المهدي عجل الله فرجه

المبحث الأول:

الأهداف المرتقبة من السفارة المهدوية

كان الإمام المهدي عليه السلام يهدف في إيعازه لبناء السفارة في الغيبة الصغرى إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إثبات وجوده وحياته عن طريق سفرائه:

اعتمد الإمام المهدي عليه السلام في عمله نظاماً هرمياً خاصاً، أمكنه أن يرتبط من خلاله بقواعده الشعبية وفتاته الموالية، فكان عليه السلام يتصدى قمة هذا النظام ويمارس أعماله بسرّية وحذر وكتمان شديد، ويصدر تعليماته وأوامره إلى سفرائه مباشرة، وقد عدّوا ركناً مهماً في هذا النظام، وكانوا بمثابة أعضاء الارتباط بينه وبين وكلائه المنتشرين في سائر البلاد الإسلامية، ولا نعرف مدى قوّة هذا الارتباط لكونه محاطاً بالغموض، ومجهولاً تماماً لدى الجميع سوى السفير نفسه الذي كان يعرف قوّة هذا الارتباط وضعفه.

لقد كان تاريخ السفراء حافلاً بالآلام والمتاعب حيث المطاردة الجادة من قبل السلطة وجواسيسها الذين بثّتهم في كلّ مكان لملاحقة فلول الإمام المهدي عليه السلام وأتباعه، ومحاولتها القضاء على القيادة المشروعة وكلّ من يرتبط بها بصلة، ويتجلّى هذا تماماً في النصوص الواردة عنهم عليهم السلام من حرمة التصريح باسمه، أو الإعلان عن مكانه كما سيأتي، فكانت مهمّة السفراء اتّخاذ أيديولوجية مناسبة من الحذر والكتمان من جهة، وبذل أقصى الجهود لإقناع

٣٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الرأي العام - من خلال قيادتهم الأمة - بوجود الإمام الثاني عشر ﷺ، وكونه محتفياً عن الأنظار، وإخراج التوقعات والبيانات الصادرة منه ﷺ لتذليل العقوبات وحلّ المشاكل الاجتماعية والفكرية والسياسية وغيرها من جهة أخرى.

وقد أتاح منهج السريّة والكتمان الفرص الكثيرة أمام السفراء من العمل الدقيق والمنظّم تحت قيادته ﷺ، وهم يلحظون في هذه الأيدولوجية عدّة أمور، هي:

الأول: خوف السلطة من العلويين، وبذاتها جهوداً مكثّفة لاضطهاد كبار قادتهم، والحدّ من نشاطهم، وقد ذكرهم أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتله).

الثاني: زرع جوّ من القلق والرعب وبثّ الإشاعات المغرضة والمسمومة من قبل السلطة، وما يترتّب عليه من ردود سلبية على الأمة.

الثالث: المطاردة الجادّة لفلول وقواعد الإمام ﷺ، وشنّ حملات التفتيش المنتظمة وغير المنتظمة لدار الإمام ﷺ من خلال التسعة عشر عاماً من خلافة المعتمد العباسي والمعتضد.

الأمر الثاني: رعاية شؤون الأمة الإسلامية:

إنّ من أهمّ الوظائف الملقاة على عاتق السفراء وأخطرها هو رعاية شؤون الأمة الإسلامية من خلال تلك الظروف والتعقيدات الاجتماعية والسياسية والفكرية، مع اختفاء الإمام المهدي ﷺ عن المسرح العامّ وضرورة إقناعها بوجوده، وسيتّضح ذلك جيّداً في هذه الدراسة.

الأمر الثالث: تهيئة الأمة لاستيعاب مفهوم الغيبة الكبرى:

لقد كانت الأمة الإسلامية فترة الغيبة الصغرى بحاجة إلى شحذ للأذهان

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٣٣

لتوعيتها مفهوم الغيبة الكبرى، وقد انصبّت استراتيجيّة الإمامين الهادي والعسكري ﷺ على ذلك، باتّباعها مسلك الاختفاء والاحتجاب عن الأمة بلا مباغطة وسابق مقدّمات، إذ لعلّ الأسلوب المفاجئ يُؤدّي إلى مضاعفات غير محمودة تُؤدّي بالمجتمع إلى إنكار وجود الإمام المهدي ﷺ مطلقاً، وكان على الإمام المهدي أيضاً أن يضاعف في هذا المسلك ويتدرّج في عمقه.

إنّ المتنبّع للنصوص والشواهد التاريخيّة يرى بوضوح مدى التفاوت بين منهجيّة الإمام العسكري ﷺ وابنه الإمام المهدي ﷺ، فقد كان أصحاب الإمام العسكري أكثر بكثير من أصحاب الإمام المهدي ﷺ، وكانوا يرونه أثناء زيارته للبلاط العبّاسي، ويعرفون هياة وقسمات وجهه، وكانت الأمة الإسلاميّة قد شاهدت موته، بعد أن ضمن المخطّط الإلهي لغيبة ابنه ﷺ، بينما لم يكن يرى الإمام المهدي ﷺ سوى القليل من أصحابه، ثمّ تتابعت الأجيال الإسلاميّة في غيبته، وهي لا تحمل أيّ فكرة عن شكله وهياته سوى النصوص الواردة بشأنه، ولم يكن الإمام المهدي ﷺ مع ذلك مختلفياً بشخصه، معزولاً عن الأمة، بل كان يراهم ويرونه، ويعرفهم ولا يعرفونه، وإنّ ما كان واقعاً خارجاً هو: الجهل بعنوانه كإمام مهدي! لا اختفاء جسمه كما تقول به بعض الأفكار غير المبرهنة.

* * *

المبحث الثاني:

مقومات السفراء الأربعة للإمام المهدي عليه السلام

قالوا: إنَّ الرسول دليل عقل المرسل، يُمثِّله في شخصه وكماله، وذلك من خلال نشر أفكاره الناضجة، ونواياه الحسنة، لأنَّ النفوس لا تتأسى إلاَّ بالأخلاق المرضية، ولا تتكهرب إلاَّ بالعلوم الناضجة، ولا تهش إلاَّ بتوطيد السياسة وإقامة العدل والدعوة إلى الدين.

ثمَّ يكون نبوغ هذا الرسول مجلية لرغبات الأمة، ووقوفاً على غاية المرسل من إرساله، ولنعم ما قيل:

تخيَّر رسولك إنَّ الرسول يدلُّ على عقل من أرسله
لقد كان إيعاز الإمام المهدي عليه السلام بإيجاد السفارة يدلُّ على الاهتمام الشديد بهذا الأمر وخطورته، ومن وقع عليه الاختيار لا يتحلَّى إلاَّ بالصفات الكريمة المتكاملة.

لقد عرَّفَ السفراء من خلال تاريخهم وتجربتهم في الأمة الإسلامية - وعلى عكس ما ادَّعاه المفتري أحمد أمين حولهم - بعمق الإخلاص وقوَّة التحمُّل والصبر على البلاء، قال إسماعيل بن عليّ النوبختي - وهو من كبار علماء الكلام - واصفاً أحد السفراء: وَأَبُو الْقَاسِمِ - ابن روح النوبختي - فَلَوْ كَانَ الْحُجَّةُ تَحْتَ ذَيْلِهِ وَفُرِّضَ بِالْمَقَارِضِ مَا كَشَفَ الذَّيْلَ عَنْهُ^(١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩١ / ح ٣٥٨).

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٣٥

واجتمع فيهم أيضاً العلم والحلم، العقل والحنكة، التجربة والخبرة بأطوار الأُمّة، المعرفة بطُرُق المحاورات وفنون الجدل، قوّة الإيمان والبصيرة في الدّين، وصحّة العقيدة، الإحاطة التامّة بمؤسّسات الدّين وقوانين الملّة، الكفاءة والدراية السياسيّة والعلميّة فيما نُدبوا إليه، الفطنة والدراية بمصالح الناس، المعرفة بسياسة كلّ طبقة على نحو لا تخالف الشريعة، وبهذه الاستراتيجيّة الواضحة رسم السفراء معالم الإسلام الحضاريّة، وأقاموا دعائمهم وقدموا الأطروحة المناسبة حول (فكرة الغيبة) ووجود الإمام المهدي ﷺ.

* * *

المبحث الثالث:

الصيغ العملية والأيدلوجية الجديدة في عمل السفراء

إنَّ الهدف من وجود الإمامة المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام هو هداية البشرية إلى السعادة الأبدية، فلا بدَّ من وجود إمام لكي لا تسيخ الأرض بأهلها. ولكي يحفظ الأئمة عليهم السلام هذا القانون الطبيعي، فإنَّ عليهم أن يُطبِّقوه في سلوكهم العملي والاجتماعي في جميع الفترات وعلى مختلف المستويات، حيث وضع الإمامان - على سبيل المثال - الهادي والعسكري عليهما السلام نظاماً تكاملياً يحفظ البشر من الضياع والانحطاط، ويؤمن سعادتها، وذلك هو (نظام الوكلاء) على أسس حديثة، وكان غرضها منه التمهيد للإمام المهدي عليه السلام لحفظه من الظلمة وتأمين مستقبله.

ثم اختاروا لهم أصحاباً كان لهم موقعاً ورصيذاً اجتماعياً عالياً في الأمة، للقيام بمسؤولية تغيير الانحراف القائم في السلطة والمجتمع، فكان لهم دور هام في مواجهة تيار الانحراف، ورسموا أطراً تكاملية للمجتمع، وإليك أهم نشاطاتهم في السفارة المهدوية:

أولاً: إثبات صدق سفارتهم بإقامتهم الدلائل الباهرة:

وردت النصوص والشواهد التاريخية الكثيرة عن الأئمة عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام بتوثيقهم السفراء الأربعة للإمام المهدي عليه السلام، وتسالم عليها المجتمع

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٣٧

الإسلامي، حتّى بات ذلك مشهوراً عنهم من خلال التجربة التي عاشتها الأُمَّة معهم ومن خلال ارتباطها بهم، فساعدتهم تلك المعرفة على قبول كلامهم ومقولتهم، وصحّة ما انتسبوا إليه بادّعائهم السفارة، وذلك بإقامتهم الدلائل والبراهين الواضحة لإزالة حالة الشكّ والريب في المجتمع.

لقد كان ظهور المعجزات والبيّنات من قِبَل الأئمّة عليهم السلام والأعلام من الممكن الذي ليس بواجب عقلاً، ولا ممتنع قياساً، وقد جاءت به الأخبار بكونه منهم على التظاهر والانتشار، فقطع على ذلك من جهة السمع وصحيح الآثار، وعليه جمهور أهل الإمامة.

وأما من تأخّر من النوبختيّين فهم يوافقون في ظهور المعجزات على أيدي الأئمّة عليهم السلام ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت رضي الله عنه في (ياقوته) ما لفظه: وظهور المعجزات على أيدي الأولياء والأئمّة عليهم السلام جائز، ودليله ظهور المعجز على أصف وعلّى مريم إلى غير ذلك^(١).

وقال العلامة رضي الله عنه في شرحه: إنّه غير مستحيل ولا قبيح فجاز إظهاره...، أمّا عدم قبحه فلا لأنّ جهة القبح هو الكذب وهو منفيٌّ هنا، إذ صاحب الكرامات لا يدّعي النبوة، فانتهى وجه القبح^(٢).

ومن ذهب إلى جواز صدور الكرامات من الأئمّة عليهم السلام من مشايخ المعتزلة: أبو الحسن البصري، وابن الإخشيد ومن أتبعه، وأصحاب الحديث كلُّهم يُجوزونه لكلِّ صالح من أهل التقوى والإيمان.

وأما ظهور الكرامات من المنصويين للسفارة المهدويّة فإنّه جائز ذلك منهم، ولا يمنع منه عقل ولا سنّة، وهو مذهب جماعة من مشايخ الإماميّة، وإليه

(١) الياقوت في علم الكلام (ص ٦٨).

(٢) أنوار الملكوت (ص ١٨٦ و ١٨٧).

٣٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

يذهب ابن الإخشيد من المعتزلة، وأصحاب الحديث في الصالحين والأبرار، وأبو الحسن البصري ومحققو الأشعرية كالجويني والغزالي والرازي، والفلاسفة المسلمين كابن سينا في (الشفاء)^(١).

لقد بذل السفراء الأربعة للإمام المهدي ﷺ فترة الغيبة الصغرى جهوداً مضاعفة ومكثفة لإثبات أحقيتهم في السفارة، فأقاموا الدلائل والبراهين البيّنة، والمعجزات التي ظهرت على أيديهم بتوجيه منه ﷺ تدلُّ على صحّة ما انتسبوا إليه، قال النوبختي - السفير الثالث للإمام المهدي ﷺ - لأحمد بن إسحاق الأشعري - وهو من كبار علماء الكلام عند الشيعة - : لَيْنَ أَحَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَنِي الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِي الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ سَجِيحٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ فِي دِينِ اللَّهِ ﷻ بِرَأْيِي وَمِنْ عِنْدِ نَفْسِي، بَلْ ذَلِكَ عَنِ الْأَصْلِ، وَمَسْمُوعٌ مِنَ الْحُجَّةِ ﷺ^(٢).

ثانياً: بذل الجهود في إخفاء أمر الإمام المهدي ﷺ :

لقد كانت بداية فترة الغيبة الصغرى مشحونة بالتساؤلات حول وجود الإمام المهدي ﷺ وما يرتبط به، ومغلّفة بالكتمان الشديد، لعدم وجود المصلحة في الدلالة عليه أو على مكانه، فلو كانت مصلحة في لقائه، فليس هناك بدٌّ من لقائه أو الدلالة عليه، ومع ذلك فلم يكن اسم الإمام المهدي ﷺ غامضاً لدى مختلف الفرق الإسلامية، وإذ تطارد السلطات شخصه ﷺ فهي تلحظ جانين: الأول: التعرّف على وقت ولادته ﷺ، إذ مع الغفلة عن معرفة وقتها لا يمكنها بطبيعة الحال أن تُجرّد حملاتها ضده.

الثاني: التعرّف على شخصه باسمه، إذ بدونه لا يمكنها أن تواجه الإمام

(١) أوائل المقالات (ص ١٧٦ و ١٧٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٢١ و ٣٢٢ / ح ٢٦٩).

الفصل الأول: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي عليه السلام ٣٩

المهدي عليه السلام وتقاتله، لاحتمال أن يكون المهدي قد وُلِدَ أو لم يُولَد، فوضوح الاسم يكسب شخصية قانونية واجتماعية معاً، ومع الجهل به وبشكله يكسبه غموضاً يجعل السلطة تحار في البحث عنه، ويكثف هذا الغموض برهبة وشعور بالعجز تجاهه.

ويحتمل - وكما تُؤكِّده الأحداث - أن المراد بكنم الاسم هو كنم الشخص نفسه وإخفاء ولادته عن أعدائه، وعليه فإن هناك تكليفاً واحداً بالكتمان يتعلَّق بالولادة والاسم معاً باعتبارهما يُعبِّران عن معنى أصيل، سأل الحميري والأشعري محمد بن عثمان العمري - السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام - في أن يُخبرهما عن اسم الإمام المهدي عليه السلام، فقال لهما: تُهَيِّئْتُمْ عَنْ هَذَا^(١).

وقال أيضاً: مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا عَنْ ذَلِكَ، وَلَا أَقُولُ هَذَا مِنْ عِنْدِي، فَلَيْسَ لِي أَنْ أُحَلِّلَ وَأُحَرِّمَ، وَلَكِنَّهُ عَنْهُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، فَإِنَّ الْأَمْرَ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ - العسكري - عليه السلام مَضَى وَلَمْ يُخَلِّفْ وَكَدًّا، وَقَسَمَ مِيرَاثَهُ وَأَخَذَهُ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ ذَا عَمَلِهِ يُجُولُونَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يُجَسِّرُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيْهِمْ أَوْ يَنْبَلَهُمْ شَيْئاً، وَإِذَا وَقَعَ الْأِسْمُ وَقَعَ الطَّلَبُ، فَاللَّهُ اللَّهُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمْسِكُوا^(٢).

وخرج توقيع من الإمام المهدي عليه السلام لسفيره محمد بن عثمان العمري ابتداءً ومن غير مسألة: «لِيُخْبِرَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنِ الْأِسْمِ إِمَّا السُّكُوتَ وَالْجَنَّةَ، وَإِمَّا الْكَلَامَ وَالنَّارَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ وَقَفُوا عَلَى الْأِسْمِ أَذَاعُوهُ، وَإِنْ وَقَفُوا عَلَى الْمَكَانِ دَلُّوا عَلَيْهِ»^(٣).

وقال الإمام الهادي عليه السلام: «إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَ شَخْصَهُ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ذِكْرُهُ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٥ / ح ٣١٦).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٤٣ و ٢٤٤ / ح ٢٠٩، وص ٣٥٩ - ٣٦١ / ح ٣٢٢).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٤ / ح ٣٣١).

٤٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
بِاسْمِهِ»، فقال له الراوي للحديث: فَكَيْفَ نَذْكُرُهُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُولُوا: الْحُجَّةُ
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

ثالثاً: إخراج التوقيعات عن الإمام المهدي ﷺ في قضايا الأمة:

تناولت التوقيعات الخارجة من الإمام المهدي ﷺ وبنوع من الجدّة
قضايا الأمة، سواء ما يرتبط فيها بمستوى العلاقات الاجتماعية أو القضايا
السياسية أو الفكرية.

فأمّا على مستوى العلاقات الاجتماعية، فقد تناولت النصوص المشاكل
العائلية ومحيط الأسرة، كتيسير الشفاء لأمراض مزمنة، وطلب الولد، وسؤال
الدعاء لأُمور هامة، واستئذان بالسفر، أو الخروج إلى الحجّ، أو التزويد بالأكفان
والأحناط، وغيرها من الأمور.

وأما على الصعيد السياسي، فقد تناولت النصوص تحذير السفراء
والوكلاء وأصحاب الأئمة عليهم السلام من الوقوع في قبضة السلطات وشراكها،
وكيفية استلام الأموال أو إرسالها إلى الإمام ﷺ، أو صرفها في مجالات سياسية
ومشاريع عامة يعود نفعها على الأمة.

وأما على الصعيد الثقافي، فقد وردت النصوص عنه ﷺ في حلّ المشاكل
المزمنة المتعلقة بالمذهب، ومواجهة الهجمة الثقافية وتيّار الانحراف في السلطة
والمجتمع.

وهناك عدّة ملاحظات حول التوقيعات:

الملاحظة الأولى: تشابه خطّ الأئمة عليهم السلام:

لقد كان معظم أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام يعرفون خطّه

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٠٢ / ح ١٦٩).

الفصل الأول: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي عليه السلام ٤١

وكذا خطَّ الإمام المهدي عليه السلام، حيث كان هناك تشابهاً في القلم بالغلظة والرقّة، فقد كتب أحمد بن إسحاق الأشعري القمي رسالة إلى الإمام العسكري عليه السلام أعرب فيها عن رغبته في معرفة خطّه عليه السلام ليأمن التدليس والتزوير من قبل بعض المشعوذين، فأجابه الإمام عليه السلام: «يَا أَحْمَدُ، إِنَّ الْخَطَّ سَيَخْتَلِفُ عَلَيْكَ مِنْ بَيْنِ الْقَلَمِ الْعَلِيظِ إِلَى الْقَلَمِ الدَّقِيقِ، فَلَا تَشْكَنَّ»^(١).

وقال الطوسي رحمته الله: وهكذا كانت التوقيعات الخارجة من الإمام المهدي عليه السلام إلى سفرائه وخواصّ أبيه بالأمر والنهي والأجوبة عمّا يسأل الشيعة عنه إذا احتاجوا إلى السؤال بالخطّ الذي كان يخرج في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٢).

الملاحظة الثانية: كيفية استلام التوقيعات:

لم تكن طريقة استلام التوقيعات واضحة، بل وحتى اللقاءات التي دارت بين السفراء والإمام المهدي عليه السلام، فقد تطول المدّة ثم يحصل اللقاء، روى الطوسي بإسناده عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ - العمري - رحمته الله، فَقُلْتُ لَهُ: رَأَيْتَ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَآخِرُ عَهْدِي بِهِ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي»^(٣).

وقال العمري أيضاً: وَرَأَيْتُهُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فِي أُمْسْتَجَارٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ائْتِقِمْ لِي مِنْ أَعْدَائِكَ»^(٤).

(١) الكافي (ج ١ / ص ٥١٣ / باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام / ح ٢٧).

(٢) راجع: الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ / ذيل الحديث ٣١٨).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٢٥١ و ٣٦٤ / ح ٢٢٢ و ٣٣٠).

(٤) المصدر السابق.

الملاحظة الثالثة: مدّة خروج التوقيعات:

اختلفت النصوص حول مدّة خروج التوقيعات الصادرة من الإمام المهدي ﷺ إلى سفرائه، وكانت تخرج على أشكال عديدة:

أ - التوقيع الشفوي:

فقد كان يخرج التوقيع أحياناً شفويّاً إلى السائل وإفهامه أنّه من الإمام المهدي ﷺ.

روى الطوسي رحمه الله أنّ رجلين دخلا على ابن روح النوبختي - السفير الثالث للإمام المهدي ﷺ - ومعهما أخرس، فطلبوا منه الدعاء بالشفاء للأخرس، فأجابهم ابن روح قائلاً: إِنَّكُمْ أُمِرْتُمْ بِالخُرُوجِ إِلَى الْحَائِرِ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَشَفِيَ الْأَخْرَسُ بِمِعْجَزَةِ الْإِمَامِ ﷺ^(١).

ب - التوقيع بنحو الرسالة المستعجلة:

فقد خرج توقيع منه ﷺ لابن روح النوبختي عام (٣١٢هـ) من شهر ذي الحجة وهو في السجن في لعن ابن أبي العزاقر الشلمغاني المدّعي للسفارة كذباً عن الإمام المهدي ﷺ بسرعة فائقة لا تُتصوّر، وَالْمِدَادُ رَطْبٌ لَمْ يَجْفَ^(٢).

ج - التوقيع الغيبي:

ومرّة يخرج التوقيع منه ﷺ وقد خطر السؤال في ذهن السائل فيخبره الإمام المهدي ﷺ بما في ضميره ووجدانه، ولم يكن يعرف ذلك أحد غيره.

روى الطوسي رحمه الله توقيعاً صادراً من الإمام المهدي ﷺ لسفيره محمد بن عثمان العمري، جاء فيه: قال أبو الحسين الأسيدي: فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بَشِيرًا لَقَدْ نَظَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّوْقِيعِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ انْقَلَبَ إِلَى مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي^(٣).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٩ / ح ٢٦٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٩ و ٤١٠ / ح ٣٨٤).

(٣) كمال الدّين (ص ٥٢٢ / باب ٤٥ / ح ٥١).

الفصل الأول: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي عليه السلام ٤٣

د - التوقيع بعد ساعات:

ومرّة كان يخرج التوقيع منه عليه السلام بعد ساعات قليلة من تقديم الأسئلة له عليه السلام.

فقد روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن الصفواني، قال: وَحَضَرْتُ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْنَا هُنَاكَ، وَرَجَعَ الرَّسُولُ - وهو خادم أسود لمحمد بن الفضل -، فَقَالَ: قَالَ لِي - ابن روح النوبختي: امْضِ، فَإِنَّ الْجَوَابَ يَجِيءُ، وَقُدِّمَتِ الْمَائِدَةُ، فَنَحْنُ فِي الْأَكْلِ إِذْ وَرَدَ الْجَوَابُ فِي تِلْكَ الْوَرَقَةِ مَكْتُوبٌ بِمَدَادٍ عَنِ فَصْلِ فَصْلٍ^(١).

هـ - التوقيع بعد ثلاثة أيام:

ومرّة أيضاً كان يخرج التوقيع منه عليه السلام بعد ثلاثة أيام من تقديم الأسئلة له. فقد روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن علي بن الحسين بن بابويه القمي أنه قال: سألت ابن روح النوبختي بالتوسّط عند الإمام عليه السلام ليدعو الله تعالى له في أن يرزقني ولداً، فأنهى ذلك إليه، فأخبره بعد ثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين عليه السلام، فَإِنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ وَلَدٌ مَبَارَكٌ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ، وَبَعْدَهُ أَوْلَادٌ^(٢).

و - التوقيع على مجموعة أسئلة:

ومرّة يخرج التوقيع منه عليه السلام على مجموعة أسئلة عُرضت عليه في ورقة واحدة.

فقد روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن أبي غالب الزراري، قال: فَحِينَ جَلَسْنَا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ، أَخْرَجَ الدَّرَجَ وَفِيهِ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ قَدْ أُجِيبَ فِي تَضَاعِيفِهَا^(٣).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣١٦ / ح ٢٦٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٠ / ح ٢٦٦)؛ ورواه الصدوق عليه السلام في كمال الدين (ص ٥٠٢ / باب ٤٥ / ح ٣١).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٤ / ح ٢٥٦).

رابعاً: قبض الأموال وتوزيعها على الأمة:

لقد كانت الأموال الكثيرة تصل السفراء بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، ثم توصل بعدها إلى الإمام المهدي عليه السلام، وذلك في بداية الغيبة، كالأموال التي أرسلها الوفد القمي ولأوّل مرّة إلى عثمان بن سعيد العمري في بغداد^(١).

ثم توالى الوفود بعد ذلك، وهي تحمل معها الأموال والأسئلة التي كانت تتناول موضوعات مختلفة، بعد أن عرفوا تنصيب العمري نائباً في أمر السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام في بغداد، فأمروا بحمل ما لديهم إليه وأخذ الأجوبة والتعليقات منه، وكانت الوصولات تُسلم لأرباب الأموال مرفقة بالدعاء في بداية الغيبة، ولكنّه انقطع التسليم بعد التسالم على السفارة وصحّتها عنهم، وصعوبة الوقت، والسيف يقطر دماً في خلافة المعتضد.

أمّا طريقة التسليم لهذه الأموال إلى السفراء، فقد كان يتمُّ بشكل عادي دون غموض أو شكٍّ يتوجّههم، حيث كانوا يأمرّون أرباب الأموال بالذهاب إلى المكان الفلاني ليُسلموا ما عندهم بلا قبوضات تُعطى لهم، أو توضع في جراب السمن وزقاقه ويحمله السفراء تغطيةً لأمرهم وخوفاً^(٢).

وكان الإمام المهدي عليه السلام في كلّ ذلك جاداً في مطالبة السفراء بتلك الأموال وغيرها من الأمور، وتوصيتهم بصرفها في وجوها الصحيحة، وقد بيّن طريقة الصرف لهم هذه الأموال في النصوص، فكان السفير مثلاً يتاجر بها ليُفوّت الفرصة على السلطة وجواسيسها.

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٤ / ح ٢٤٩).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٣ و ٣٥٤ / ح ٣١٤).

المبحث الرابع:

تساؤلات على طاولة البحث حول السفارة

السؤال الأول:

لماذا لم يختار الإمام المهدي عليه السلام سفراء من العلويين؟

يلحظ من خلال دراسة التاريخ وخاصة تاريخ العلويين أنهم كانوا الصوت المرهب للدولة الأموية والعباسية معاً، وكان شعارهم: الثورة على الظلم، والدعوة للرضا من آل محمد عليهم السلام، ممّا كان سبباً في مواجهتها لهم، فعاملتهم الدولتان بأقصى ما يُعامل به أعداء الدين، وأوقعت فيهم المجازر البشعة، ولا يكاد يحفُّ دم حتّى يسيل آخر، وتفنتنا في إبادتهم، فقتل وصلب وإحراق وتذرية وإماتة بطيئة وزجُّ في زنانات التعذيب والتشريد الجماعي، وقد ذكر الأصفهاني في (مقاتله) عن هذا الشيء الكثير.

لقد كان هدف الإمام عليه السلام في إيجاد السفارة هو استيفاء أكبر هدف اجتماعي يعود بالنفع على الأمة الإسلامية، ولا يكون تصدّي العلويين لهذا المنصب المهمّ سوى تعطيلاً للحدود الإلهية والمصالح العامة المرتقبة في الغيبة، باعتبار تلك النظرة السلبية من قبل السلطات تجاههم، وهذه النظرة منتفية في غيرهم، فهي لا يمكنها أن تُشدّد الرقابة، وتُفرّق الجواسيس حول كلّ فرد من أفراد المجتمع لمعرفة من يعارضها، والسفراء مهما كانوا مقربين من الأئمة وسائرين في خطّهم، فبإمكانهم التغطية على أمرهم، والحذر والكتمان بالقول والفعل حسب ما يروونه مناسباً وموافقاً للظروف والأوضاع السائدة آنذاك.

٤٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

فحريُّ بنا أن نتساءل: ما هو الدافع الذي يجعل الإمام المهدي ﷺ يختار السفراء من العلويين دون غيرهم؟! خاصّةً وأنَّ الإمام كان قد امتلك أصحاباً بلغوا الذروة القصوى في الإيثار وقوّة الإرادة والعزيمة والتخصُّص العالي في مختلف المجالات والعلوم، وهم معروفون بأسمائهم وأنسابهم، وقد تربّوا في مدرسة الإمامين العسكريين والإمام المهدي ﷺ، وتخرّجوا من تلك المدرسة. إنَّ مطالعة تاريخ السفراء الأربعة ودراسة أحوالهم نراهم المثل الأوفى والأمثل في هذا المجال والأكثر تسلُّطاً من غيرهم كما مرَّ ذكر ذلك، وقد حازوا على جلالته في الأُمَّة لانظير لها، وكانوا من معتمدي الأئمة عليهم السلام ومقرّبيهم، حيث استطاعوا بلباقتهم إقناع الرأي العامّ بوجود الإمام المهدي ﷺ وبيانهم أهداف الغيبة، وهذا ما كان يتوخّاه الإمام المهدي ﷺ في أمر السفارة.

السؤال الثاني:

لماذا اختار الإمام المهدي ﷺ بغداد لسفارته؟

قبل الخوض في بيان أسباب اختيار الإمام المهدي ﷺ بغداد محلاً لسفارته نشير إلى بعض المشاهد التاريخية حول سامراء محلّ ولادة الإمام المهدي ﷺ وسبب تركه لها.

أشارت النصوص التاريخية إلى أنَّ سامراء كانت أكثر من نصف قرن عاصمة الخلافة العباسية، وأصبحت زهرة البلدان ودرة التيجان، لا أجمل ولا أعظم ولا أنس ملكاً منها، لكنّها تحوّلت إلى خراب بمجرد انتقال الخلافة العباسية عنها إلى بغداد، فغار نبعها دفعة واحدة، ولم يبقَ منها سوى موضع غيبة الإمام المهدي ﷺ وقبر أبيه وجدّه ومحلّة أخرى بعيدة تُسمّى: كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب يستوحش الناظر إليه^(١).

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامراء (ج ١ / ص ١٧٦)، عن معجم البلدان (ج ٣ / ص ١٧٦).

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٤٧

وتعاقب في تلك الفترة ثمانية من خلفاء بني العباس على سامراء، ابتداءً بالعتصم حيث انتقل إليها عام (٢٢٧هـ)، وبويع بعده للوائح حتى عام (٢٣٢هـ)، ومن ثمّ المتوكل حتى عام (٢٤٧هـ) حيث قتله الأتراك بعد ليلة حمراء زاخرة باللهو والشراب^(١)، وبويع للمتصر وبقي ستّة أشهر ويومين في الخلافة^(٢)، ثمّ جاء بعده المستعين عام (٢٤٨هـ) حتى خلع نفسه عام (٢٥٣هـ) وجلس مكانه المعتز بالله^(٣)، ثمّ خلعه الأتراك عام (٢٥٦هـ) وبايعوا المعتمد حتى عام (٢٧٩هـ)، وبعده نصبوا المعتضد في بغداد، وبه كانت نهاية العاصمة سامراء.

اشتهر هؤلاء الخلفاء باللهو والخمر والمنادمة ما عدا المهدي حيث كان أحسنهم مذهباً وأجملهم طريقة، وقد كان في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية^(٤).

ويعود سبب بناء المعتصم مدينة سامراء إلى أنّه رأى ازدحام الموالي في جيشه وقوّاده، وكذا ازدحام الأتراك والمغاربة والفراغنة في العاصمة بغداد، وتعرّضهم إلى الأهالي بالأذى، وعدم عنايتهم بالسلوك الحميدة تجاه الناس، قرّر بناء سامراء ثمّ نقل الخلافة والجيش إليها، وانتقل إليها بالفعل عام (٢٢٠هـ)^(٥). وأمّا الخصوصيات التي اشتهر بها الخلفاء، فقد ذكّر أنّ بعضهم اشتهر بالقوّة والبعض الآخر بالضعف، فاستقلّ القوّاد في العاصمة سامراء، وسيطروا

(١) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٩٥).

(٢) مروج الذهب (ج ٤ / ص ٤٦)، الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ١١٥).

(٣) مروج الذهب (ج ٤ / ص ٦٠).

(٤) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٠٣)، تاريخ ابن الوردي (ج ١ / ص ٢٢٥).

(٥) تاريخ الطبري (ج ٧ / ص ٢٣١)، معجم البلدان (ج ٣ / ص ١٧٤)، الكامل في التاريخ

(ج ٦ / ص ٤٥١)، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء (ج ١ / ص ٣٩).

٤٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

على دفعة الحوادث ومجريات الأمور، واستولوا على مركز الخلافة، وصاروا يُزعجون الخليفة، فمرة يشغبون عليه، وأخرى يقتلونه، وثالثة ينصبون غيره، وذاق هؤلاء الخلفاء الثانية الأمرين، حتى خرج المعتمد من سامراء عام (٢٧٩هـ) إلى حيث مات^(١)، واستهل خلفه المعتضد ببغداد في العام نفسه^(٢).

وأما الحوادث العامة التي شهدتها سامراء منذ بنائها وإلى أقول الخلافة عنها أيام المعتضد سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي:
منها: استيلاء الأتراك والموالي على دفعة الحكم والسياسة العليا في العاصمة سامراء، والعَمال والأمرء على الأطراف، وعزل الخليفة جزئياً أو كلياً عن النظر في شؤون الدولة، ومن هؤلاء: بغا الكبير، وابنه موسى، وأخوه محمد، وكيغُلغ، وبابكيال، وأسارتكين، وسياء الطويل، وياركوج، وطبايغو، واذكوتكين، وبغا الصغير، ووصيف التركي، وغيرهم، وهذان الأخيران كانا قد تفرّدا بالأُمور حتى قيل فيهما:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالوا له كما تقول البغا^(٣)

ومنها: الحروب والمناوشات الداخلية في العاصمة سامراء بسبب ضعف الخلافة، وفي أطرافها بين الولاة والأمرء، فكانت المَدُن الإسلامية تستقبل بين فترة وأخرى وجهاً جديداً يحكمها ويُدبّر أمورها ويُجبي خراجها.
ومنها: ظهور الخوارج وصاحب الزنج فترة خلافة المهدي والمعتمد،

(١) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٤٥٥)، العبر في خبر من غير (ج ٢ / ص ٦٧).

(٢) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٤٣)، الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٤٥٥)، تاريخ ابن الوردي (ج ١ / ص ٢٣٣).

(٣) مروج الذهب (ج ٤ / ص ٦١)، تاريخ الإسلام (ج ١٩ / ص ٩٤).

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٤٩

حيث قُتِلَ الآلاف من النفوس البريئة، وهُتِكت الأعراض، وأُحرقت عشرات المُدن.

وصاحب الزنج هو عليُّ بن محمّد الثائر في البصرة عام (٢٥٥هـ)^(١)، وقد زعم أنّه علوي يتّصل نسبه بالإمام السجّاد عَلِيّاً من ابنه زيد عَلِيّاً. واستمرّ هذا الرجل يعبث بمقدّرات الأُمّة، ويعيث في الأرض فساداً مدّة خمسة عشر عاماً إلى أن قُتِلَ (٢٧٠هـ).

ومنها: ظهور ثورات علويّة كثيرة في سامراء وأطرافها، وهي تدعو كلّها للرضا من آل محمّد ﷺ، حتّى بلغ عددهم تلك الفترة ما يزيد على ثمانية عشر ثائراً.

وعلى كلّ حال، فإنّ استعراض تلك الحوادث واستقصاءها يدلُّ بوضوح على معرفة سبب اختيار الإمام المهدي ﷺ ببغداد عاصمة له فترة الغيبة، ونذكر أهمّها:

أولاً: البُعد عن الرقابة:

استطاع الإمام المهدي ﷺ باختياره ببغداد كسر طوق الحصار الذي فرضته السلطات الحاكمة على تحرّكاته، وضمن - وبشكل أفضل - ممارسة عمله ولو بحريّة نسبيّة عمّا كان في سامراء، فهو ﷺ بعيد عن عيون السلطة وجواسيسها وملاحقاتها له ولأصحابه.

ثانياً: إرسال بياناته إلى الأُمّة الإسلاميّة:

لم يكن التفاف الأُمّة يُشكّل خطراً على الإمام المهدي ﷺ بقدر ما كان في سامراء، وكان في اختياره ببغداد حفاظاً على أصحابه من الوقوع في قبضة السلطات، والدفاع عنهم إنّ تطلّب ذلك، مضافاً إلى قدرته البالغة في إرسال

(١) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٢٠٥).

٥٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
أكبر عدد من النداءات والبيانات إلى سفرائه لإيصالها إلى الأمة الإسلامية وحل
مشكلاتها.

ثالثاً: تطبيقه مسلك الاحتجاب وتتميمه بأعلى مستواه.

رابعاً: موقع بغداد السياسي والجغرافي:

لقد تمتعت بغداد بموقع سياسي وجغرافي لا نظير له آنذاك، حيث صيرها
مرمى لأنظار المفكرين والفلاسفة والأدباء وغيرهم في مختلف العلوم، وكانت
تُعقد فيها الندوات الفكرية والثقافية للحوار في أمور العقيدة والحياة، وصارت
ملتقى للأفكار الناضجة والمتفتحة في العالم الإسلامي.

ولم تتحدث النصوص الإسلامية عن بقاء السفراء في بغداد مدة سفارتهم،
بل كانوا يخرجون بين الحين والآخر منها إلى الأطراف للقيام بعمل تجاري أو
إنجاز مشروع عام أو أداء فريضة الحج ثم استلام النداءات من الإمام
المهدي ﷺ، وقد حصلت لقاءات منهم للإمام المهدي ﷺ في بيت الله الحرام
لمرات عديدة^(١).

وقد كانت بغداد بعيدة عن ساحة الصراع السياسي القائم بين الخلفاء
والأمراء، والمناوشات الداخلية بين الطوائف والمذاهب الأخرى، وحتى عن
الهجوم الأجنبي الذي كان يهدد العاصمة سامراء بين الحين والآخر.

السؤال الثالث:

ما هو الهدف من اختيار الوكلاء في أمر السفارة؟

ذكر المامقاني في (تنقيحه) أن للحجة ﷺ وكلاء غير السفراء الأربعة،
وكان تخصيص هؤلاء الأربعة إماماً لأن غيرهم من الوكلاء يرجعون إليهم فلا

(١) من لا يحضره الفقيه (ج ٢ / ص ٥٢٠ / ح ٣١١٥).

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٥١
يأمرون ولا يؤمّرون إلّا بوساطتهم، أو لأنّهم كانوا وكلاء عموماً وغيرهم في
الجزئيات^(١).

وكان هؤلاء الوكلاء أقواماً ثقة ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين
للسفارة من الأصل^(٢).

وانحرف جماعة من هؤلاء الوكلاء بعد أن كانوا صالحين أوّل أمرهم،
وسنذكرهم من خلال هذا البحث، وخرجت توقيعات منه ﷺ في لعن هؤلاء
الوكلاء والبراءة منهم بعد خدمتهم وطول صحبتهم، فأبدلهم الله سبحانه
بالإيمان كفوّاً حين فعلوا ما فعلوا، فعاجلهم الله بالنقمة ولم يمهلهم.

وكان سبب هذا الانحراف والموقف المعادي للإمام ﷺ مع مشاهدتهم
المعجزات والكرامات الواضحة والبراهين القويّة منه ﷺ هو الحسد والبغض
لأهل البيت عليهم السلام، وطمعهم في الحصول على الأرباح والرئاسة على الناس.
أمّا الهدف من اختيار الوكلاء في أمر السفارة، فملخصه:

أولاً: تسهيل أمر السفراء وتوسعة عملهم:

لقد عاش السفراء في سفارتهم ظروفًا قاسية وصعبة لصعوبة الزمان
والسيف يقطر دماً آنذاك، وقد صعب عليهم التحرك والاتصال بالقواعد
الشعبية في البلاد الإسلامية، ويعود سبب ذلك إلى الحالة التي أوجدتها السلطة
من مطاردة قواعد الإمام وملاحقة قادتها، ونشر حالة من الخوف والرعب في
صفوف المعارضة، وظهور الفرق المنحرفة التي لعبت دوراً خطيراً في عملية
الانحراف، وظهور حركات الزندقة والغلاة بين فصائل الأمة، وضعف الوعي
السياسي والفكري في أوساط الأمة.

(١) تنقيح المقال (ج ٢ / ص ١٤٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥).

ثانياً: نظام الوكلاء ساهم في إخفاء عمل السفراء:

إنَّ فكرة اعتماد هذا النظام كان قد ساهم في إخفاء طابع الكتمان والسريّة على اسم السفير وشخصه، لأنَّ الفرد المنتمي إلى القواعد الشعبيّة الموالية للإمام ﷺ غاية ما يمكنه هو الاتّصال بأحد الوكلاء دون إرادة معرفة اسم السفير أو نوع عمله ومكانه، وكان هؤلاء يدرجون المسائل الفقهيّة والعقائديّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة فيرسلوها إلى السفراء.

وقد ذكر الصدوق ﷺ اثني عشر وكيلًا كانوا قد وقفوا على معجزات الإمام ﷺ^(١)، وأسماؤهم هي:
الأوّل: حاجز الوشاء:

وهو حاجز بن يزيد الوشاء^(٢)، كان وكيلًا عن الإمام المهدي ﷺ، يستلم الأموال من أربابها والأسئلة فيوصلها إلى السفراء. سكن بغداد، وأوصل توقيعات الإمام ﷺ لمواليه.

روى المفيد ﷺ بإسناده عن الحسن بن عبد الحميد، قال: شككت في أمر حاجز، فجمعت شيئاً ثم صرت إلى العسكر - أي سامراء -، فخرج إليّ: «ليس فينا شك، ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، فردّ ما معك إلى حاجز ابن يزيد»^(٣).

وروى الكليني ﷺ بإسناده عن محمد بن الحسن الكاتب المرزبي، قال: وجهت إلى حاجز الوشاء مائتي دينار، وكتبت إلى الغريم - أي الإمام المهدي ﷺ - بذلك، فخرج الوصول، وذكر أنّه كان قبلي ألف دينار وأناي

(١) كمال الدين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٢) منتهى المقال (ج ٢ / ص ٣٠٧ و ٣٠٨ / الرقم ٦٣٦).

(٣) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٦١ و ٣٦٢).

الفصل الأول: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي عليه السلام ٥٣

وَجَّهْتُ إِلَيْهِ مَائَتِي دِينَارٍ، وَقَالَ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُعَامَلَ أَحَدًا فَعَلَيْكَ بِأَبِي الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيِّ بِالرِّيِّ»، فَوَرَدَ الْخَبْرُ بِوَفَاةِ حَاجِزِ عليه السلام بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَعْلَمْتُهُ بِمَوْتِهِ، فَأَعْتَمَّ، فَقُلْتُ: لَا تَعْتَمَّ، فَإِنَّ لَكَ فِي التَّوْقِيعِ إِلَيْكَ دَلَالَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا إِعْلَامُهُ إِيَّاكَ أَنَّ الْمَالَ أَلْفُ دِينَارٍ، وَالثَّانِيَةُ أَمْرُهُ إِيَّاكَ بِمُعَامَلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيِّ، لِعِلْمِهِ بِمَوْتِ حَاجِزٍ^(١).

وليس لدينا الكثير من النصوص حول هذا الوكيل، وكيفية ارتباطه بالسفراء، واستلامه التوقيعات منهم.

الثاني: أبو طاهر محمد بن علي بن بلال:

وكان وكيلاً صالحاً أمره، ثم انحرف وفسد حاله بعد ذلك، فقد عدّه ابن طاوس عليه السلام من الوكلاء المعروفين في الغيبة الصغرى، الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن العسكري فيهم، وعبر عنه الإمام المهدي عليه السلام في بعض توقيعاته بأنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه^(٢)، وذكره الصدوق عليه السلام في قائمة الوكلاء^(٣)، لكن الشيخ الطوسي عليه السلام ذكره في عداد المذمومين، وروى فيه أحاديث تدلُّ على انحرافه آخر عمره^(٤).

الثالث: العطار:

وهذا اللقب مشترك بين جماعة لم يذكر التاريخ عن أحدهم أنه كان موسوماً بالوكالة، وهؤلاء هم: محمد بن يحيى العطار، وابنه أحمد، وإبراهيم بن خالد العطار، وعلي بن عبد الله أبو الحسن العطار، وغيرهم.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥ و ٤١٦ / ح ٣٩٢).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٤٧ / ح ١٠٨٨).

(٣) كمال الدين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٠).

٥٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وما ذكره الصدوق رحمته الله بلقب العطار لعله واحد من هؤلاء المذكورين أو غيرهم، وقد انفردت بذكره رواية الصدوق وحدها لا غير بلا معارض^(١).

الرابع: العاصمي:

وهذا اللقب مشترك أيضاً بين عيسى بن جعفر بن عاصم الذي دعا له الإمام الهادي عليه السلام^(٢)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة أبو عبد الله، يُقال له: العاصمي، كان ثقةً في الحديث، سالماً خيراً، أصله كوفي، وسكن بغداد، روى عن الشيوخ الكوفيين، وله كُتُب منها: كتاب النجوم، ومواليد الأئمة، وغيرهما^(٣).

وكلاهما لم يُوسَم بالوكالة، ولم يُعلم معاصرتَه للغيبة، فتبقى رواية الصدوق وحدها بلا معارض^(٤).

الخامس: الأهوازي:

وهو محمد بن إبراهيم بن محمد، عدّه ابن طاوس رحمته الله من الوكلاء والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي العسكري عليه السلام فيهم، خرج من الإمام المهدي رحمته الله توقيعاً جاء فيه: «قَدْ أَقْمَنَّاكَ مَقَامَ أَبِيكَ، فَأَحْمَدِ اللَّهَ»^(٥).

وقد روى المفيد رحمته الله فيه قوله: فَإِنْ وَصَحَ لِي شَيْءٌ كَوُضُّوحِهِ فِي أَيَّامِ أَبِي

(١) كمال الدّين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٦٣ / ح ١١٢٢).

(٣) رجال النجاشي (ص ٩٣ / الرقم ٢٣٢).

(٤) كمال الدّين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٥) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٥٦)، الغيبة للطوسي (ص ٢٨١ و ٢٨٢ / ح ٢٣٩).

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي ﷺ ٥٥
مُحَمَّدٌ أَنْفَذْتُهُ، وَإِلَّا أَنْفَقْتُهُ فِي مَلَاذِي وَشَهَوَاتِي^(١)، وأضاف الطبرسي رحمه الله قوله:
وَإِلَّا قَصَفْتُ بِهِ^{(٢)(٣)}.

وهاتان الروايتان تنافيان جلاله قدره، وتنصيبه وكيلاً بعد أبيه.

السادس: القمّي الأشعري:

وهو أبو عليّ أحمد بن إسحاق بن سعد، وافد القميين، روى عن الإمامين
الجواد والهادي عليهما السلام، وكان من خاصّة أبي محمد العسكري عليه السلام^(٤)، له كتب
منها: كتاب (علل الصلاة) كبير، ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام^(٥)،
عاش بعد وفاة أبي محمد العسكري عليه السلام.

روى الطوسي رحمه الله قول الإمام المهدي ﷺ فيه بأنّه ثقة^(٦)، وعرض الإمام
العسكري عليه السلام ولده الإمام المهدي ﷺ عليه بعد أن بشره بالولادة أيضاً،
قال عليه السلام له: «وُلِدَ لَنَا مَوْلُودٌ، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ مَسْتُورًا، وَعَنْ جَمِيعِ النَّاسِ مَكْتُومًا،
فَإِنَّا لَمْ نُظْهِرْ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَقْرَبَ لِقَرَابَتِهِ، وَالْوَلِيَّ لَوْلَايَتِهِ، أَحْبَبْنَا إِعْلَامَكَ لَيْسُرَكَ اللَّهُ
بِهِ مِثْلَ مَا سَرَرْنَا بِهِ، وَالسَّلَامُ»^(٧).

السابع: الهمداني:

وهو محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان، كان من أصحاب الإمام

(١) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٥٥).

(٢) إعلام الوري (ج ٢ / ص ٢٦١).

(٣) أقول: ورواه الطوسي رحمه الله في الغيبة (ص ٢٨١ / ح ٢٣٩)، وفيه: (وإلا تصدّقت به)، وهو أوفق
مع جلاله ابن مهزيار.

(٤) رجال النجاشي (ص ٩١ / الرقم ٢٢٥).

(٥) الفهرست (ص ٧٠ / الرقم ١٦/٧٨).

(٦) الغيبة للطوسي (ص ٤١٧ / ح ٣٩٥).

(٧) كمال الدين (ص ٤٣٣ و ٤٣٤ / باب ٤٢ / ح ١٦).

٥٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

العسكري عليه السلام، ووكيلاً عن الإمام المهدي عليه السلام ^(١)، خرج توقيع منه عليه السلام لإسحاق بن إسماعيل، قائلاً: «فَإِذَا وَرَدَتْ بَغْدَادَ فَاقْرَأْهُ عَلَى الدَّهْقَانِ وَكَيْلِنَا وَثِقْتِنَا وَالَّذِي يَقْبِضُ مِنْ مَوَالِينَا» ^(٢).

ولكنه غلاماً في آخر عمره وصار منحرفاً ^(٣)، وخرج توقيع منه عليه السلام جاء فيه: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الدَّهْقَانِ (عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ)، وَخِدْمَتِهِ وَطُولِ صُحْبَتِهِ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ كُفْرًا حِينَ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَعَاجَلَهُ اللَّهُ بِالنِّقْمَةِ وَلَمْ يُمَهِّلْهُ» ^(٤).
ويحتمل أن يكون المراد بالدهقان عروة بن يحيى، والله العالم.

الثامن: البسامي:

وهو غير معروف النسب، كان من أهل الري، ومن وكلاء المهدي عليه السلام برواية الصدوق ^(٥)، ولم يرد شيئاً من أمره في النصوص.

التاسع: الرازي الأسدي:

وهو محمد بن جعفر الأسدي الرازي، كنيته: أبو الحسين، له كتاب (الردُّ على أهل الاستطاعة) ^(٦)، أصله كوفي وسكن بالري، كان ثقةً صحيح الحديث ^(٧).
ذكره الطوسي رحمته الله مع الثقة الذين وردت عليهم التوقيعات من قبل المنصويين للسفارة من الأصل ^(٨)، روى بإسناده عن صالح بن أبي صالح، قال:

(١) جامع الرواة (ج ٢ / ص ١٣١).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٤٧ / ح ١٠٨٨).

(٣) جامع الرواة (ج ٢ / ص ١٣١).

(٤) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٦ و ٨١٧ / ح ١٠٢٠).

(٥) كمال الدين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٦) الفهرست (ص ٢٢٩ و ٢٣٠ / الرقم ٦٦٠ / ٧٥).

(٧) رجال النجاشي (ص ٣٧٣ / الرقم ١٠٢٠).

(٨) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥).

الفصل الأول: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي عليه السلام ٥٧

سَأَلَنِي بَعْضُ النَّاسِ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قَبْضَ شَيْءٍ، فَأَمْتَنَعْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَتَبْتُ أَسْتَطْلِعُ الرَّأْيَ، فَأَتَانِي الْجَوَابُ: «بِالرَّيِّ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْعَرَبِيِّ، فَلْيُدْفَعْ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مِنْ ثِقَاتِنَا»^(١).

وقد ذكر تنصيبه عليه السلام له بعد وفاة حاجز بن يزيد الوشاء^(٢).

وقوله في جواب أبي جعفر محمد بن علي بن نوبخت: «الْأَسَدِيُّ نِعْمَ الْعَدِيلُ، فَإِنْ قَدِمَ فَلَا تَحْتَرِ عَلَيْهِ»، فَقَدِمَ الْأَسَدِيُّ، وَعَادَلْتُهُ^(٣).

مات الأسدي على ظاهر العدالة، لم يتغير، ولم يطعن فيه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة^(٤).

وهذا أنسب بحاله مما ذكره النجاشي عليه السلام عنه من كونه يروي عن الضعفاء، وأنه كان يقول بالجبر والتشبيه، وما ذكره أنه مات ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة^(٥).

العاشر: القاسم بن العلاء:

وهو من آذربيجان، عدّه ابن طاوس عليه السلام من الوكلاء للإمام المهدي عليه السلام، وَيُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ^(١).

روي عنه أنه قال: وُلِدَ لِي عِدَّةٌ بَيْنَ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ - إِلَى الناحية المقدّسة عليه السلام - وَأَسْأَلُ الدُّعَاءَ لَهُمْ، فَلَا يُكْتَبُ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَهَاتُوا

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥ / ح ٣٩١).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥ و ٤١٦ / ح ٣٩٢).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤١٦ / ح ٣٩٣).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤١٧).

(٥) رجال النجاشي (ص ٣٧٣ / الرقم ١٠٢٠).

(١) جامع الرواة (ج ٢ / ص ١٩).

٥٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
كُلُّهُمْ، فَلَمَّا وُلِدَ لِي الْحُسَيْنُ ابْنِي كَتَبْتُ أَسْأَلُ الدُّعَاءَ، وَأُجِبْتُ، وَبَقِيَ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ (١).

عمر القاسم بن العلاء مائة وسبع عشرة سنة، منها ثمانون سنة صحيح
العينين، لقي الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وأُصيب بالعمى بعد الثمانين
وكان مقيماً بمدينة الران من أرض آذربيجان، وكان لا تنقطع توقيعات مولانا
صاحب الزمان عليه السلام على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وبعده على يد أبي
القاسم الحسين بن روح (قدّس الله روحيهما) (٢).

وقد أورد الطوسي والراوندي رحمهما الله حديثاً طويلاً يشتمل على كرامات
الإمام المهدي عليه السلام، وهي تدلُّ على جلالة هذا الرجل، وخرجت توقيعات منه
إلى القاسم بن العلاء في لعن بعض المنحرفين كأحمد بن هلال وغيره (٣).

الحادي عشر: النعمي النيشابوري:

وهو محمد بن شاذان، عدّه ابن طاوس رحمهما الله من وكلاء الناحية، وممن وقف
على معجزات صاحب الزمان عليه السلام ورآه (٤).

وقد أخرج الصدوق رحمهما الله حديثاً طويلاً عن كيفية اجتماعه بالإمام عليه السلام،
ولكن يظهر من تشويش العبارة أنّه ليس محمد بن شاذان، بل غانم أبو
سعيد الهندي الذي كان جديد العهد بالإسلام، وباحثاً عن الحقيقة، والله
العالم.

(١) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٥٦ و ٣٥٧)؛ ورواه الكليني رحمهما الله في الكافي (ج ١ / ص ٥١٩ / باب مولد
الصاحب عليه السلام / ح ٩).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣١٠ / ح ٢٦٣)، الخرائج والجرائح (ج ١ / ص ٤٦٧ / ح ١٤).

(٣) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٦ / ح ١٠٢٠).

(٤) جامع الرواة (ج ٢ / ص ١٣٠).

الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي عليه السلام ٥٩

خرج في ابن شاذان توقيع من الإمام المهدي عليه السلام يقول فيه: «وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ شَاذَانَ بْنِ نُعَيْمٍ، فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام»^(١).

هذه مجموعة من أسماء الوكلاء، وهناك آخرون غيرهم أمثال: إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، والبيزوفري، والهمداني إبراهيم بن محمد، وابن روح النوبختي، وعثمان بن سعيد، وابنه، والسمرى، وأحمد بن اليسع بن عبد الله القمي، وأيوب بن نوح بن درّاج النخعي، والشلمغاني، وغيرهم^(٢).

لقد كانت الوكالة نافذة المفعول بداية الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام كما يظهر من بعض الأخبار، وقد صدّ الإمام المهدي عليه السلام هجوماً عنيفاً على وكلائه للتعرف عليهم ومن ثمّ معرفة الإمام عليه السلام، حيث احتال الوزير عميد الله بن سليمان وزير المعتضد عام (٢٧٩هـ) للقبض على الوكلاء بحيلة اخترعها^(٣).

وسياتي في البحث دور بعض الوكلاء الذين ادّعوا السفارة أو الوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام، أو انحرفوا عن الإمام عليه السلام، ومدى تأثيرهم في المجتمع على بعض النفوس الضعيفة، وكيفية تزييفهم الحقائق.

لقد كان بعض هؤلاء السفراء الأربعة وكلاء عن الإمام المهدي عليه السلام بداية أمرهم، ولم ترد نصوص عن بيان كيفية عملهم كوكلاء قبل استلامهم السفارة.

* * *

(١) كمال الدين (ص ٤٨٥ / باب ٤٥ / ح ٤)، الغيبة للطوسي (ص ٢٩١ / ح ٢٤٧).

(٢) راجع: تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٦١١).

(٣) الكافي (ج ١ / ص ٥٢٥ / باب مولد الصاحب عليه السلام / ح ٣٠).

الفصل الثاني:

دراسة موضوعية للسفارة، ودور

السفراء في ترسيخ مفهوم الغيبة

المدخل:

آراء العلماء حول السفراء

وإنَّ في الصغرى له نواباً موثقين عنده أبواباً
عدَّتْهم أربعة منصوصة منهم وهم نوابه المخصوصة
ابن سعيد اسمه عثمان عدل زكي ثقة أمان
ثمَّ ابنه من بعده محمَّد العالم الكامل والمسدد
وبعده ابن روح الحسين شيخ جليل ثقة وعين
وبعده السمري وهو بو الحسن ابن محمَّد عليّ المؤمن
كانوا له وسائط في الشيعة ليوصلوا إليهموا توقيعه^(١)
ونكتفي هنا بذكر بعض أقوال العلماء المتقدمين حول السفراء الأربعة
للإمام المهدي عليه السلام.

فقد ذكر المفيد والطوسي رحمهما الله بأنَّ جماعة من أصحاب أبي محمَّد الحسن بن
عليّ العسكري عليه السلام شاهدوا خلفه في حياته، وكانوا أصحابه وخاصته بعد
وفاته، والوسائط بينه وبين شيعته دهرًا طويلاً في استتاره، ينقلون إليه معالم
دينهم، ويُرجون إليهم أجوبة مسائلهم، ويقبضون منهم حقوقه لدينهم، وهم
جماعة كان الحسن بن عليّ عليه السلام عدلهم في حياته، واختصَّهم أمناء لهم في وقته،
وجعل إليهم النظر في أملاكه والقيام بمآربه، معروفون بأسمائهم وأنسابهم

(١) الدُّرُّ المكنونة في الإمامة والإمامة (ص ١٨٢).

٦٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وأمثالهم، كأبي عمرو عثمان بن سعيد، وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان، وبني نوبخت ببغداد، ومنهم الحسين بن روح النوبختي، والسمرى، وبني مهزيار في الأهواز، وجماعة من أهل قزوين وقم وغيرهما من الجبال، وبني الركولي بالكوفة، مشهورون بذلك عند الإمامية والزيدية، معروفون بالإشارة إليه عند كثير من العامة، وكانوا أهل عقل وأمانة وثقة ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكان السلطان يُعظم أقدارهم بجلالة محلهم في الدنيا، ويكرمهم لظاهر أمانتهم واشتهار عدالتهم، حتى إنه كان يدفع ما يضيفوه إليهم خصومهم من أمر أمرهم ظناً بهم، واعتقاد البطلان من قذفهم، وذلك لما كان من شدة تحرّزهم وستر حالهم، واعتقادهم، وجودة آرائهم، وصواب معتقدتهم^(١).

أمّا الصدوق عليه السلام فقد وصفهم قائلاً: إنّ الإمام العسكري عليه السلام كان قد خلف جماعة من ثقاته ممن يؤدّي عنه الحلال والحرام، ويؤدّي إليه كُتب الشيعة وأموالهم، ويُخرجون الجوابات، وكانوا بموضع من الستر والعدالة بتعديله إياه في حياته، وكانت كُتب ابنه الإمام المهدي عليه السلام بعده تخرج إلى الشيعة بالأمر والنهي على أيدي رجال أبيه الثقة أكثر من عشرين عاماً، ثم انقطعت الكتابة ومضى أكثر رجال الحسن العسكري عليه السلام الذين كانوا شهدوا بأمر الإمام عليه السلام بعده، وبقي منهم رجل واحد قد أجمعوا على عدالته وثقته، فأمر الناس بالكتمان وأن لا يذيعوا شيئاً من أمر الإمام عليه السلام، وانقطعت المكاتبة^(٢).

وقال الطبرسي عليه السلام مادحاً لهم بقوله: ولم يقم من السفراء أحد منهم إلّا بنصّ عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام، ونصب صاحبه الذي تقدّم عليه، ولم

(١) الفصول العشرة (ص ٧٨ - ٨٢)، الغيبة للطوسي (ص ١٠٨ و ١٠٩).

(٢) كمال الدين (ص ٩٢ و ٩٣).

الفصل الثاني: دراسة موضوعية للسفارة، ودور السفراء في ترسيخ مفهوم الغيبة ٦٥

تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالته وصحة بايئتهم^(١).

وذكرهم النعماني رحمته الله أيضاً قائلاً: إن الغيبة الأولى هي الغيبة التي كان السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق، قياماً منصوبين، ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج إليهم غوامض العلم، وعويص الحكم والأجوبة عن كل ما كان يُسأل عنه من العضلات والمشكلات^(٢)، والسفير هو العلم^(٣).

وأثنى عليهم أبو الصلاح الحلبي رحمته الله قائلاً: إنه معلوم لكل سامع للأخبار تعديل أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام جماعة من أصحابه، وجعلهم سفراء بينه وبين أوليائهم، والأمناء على قبض الأخماس والأنفال، وشهادته ببايئتهم وصدقهم فيما يؤدونه عنه إلى شيعته، وأن هذه الجماعة شهدت بمولد الحجّة بن الحسن عليه السلام، وأخبرت بالنص عليه من أبيه عليه السلام، وقطعت بإمامته وكونه الحجّة المأمول للانتصار من الظالمين، فكان ذلك منهم نائباً مناب نص أبيه عليه السلام - لو كان مفقوداً -...، والجماعة المذكورة: أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، ومحمد بن علي بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمان، وابنه أبو جعفر محمد بن عثمان عليه السلام^(٤).

لقد فاق هؤلاء السفراء الأربعة جميع أصحاب الأئمة عليهم السلام - كما يظهر من كلمات العلماء - مرتبةً وفضلاً، وفازوا بالنيابة عن الإمام عليه السلام وسفارته، وكانوا الوسطة بينه وبين الرعية خلال سبعين عاماً، وجرى على أيديهم كرامات

(١) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٦ و ٢٩٧).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ١٧٨ و ١٧٩).

(٣) الغيبة للنعماني (ص ١٦٤).

(٤) تقريب المعارف (ص ٤٢٧ و ٤٢٨).

٦٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

كثيرة وخوارق لا تُحصى، وغير خفي أنّهم في مماتهم أيضاً وسائط^(١)، فمن اللازم أن يبلغوا الإمام ﷺ ما يُكتب في الحاجات والشدائد من الرقاع عن طريقهم وبوسيلتهم، فإنّ عظيم فضلهم ومنزلتهم ممّا لا يحده البيان. وهنا أربعة أبواب...

* * *

(١) روى الطوسي وابن طامس رحمهما الله زيارة للسفراء مروية عن الشيخ النوبختي. راجع: تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ١١٨)، مصباح الزائر (ص ٥١٤).

وذكر الكفعمي رحمته الله كيفية كتابة الرقاع لهم عند اشتداد الأهوال والأحوال. راجع: البلد الأمين (ص ١٥٧ و ١٥٨).

وكذا كيفية الاستغاثة بهم. راجع: أنيس العابدين (ص ٤٠)، نقلاً عن كتاب السعادات. إنّ من وظيفة الوافدين لزيارة العتبات المقدّسة في العراق أثناء إقامتهم في مدينة الكاظمين هو التوجّه إلى بغداد لزيارة هؤلاء النوّاب الأربعة وزيارة قبورهم، لا يُطلب من الزائر بذل كثير من الجهد، فهي مجتمعة في بغداد غير بعيدة عن الوافدين، وهي لو كانت منتشرة في أقاصي البلاد لكان يحقّ أن تُشدّ إليها الرحال ويُطوى في سبيلها المسافات الشاسعة ويُتحمل متاعب السفر وشدائده لنيل ما في زيارة كلّ منهم من الأجر.

الباب الأول:

السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام

عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه

المبحث الأول:

عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه في الميزان

عثمان العمري هو الوكيل ابن سعيد ثقة جليل^(١) وهو عثمان بن سعيد العمري أو المعموري، كنيته: أبو عمرو، وألقابه عديدة، منها: السَّمَان، الزيَّات، العسكري، الأَسدي، العمروي، أو العمري، وغيرها، وكان العمري أشهرها نسبةً إلى جدِّه عمرو، ويُلقَّب أيضاً بالأَسدي^(٢).
وإنَّما سُمِّي العمري لأنَّ الإمام العسكري عليه السلام قال: «لَا يُجْمَعُ عَلَيَّ إِمْرِي بَيْنَ عَثْمَانَ وَأَبِي عَمْرٍو»، وأمر عليه السلام بكسر كنيته، فقيل: العمري^(٣).
وقيل: إنَّه لُقِّبَ به نسبةً إلى أمِّه التي يعود نسبها إلى عمر الأَطرف ابن أمير المؤمنين عليه السلام^(٤).

وأما السمعاني فقد ضبطه وقال: العمري - بفتح العين وسكون الميم وكسر الراء - نسبةً إلى بني عمرو بن عامر بن ربيعة، وعمرو بن حريث^(٥)،

(١) بجهة الآمال (ج ٥ / ص ٣٣٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٣ و ٣٥٤).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤ / ح ٣١٤).

(٤) سفينة البحار (ج ٦ / ص ١٤٥).

(٥) المقصود بابن حريث هو الصيرفي الكوفي الأَسدي، قال التبريزي رحمته الله في وقائع الأيام (ص ٣٣٩) ما لفظه: ليس المقصود بابن حريث الذي كان من أصحاب أمير المؤمنين ثم صار من أصحاب ابن زياد، وهو الذي قطع لسان ميثم التمار. راجع: مجالس المؤمنين (ج ٢ / ص ٢٥ و ٢٦).

٧٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وغيرهما^(١). وقيل: إنه من ولد عمّار بن ياسر^(٢).

أمّا تسميته بالعسكري، فلكونه من عسكر سامراء كما ذكره

الطوسي^(٣).

وأما تلقيبه بالسّمان والزيّات، فلأنّه كان يتجر في السمن تغطيةً على الأمر،
وَكَانَ الشَّيْعَةَ إِذَا حَمَلُوا إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ - العسكري - عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ حَمْلُهُ مِنَ
الْأَمْوَالِ، أَنْفَذُوا إِلَى أَبِي عَمْرٍو، فَيَجْعَلُهُ فِي جِرَابِ السَّمْنِ وَزِقَاقِهِ وَيَحْمِلُهُ إِلَى أَبِي
مُحَمَّدٍ - العسكري - عَلَيْهِ السَّلَامُ تَقِيَّةً وَخَوْفًا^(٤).

ولم تشر النصوص التاريخية إلى أسرته ووضع العائلي والاجتماعي سوى
أنّ له ابناً اسمه (محمد) كان قد تصدّى لمنصب السفارة بعد أبيه، وأنّ له ابناً آخر
اسمه أحمد، ولا نعرف عنه شيئاً سوى أنّ لهذا ابناً أيضاً كان اسمه (محمد) وقد
انحرف عن مذهب الأئمة عليهم السلام فترة سفارة عمّه أبي جعفر العمري، وخرج
توقيع من الإمام المهدي ﷺ في لعنه والبراءة منه^(٥).

لقد حظي عثمان بن سعيد العمري بمرتبة عالية ودرجة رفيعة عند
الإمام الهادي عليه السلام في سامراء، قال الطوسي عليه السلام: فأما السفراء الممدوحون في
زمان الغيبة فأولهم من نصبه أبو الحسن عليّ بن محمد الهادي وأبو محمد
الحسن بن عليّ ابنه^(١)، وكان قد خدم الهادي عليه السلام وله أحد عشر عاماً، وكان

(١) الأنساب للسمعاني (ج ٤ / ص ٢٣٨).

(٢) تأسيس الشيعة (ص ٤١٠).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع: الغيبة للطوسي (ص ٤١٢ - ٤١٤)؛ هذا ولكن لم نجد توقيعاً من الإمام المهدي ﷺ في
لعنه والبراءة منه.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٣).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري عليه السلام ٧١

له إليه عهد معروف^(١)، وقد سلط الإمام عليه السلام الأضواء عليه، وأوصى الشيعة به في كثير من مجالسه، حتى قال عليه السلام في يوم للشيعة: «مَا قَالَه لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ، وَمَا أَدَاهُ إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيهِ»^(٢)، حتى كان عموم الناس يقصدونه في حوائجهم من كل بلد^(٣)، فيخرج لهم ما احتاجوا أن يسألوه من صاحب الأمر بالأمر والنهي^(٤).

أثنى عليه علماء الفريقين مع بقية السفراء، فقد ذكر ابن طاوس عليه السلام أن نصر بن علي الجهضمي - وهو من أبناء العامة - ذكر حال هؤلاء الوكلاء والسفراء وأسماؤهم، وأنهم كانوا وكلاء المهدي عليه السلام، وقال: إن أمرهم أشهر من أن يحتاج إلى الإطالة^(٥).

وذكر الكيدري أيضاً في (بصائرهم)، وابن الأثير في (الكامل)^(٦)، وأبو الفداء في (المختصر)^(٧)، والياضي في (المرآة)^(٨)، وابن مسكويه في (تجارب الأمم)^(٩)، ورضا كحالة في (معجمه)^(١٠)، والذهبي في (سير أعلام النبلاء)^(١١)،

(١) رجال الطوسي (ص ٣٨٩ / الرقم ٥٧٤١ / ٣٦).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤ و ٣٥٥ / ح ٣١٥).

(٣) سفينة البحار (ج ٦ / ص ١٤٦).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ / ح ٣١٨).

(٥) الطرائف (ص ١٨٤).

(٦) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٠٩).

(٧) تاريخ أبي الفداء (ج ٢ / ص ٦٩).

(٨) مرآة الجنان (ج ٢ / ص ٢١٤).

(٩) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ١٩٥).

(١٠) معجم المؤلفين (ج ٤ / ص ٨).

(١١) سير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٢ - ٢٢٤).

٧٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

والصفدي في (الوافي)^(١)، وغيرهم^(٢)، حال هذا السفير وحسن سيرته^(٣)، وأثنوا عليه، وهو يُكذَّب ادّعاء أحمد أمين المصري حول هؤلاء السفراء، والتي تدور هذه الدراسة حول هذا الموضوع.

أمّا علماء الشيعة فقد أجمعوا عليه قديماً وحديثاً، وقد ذكرنا بعض النصوص الواردة عن قدامى العلماء حولهم، أمّا المتأخرون منهم فقد أثنوا عليه قاطبةً أيضاً، قال السيّد الصدر رحمته الله بعد ترجمته: هو الشيخ الربّاني الوحيد الذي ليس له ثابن في المعارف والأخلاق والفقه والأحكام، شيخ الشريعة على الإطلاق، وصاحب الكرامات والدلالات^(٤).

وقال القمّي رحمته الله: هو أوّل النوّاب الأربعة، ورد في شأنه من الجلالة والعدالة والأمانة أكثر من أن يُذكر، وهو أجَلُّ وأشهر من أن يصفه مثلي^(٥).

وقال البهائي رحمته الله: إنَّ عثمان بن سعيد ثقة، وجيليل القدر^(٦).

لقد انفردت الشيعة الإمامية بفكرة السفارة من بين فرق الشيعة كما قال النوبختي في (فرقه): فهذا سبيل الإمامة والمنهاج الواضح اللّاحب الذي لم تنزل الشيعة الإمامية الصحيحة التشيع عليه^(٧).

وكانت بداية الغيبة من أصعب الفترات على الأمة بعد أن اعتادت على

(١) الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٦ و ٢٢٧).

(٢) صلة تاريخ الطبري (ص ٩٨)، لسان الميزان (ج ٢ / ص ٢٨٣ و ٢٨٤ / الرقم ١١٧٧).

(٣) المصادر المذكورة إنّما ذكرت حال الحسين بن روح النوبختي رحمته الله، فتنبّه.

(٤) تأسيس الشيعة (ص ٤١٠ و ٤١١).

(٥) سفينة البحار (ج ٦ / ص ١٤٣).

(٦) منهج المقال (ج ٧ / ص ٢٣٥ و ٢٣٥ / الرقم ٣٧٣٣)؛ وراجع: رجال الطوسي (ص ٣٨٩ /

الرقم ٣٦/٥٧٤١)، والاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٧٧)، وغيرها.

(٧) فرق الشيعة (ص ١١٢).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ٧٣
مشاهدة الأئمة عليهم السلام واللقاء بهم، وظهرت الانقسامات والتناحر في صفوفها، حتّى
إنّ الشيعة انقسمت إلى أربعة عشرة فرقة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام^(١).
وهكذا بقيّة المذاهب الإسلاميّة.

وفي تلك الظروف الصعبة ابتداء عثمان بن سعيد العمري مهمّته في الإعلام
عن وجود الإمام المهدي ﷺ، وإخراج التوقيعات والمعجزات عن طريقه من
الإمام المهدي ﷺ، لبيان صدق دعواه في أمر السفارة، مذكراً بأنّ لهم
بالأحاديث المرويّة عن النبي ﷺ في الإمام المهدي ﷺ الذي تكون له غيبتان
إحداهما صغرى والأخرى كبرى، وإقناع الأئمة بما امتلكه عثمان من معرفة تامّة
بطرق المحاورات وفنون الجدل وقوّة المحاجّة في إثبات المحجّة بوجود الإمام
المهدي ﷺ حياً يراهم ولا يرونه ويعرفهم ولا يعرفونه، ومراقبة تحركات
السلطات عن كذب للابتعاد عن الضجيج السياسي والإعلامي، وما يمكن أن
تخلقه له من مشاكل، وتحذيره أصحابه الثقاة من الإعلان عن اسم الإمام ﷺ أو
الإدلاء على مكانه.

وذاع صيته في البلاد الإسلاميّة، وعرفه القاصي والداني من ثقاة الأئمّة
وأصحابهم، فقد روى العلامة ﷺ في (خلاصته) عن أبي العباس الحميري شيخ
القميين، قال: كنّا كثيراً ما نذكر قول الإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام في عثمان
ابن سعيد العمري رضي الله عنه، وَتَوَاصَفُ جَلَالَةَ مَحَلِّ أَبِي عَمْرٍو^(٢).

قول أهل اليمن فيه: إنّ عثمان بن سعيد العمري لمن خيار الشيعة، وإثمهم
ازدادوا علماً بوضعه من خدمة الإمام ﷺ وكونه وكيله وثقته على مال الله تعالى^(٣).

(١) فِرَق الشيعة (ص ٩٦)، المقالات والفرق (ص ١٠٢)، الملل والنحل (ج ١ / ص ١٧٠).

(٢) رواه الطوسي رضي الله عنه في الغيبة (ص ٣٥٥)؛ ولم نجده في خلاصة الأقوال.

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٥ و٣٥٦ / ح ٣١٧).

وكذا معرفة أهالي بغداد له، فقد ذكر عبد الله بن جعفر الحميري لِمَا رجع من الحجّ أَنَّهُ دخل على أحمد بن إسحاق في بغداد، فوجد عنده عثمان بن سعيد العمري، فأشار إلى أحمد بن إسحاق قائلاً: إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ - يقصد أحمد بن إسحاق - وَهُوَ عِنْدَنَا الثَّقَةُ المَرُضِيُّ، حَدَّثَنَا فِيكَ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْهُ مِنْ فَضْلِ أَبِي عَمْرٍو وَمَحَلِّهِ، وَقُلْتُ: أَنْتَ الْآنَ مِمَّنْ لَا يُشَكُّ فِي قَوْلِهِ وَصِدْقِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ قَائِلاً: أَسَأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ وَبِحَقِّ الْإِمَامَيْنِ الَّذِينَ وَتَّقَاكَ، هَلْ رَأَيْتَ ابْنَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: عَلَى أَنْ لَا تُخْبِرَ بِذَلِكَ أَحَدًا وَأَنَا حَيٌّ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، قَالَ - العمري -: قَدْ رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَعْنَتُهُ هَكَذَا - يُرِيدُ أَنَّهَا أَعْلَظُ الرِّقَابِ حُسْنًا وَتَمَامًا -. ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْاسْمِ، فَقَالَ العمري: مُهِيتُمْ عَنْ هَذَا^(١).

وبقيت الأمة بأجمعها مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد وثقته وأمانته إلى أن تُوفِّيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢)، بعد أن كان عموم الناس يقصدونه في حوائجهم من كلِّ بلد^(٣)، فيُخرج لهم الأجوبة والتوقيعات من صاحب الأمر ﷺ بالأمر والنهي عمّا يسألونه إذا احتاجوا إلى السؤال فيه^(٤).
هذه هي منزلته عند الأمة.

أما منزلته عند الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فقد ذكرت النصوص التاريخية أن عثمان بن سعيد العمري كان قد خدم الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ وله أحد عشر عاماً، وكان له عهد معروف^(١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٥ / ح ٣١٦).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦).

(٣) سفينة البحار (ج ٦ / ص ١٤٦).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦).

(١) قد تقدّم في (ص ٧٠ و٧١)، فراجع.

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ٧٥

وكان الإمام الهادي عليه السلام قد قَدِمَ إلى سامراء استجابةً للرسالة التي بعثها المتوكل العباسي إليه وهو في المدينة، وقد أعرب فيها عن حبه للإمام عليه السلام وإحلاله وإعظامه محلّه ومنزلته ظاهراً، واعترف فيها ببراءته وصدق نيّته، وأنّه أوعز بعزل واليه عبد الله بن محمّد في المدينة لإيذائه الإمام عليه السلام، ودعاه بالشخص إلى سامراء مع من اختار من أهل بيته ومواليه سريعاً^(١).

ودخل الإمام عليه السلام سامراء عام (٢٣٤هـ)^(٢)، وكانت إقامته فيها عشرين عاماً إلى أن تُوفّي فيها^(٣) عام (٢٥٤هـ)^(٤).

فكان العمري من مقرّبي الإمام عليه السلام، وخواصّه في حفظ أسرارهِ، وباباً له مع حداثة سنّه وصغره، ثمّ عيّنه الإمام الهادي عليه السلام أميناً على بيت المال واستلام الأموال من الأُمّة ثمّ توزيعها على مستحقّيها^(٥)، وقد كانت الأموال تصله من البلاد الإسلاميّة كما ذكر ذلك أحمد أمين المصري واعترف بهذه الحقيقة بعد أن أرعبته كثيراً حتّى سعى إلى توجيه التّهم والافتراءات الشيعة ضده.

لقد جاء في النصوص التاريخيّة أنّه كانت تُنفَق الأموال الضخمة في مشاريع يعود نفعها على الأُمّة، فقد روى ابن شهر آشوب رحمته الله أنّ جماعة من وجهاء الشيعة ومنهم أحمد بن إسحاق الأشعري وافد القميين وشيخهم وعليّ ابن جعفر الهمداني دخلوا على أبي الحسن الهادي عليه السلام، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فقال عليه السلام مخاطباً عثمان بن سعيد العمري: «يا أبا عمرو -

(١) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٠٩).

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ١٠٨).

(٣) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٠٥).

(٤) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣١١)، تاريخ الطبري (ج ٧ / ص ٥١٩)، وفيات الأعيان (ج ٣ /

ص ٢٧٣)، تاريخ ابن الوردي (ج ١ / ص ٢٢٣).

(٥) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥١٢).

٧٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وَكَانَ وَكَيْلَهُ -، إِذْفَعُ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَإِلَى عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَخُذْ أَنْتَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ».

ثم قال ابن شهر آشوب رحمته الله معلّقاً على هذه الرواية: فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء^(١).

ولعلّ الذي منع الإمام عليه السلام من صرفها على الأمة بنفسه - ولو ظاهراً - هو الإقامة الجبرية التي فرضتها السلطات على الإمام، والمضايقات المتوالية على تحركاته.

لقد عاصر عثمان بن سعيد العمري فترة وكالته عن الإمام الهادي عليه السلام جماعة من الخلفاء كان المتوكّل العباسي أشدّهم على الإمام وأصحابه، وقد حكم أربعة عشر عاماً بالحديد والنار، وكان عاقبة أمر المتوكّل قتله على يدي الأتراك عام (٢٧٤هـ) شرّاً قتلة، وهو مشغول باللهو والشراب.

ثم جاء بعده المنتصر والمستعين وقسماً من خلافة المعتز بالله، وقد حاول الإمام الهادي عليه السلام في محنته أن يواجه تيار الانحراف القائم في السلطة والأمة، والحفاظ على أصحابه من إرهاب الحكّام وحمايتهم من البطش والإيذاء، وسعى إلى قضاء حوائجهم وتركيز ثقته المطلقة بهم، وتأمين مستلزمات الأمة، وقد حاز الإمام على الموقع القيادي الممتاز في البلاط العباسي، فكان لهذا دور كبير في إبعاد الخطر عنه مرّات عديدة عندما احتجزته السلطات في البلاط، وأخذت تراقب جميع تحركاته، واستدعائها له متى اقتضى الأمر، بعد أن كان عليه السلام مسؤولاً عن الذهاب إلى بلاط الخليفة كلّ اثنين وخميس^(١)، وربّما

(١) المصدر السابق.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢١٥)، مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٣٣)؛ هذا وفيها: (أبو محمد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري عليه السلام ٧٧

شارك موكب السلطان في الخروج إلى الصيد^(١)، وكان موقفه منها مشوباً بالحذر والكتمان، وهو مع كل ذلك يستلم الأموال والأسئلة التي تصله من شتى البلاد الإسلامية، وصرّفاً في مواردها، والإجابة عن تلك التساؤلات برمزية وخفاء.

إننا - ومهما بلغ بنا الخيال - لا نتصوّر وصول تلك المبالغ التي كانت تصله إلى هذا المستوى كما ورد في رواية ابن شهر آشوب عليه السلام المتقدمة، وهي إن صُرّفت فهي مصروفة في مشاريع يعود نفعها على الأمة، لأنّ الدين لا يمكن وصوله إلى هذا المستوى - كما جاء في الرواية - إلا أن يكون ديناً في عمل اجتماعي واسع هو أكبر من المصالح الشخصية والمسؤولية العائلية.

أمّا على المستوى الثقافي والعلمي، فقد افتتح الإمام عليه السلام - وهو في مسلك الخفاء والحذر - دورات تثقيفية وعقائدية لتدريس مختلف العلوم، ومحاجة أصحابه الفرق الإسلامية الأخرى، وفتح روح الحوار السليم، ومن بينهم محاجة عثمان بن سعيد العمري لهم بعد أن عرف بنوغه وقوة استدلاله وسرعة بديهته، ويُعزى إلى بعض العلماء القول بعصمته^(٢).

روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن أحمد بن إسحاق القميّ، قال: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ - الهادي - عليه السلام فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، أَنَا أَعِيبٌ وَأَشْهَدُ، وَلَا يَتَهَيَّأُ لِي الْوُصُولُ إِلَيْكَ إِذَا شَهِدْتُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَقَوْلَ مَنْ نَقْبُلُ، وَأَمْرَ مَنْ نَمْسَلُ؟! فَقَالَ عليه السلام: «هَذَا أَبُو عَمْرٍو، أَلْتَقَّةُ الْأَمِينِ، مَا قَالَ لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ، وَمَا آدَاهُ إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيه»^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥١٦).

(٢) راجع: مفاتيح الجنان (ص ٧١٠).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤ / ح ٣١٥).

وقوله ﷺ أيضاً: «الْعَمْرِيُّ ثِقْتِي، فَمَا أَدَّى إِلَيْكَ عَنِّي فَعَنِّي يُؤَدِّي، وَمَا قَالَ لَكَ عَنِّي فَعَنِّي يَقُولُ، فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، فَإِنَّهُ الثَّقَةُ الْمَأْمُونُ»^(١).

لقد قام الإمام الهادي ﷺ بالتمهيد للغيبة، حيث اتخذ استراتيجية واضحة وأسلوباً حديثاً وجديداً من خلال تطبيقه مسلك الاحتجاب على نفسه عن كثير من مواليه إلا عن عدد قليل من خواصه^(٢)، وتذكيره الأمة بأحاديث الغيبة المروية عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، لإشعارهم بقرب الولادة ودنو الأجل، وتحضير الذهنية العامة لتقبل هذه الفكرة بعد أن اتخذ نظام الوكلاء، وكان عثمان بن سعيد العمري في قمة هذا النظام نظراً لما امتلكه من مؤهلات، وأن له شأناً مع الإمام المهدي ﷺ ستعرفه الأمة بعد التفافها حوله.

أما موقف الإمام العسكري ﷺ منه ﷺ:

فقد ذكرت النصوص التاريخية أن الإمام الحسن العسكري ﷺ كان قد قدم برفقة أبيه وله من العمر ستان، وقد عاش فيهما تلك الظروف والملابسات التي مرَّ بها أبوه من قبله، فتلقاها بصمت وضبط وإتقان، استعداداً لتولي منصب الإمامة من بعد أبيه الهادي ﷺ، فكان عمره - لَمَّا تُوِّفِي أبوه (٢٥٤هـ)^(١) أيام خلافة المعتز بالله وقبل خلعه بعام واحد أي عام (٢٥٥هـ)^(٢) - قد بلغ اثنين وعشرين عاماً، ثم واكب بقية أيام إمامته خلافة المعتز، ثم المهدي الذي ثار عليه

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٢٩ و ٣٣٠ / باب في تسمية من رآه ﷺ / ح ١)، الغيبة للطوسي (ص ٣٦٠ / ح ٣٢٢).

(٢) إثبات الوصية (ص ٢٧٢)، منتهى الآمال (ج ٢ / ص ٦٥١).

(١) قد تقدّم في (ص ٧٥)، فراجع.

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ١٩٥).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضى الله عنه ٧٩
الأتراك وقتلوه عام (٢٥٦هـ)^(١)، وحلّ مكانه الخليفة المعتمد، فعاصر أربعة
أعوام من خلافته حتى تُوفي عام (٢٦٠هـ)^(٢).

إنّ دراسة مواقف الإمام العسكري رضى الله عنه وسياسته تجاه السلطة
والانحراف المتمثّل فيها وفي الأُمَّة تشير إلى التشابه الكبير مع سياسة أبيه الإمام
عليّ الهادي رضى الله عنه باعتبارهما يستقيان من معين واحد، وهي امتداد لسياسة آباءه
من قبل، بعد أن كانت السياسة الحاكمة مرتكزة على ثلاث ركائز أساسية، هي:
تقريب الإمام العسكري وأبيه من البلاط العبّاسي ودعجه بالحاشية، ومراقبته
والفحص عن أُموره جملةً وتفصيلاً، وإكرامه واحترامه ظاهراً لذرّ الرماد في
العيون وإسكات المعارضين، فكان الإمام الحسن العسكري رضى الله عنه محجوزاً في
بلاط سامراء، ومسؤولاً عن الذهاب إلى بلاط الخليفة كلّ اثنين وخميس^(٣)، وربّما
يُدعى للحضور في موائد أبناء الخلفاء^(٤)، وهكذا خلت مواقف الإمام الحسن
العسكري رضى الله عنه من الضجيج الإعلامي والسياسي الذي كان من الممكن أن يُثار
تجاه أبيه الهادي رضى الله عنه، فالحذر الشديد والخفاء كان واضحاً على تحركات
الإمام رضى الله عنه من خلال كتاباته وعلاقاته مع أصحابه وغيرهم، فالكتابات مثلاً
تعرب عن ألم الإمام رضى الله عنه وضيق صدره بأفعال السلطة وتصرفاتها الطائشة مع
ذلك التيّار الفكري المنحرف، فمثلاً يُرسل الإمام رسالة إلى أحد أصحابه قبل
موت المعتزّ بعشرين يوماً قائلاً: «الزَمَ بَيْتَكَ حَتَّى يَحْدُثَ الْحَادِثُ»، فَلَمَّا قُتِلَ بُرِيحَةُ

(١) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٢٢٨).

(٢) إعلام الوريّ (ج ٢ / ص ١٣١)، تاريخ ابن الوردي (ج ١ / ص ٢٢٧)، الفصول المهمّة لابن
الصّبّاغ (ج ٢ / ص ١٠٨٩).

(٣) قد تقدّم في (ص ٧٦)، فراجع.

(٤) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥١٧)، وفيه: (أبو الحسن الهادي رضى الله عنه).

٨٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

كَتَبَ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ: قَدْ حَدَّثَ الْحَادِثُ، فَمَا تَأْمُرُنِي؟ فَأَجَابَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ: «لَيْسَ هَذَا الْحَادِثُ، الْحَادِثُ الْآخِرُ»، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُعْتَزِّ مَا كَانَ^(١)، حَيْثُ قُتِلَ بِيَدِ الْأَتْرَاكِ عَامَ (٢٥٥هـ) بِسَبَبِ امْتِنَاعِهِ عَنِ دَفْعِ الرُّوَاتِبِ وَالْأَرْزَاقِ إِلَى الْجُنْدِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ قَدْ امْتَنَعَتْ عَنِ مَسَاعِدَتِهِ بِالْمَالِ، وَزَعَمَتْ أَنَّ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ، فَقُتِلَ ابْنُهَا شَرًّا قَتْلَةً^(٢)، وَبَعْدَ قَتْلِهِ وَجَدُوا عِنْدَهَا أَمْوَالًا لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنِ! وَلَمَّا حُمِلَ إِلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ سَبَّهَا وَقَالَ: عَرَّضْتُ ابْنَهَا لِلْقَتْلِ فِي خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعِنْدَهَا هَذِهِ الْأَمْوَالُ كُلُّهَا^(٣).

وقد كان للسلطات محاولات عديدة لإيذاء الإمام عليّ بن أبي طالب أو القضاء عليه إن تمكّنت، بسبب ما أوجده الإمام لها من المتاعب، ومن تلك المحاولات محاولة المعتزّ الذي أصدر أوامره لسعيد الحاجب - وهو أحد أزلام النظام - ليقتل الإمام عليّ بن أبي طالب بعيداً عن عيون الناس، فقال له المعتزّ: أَخْرِجْ أَبَا مُحَمَّدٍ إِلَى الْكُوفَةِ، ثُمَّ اضْرِبْ عُنُقَهُ فِي الطَّرِيقِ.

قال الراوي: فَجَاءَ تَوْقِيعُهُ عَلِيًّا إِلَيْنَا: «الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ تُكْفَوْنَهُ»، فَخُلِعَ الْمُعْتَزُّ بَعْدَ ثَلَاثِ وَقْتَلٍ^(١).

وكانت للمهتدي محاولة أخرى حيث أمر بسجن الإمام عليّ بن أبي طالب وأخذ يتهدده ويتوعده بالقتل، فوقع عليّ بن أبي طالب بخطه: «ذَلِكَ أَقْصَرُ لِعُمْرِهِ، عُدَّ مِنْ يَوْمِكَ هَذَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَيُقْتَلُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ بَعْدَ هَوَانٍ وَاسْتِخْفَافٍ يَمُرُّ بِهِ»^(٢).

(١) الكافي (ج ١ / ص ٥٠٦ / باب مولد أبي محمد الحسن بن عليّ بن أبي طالب / ح ٢).

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ١٩٥ و ١٩٦).

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٢٠٠).

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٣١).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٥١٠ / باب مولد أبي محمد الحسن بن عليّ بن أبي طالب / ح ١٦).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ٨١

وأخبر عليه السلام بموته في السجن، فقال لأحد أصحابه: «فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ يَبْتَرُ اللَّهُ عُمُرَهُ»، قال الراوي: فَلَمَّا أَصْبَحْنَا شَعَبَ الْأَتْرَاكُ، وَقَتَلَ الْمُهْتَدِيَّ^(١)، وكان كما قال الإمام^(٢).

وكانت أيام الخليفة المهدي ثقيلة على العامة والخاصة، فاستطالوا خلافته، وسئموا أيامه، وعملوا الحيلة عليه حتى قُتِلَ^(٣).

وهناك محاولات للمعتمد أيضاً للقضاء على الإمام عليه السلام، منها: إصداره أوامره بسجن الإمام عليه السلام مع مجموعة من أصحابه الطالبيين، فبقوا في السجن أياماً ثم خرجوا منه^(٤).

ورافقت وكالة عثمان بن سعيد العمري عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام حوادث عديدة، أهمّها: تأسيس دولة أحمد بن طولون في مصر، وسيطرة الحسن ابن يزيد العلوي على طبرستان، واستمرار حركة صاحب الزنج التي دامت خمسة عشر عاماً، وكانت من أخطر الحركات تهديداً للإسلام، وسيطرة الموالي والأتراك وجماعة آخرين كالموفق طلحة بن المتوكل، ممّا أدّى إلى ضعف الخلافة في هذه الفترة بالذات تماماً، وتصاعد الضغط وحملات التفتيش والعنف ضدّ الإمام عليه السلام وأصحابه، وقد استطاع الإمام عليه السلام بمعرفته احتواء ذلك الوضع لصالحه واتّخاذ استراتيجية واضحة ومتكاملة في أسلوب التعامل مع السلطات والأمة من جهة وأصحابه من جهة أخرى. وإليك أهمّها:

أولاً: مسلك الاحتجاب والاختفاء:

لقد استساغ الإمام العسكري عليه السلام هذا المنهج الخاصّ لتهيئة الذهنيّة

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٣٠)؛ ورواه الطوسي رضي الله عنه في الغيبة (ص ٢٠٥ / ح ١٧٣).

(٢) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٣٣).

(٣) مروج الذهب (ج ٤ / ص ٩٦).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٢٢٧ / ح ١٩٤).

٨٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

العامة لفهم هذا الأسلوب، قال المسعودي: وحين أفضى الأمر إلى الحسن العسكري عليه السلام كان يتكلم من وراء الستار مع الخواص وغيرهم، إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان^(١).

ثانياً: تجديد نظام المكاتب:

لقد نجح الإمام عليه السلام في صياغة هذا المنهج، وصبغه بلون متناسب معه ليؤتي ثماره، وصار الاتصال بالإمام عليه السلام لا يتم إلا عن طريق هذا الأسلوب، فهذا تختلج مسألتيان في صدره فيكتبها إليه^(٢)، وأبو هاشم الجعفري يضيق به الحبس وكتب الحديد فيكتب له عليه السلام^(٣)، ويكتب لأصحابه أيضاً مبشراً لهم بموت المعتز والمهتدي والزبيري^(٤).

ثالثاً: نظام الوكلاء:

لقد اعتادت الأمة هذا النظام ردهاً من الزمن، وكان الارتباط بالبلاد البعيدة إنما يتم من خلال هذا النظام، حيث يتم المكاتبات وقبض الأموال من خلال الوكلاء الذين عينهم الإمام عليه السلام، ويتصدّرهم عثمان بن سعيد العمري، فقد تصدّى الإمام العسكري للإمامة بعد أبيه (٢٥٤هـ) وعمر وكيله عثمان إحدى وثلاثين عاماً. إن تلك الظروف القاسية هي التي جعلت الإمام يضاعف من مسلك الكتمان والحذر، واعتماده على أصحابه وخاصة ممن يكون لهم شأن في حياة ابنه الإمام المهدي عليه السلام، فأمر أصحابه بالرجوع إلى عثمان في حوائجهم واستلام الأجوبة منه.

(١) إثبات الوصية (ص ٢٧٢)، منتهى الآمال (ج ٢ / ص ٦٥١).

(٢) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٣١).

(٣) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٣٠).

(٤) كشف الغمّة (ج ٣ / ص ٢١٣).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ٨٣

روى الطوسي رضي الله عنه بإسناده عن أحمد بن إسحاق القمي الأشعري، قال: لَمَّا مَضَى أَبُو أَحْسَنِ - الهادي - عليه السلام وَصَلَتْ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِهِ أَحْسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام ذَاتَ يَوْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ عليه السلام مِثْلَ قَوْلِي لِأَبِيهِ، وَسَأَلْتَهُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمْرِيِّ، فَقَالَ لِي: «هَذَا أَبُو عَمْرٍو الثَّقَةُ الْأَمِينُ، ثِقَةُ الْمَاضِي، وَثِقَتِي فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، فَمَا قَالَ لَكُمْ فَعَنِّي يَقُولُهُ، وَمَا أَدَى إِلَيْكُمْ فَعَنِّي يُؤَدِّيهِ»^(١).

وكرر الإمام الحسن العسكري عليه السلام هذا الثناء على أصحابه والوافدين إليه من الأقطار البعيدة لمرات عديدة وفي محافل أخرى، فمثلاً لما قدم الوفد اليمني لزيارة الإمام عليه السلام وهو يحمل معه الأموال والأستلة، وقد حضر مع هذا الوفد كبار الشخصيات، فأطلعهم الإمام عليه السلام على أمور غيبية، وأثنى على عثمان ابن سعيد العمري فيه.

روى الطوسي رضي الله عنه بإسناده عن الحسين بن أحمد الخصبي، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيَّانِ، قَالَا: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ - ابن علي العسكري - عليه السلام بِسَرٍّ مَنْ رَأَى وَيَبِينُ يَدَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ بَدْرٌ خَادِمُهُ، فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ، بِالْبَابِ قَوْمٌ شَعْتُ غُبْرًا، فَقَالَ هُمْ: «هُؤُلَاءِ نَفَرٌ مِنْ شِيعَتِنَا بِالْيَمَنِ» - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَسُوقَانِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى أَنْ قَالَ الْحَسَنُ عليه السلام لِبَدْرِ: «فَامْضِ فَاتَّبِنَا بِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمْرِيِّ»، فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى دَخَلَ عُثْمَانُ، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: «امْضِ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّكَ الْوَكِيلُ وَالثَّقَةُ الْمَأْمُونُ عَلَى مَالِ اللَّهِ، وَاقْبِضْ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الْيَمَنِيِّينَ مَا حَمَلُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِ»، ثُمَّ سَأَا الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَا: ثُمَّ قُلْنَا بِأَجْمَعِنَا: يَا سَيِّدَنَا، وَاللَّهِ إِنَّ عُثْمَانَ لَمِنْ خِيَارِ شِيعَتِكَ، وَلَقَدْ زِدْتَنَا عِلْمًا بِمَوْضِعِهِ مِنْ خِدْمَتِكَ، وَإِنَّهُ وَكَيْلِكَ وَثِقَتِكَ عَلَى

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤ و ٣٥٥ / ح ٣١٥).

٨٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

مَالِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي نَوْعٍ: «نَعَمْ، وَاشْهَدُوا عَلِيَّ أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ سَعِيدٍ الْعَمْرِيَّ وَكَيْلِي، وَأَنَّ ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَكَيْلُ ابْنِي مَهْدِيَّكُمْ»^(١).

ويتضح عدّة أمور من هذه الرواية، هي:

أولاً: تصريحه ﷺ بوجود ولد له، وأنه هو المهدي ﷺ الذي بشرت به

الروايات عن النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام، وتبشيرهم بقرب ولادته.

ثانياً: تصريحه بأن له غيبتين إحداهما صغرى والأخرى كبرى.

ثالثاً: تصريحه بوجود السفارة والسفراء عنه في غيبته.

رابعاً: تصريحه باسم السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ، وهو محمد بن عثمان

العمري. وكان ﷺ قد صرح بأسماء بعض السفراء في عدّة مشاهد أمام

الكثيرين من أصحابه وقد بلغوا أربعين رجلاً، فقال لهم: «فَاقْبَلُوا مِنْ عَثْمَانَ مَا

يَقُولُهُ، وَانْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ، وَاقْبَلُوا قَوْلَهُ، فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ، وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ»^(٢)،

وقوله ﷺ أمام الوفد القمي: «هَذَا أَبُو عَمْرٍو الثَّقَةُ الْأَمِينُ، ثِقَةُ الْمَاضِي، وَثِقَتِي

فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(٣).

خامساً: تسالم الأئمة عليه، وقبول سفارته من خلال تجربتها معه ومعرفتها

صدقه، وصحة ما انتسب إليه بإظهاره الأجوبة العجيبة والكرامات والمعجزات

من إمامه الغائب ﷺ.

أما موقف الإمام المهدي ﷺ من عثمان بن سعيد العمري:

فقد ذكرت النصوص التاريخية أن الإمام المهدي ﷺ كان قد وُلد عام

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٥ و ٣٥٦ / ح ٣١٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٧ / ح ٣١٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤ / ح ٣١٥).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضى الله عنه ٨٥

(٢٥٦هـ)^(١)، وكان عمر أبيه أربعة وعشرين عاماً، وكان قد واكب مسيرة أبيه الجهاديّة، ورأى المجتمع الصاحب، والرقابة الشديدة المفروضة على الإمام العسكري رضى الله عنه باعتباراه الرجل المثالي في عبادته وأخلاقه وعلمه ونسبه في نظر الجميع^(٢)، فهو قائد المعارضة ضدّ السلطة الحاكمة، والأهمّ من هذا كونه سيّوّد له ولد اسمه المهدي ﷺ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولكن الإمام العسكري رضى الله عنه ترك الإعلان عن ولادة ابنه المهدي ﷺ تماماً، وكأنّ شيئاً لم يحدث، وترك الأحداث تجري في مسيرها الطبيعي دون أيّ إشارة للسلطات، وساعده على تطبيق هذه الاستراتيجية تطبيقه مسلك الاحتجاب والكتمان عن أصحابه ومواليه، وهو يهدف إلى أمرين: تعويد الناس على قبول فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة، واحتواء الوضع لصالحه مستقطباً المهامّ والحوادث التي يعيشها بعيداً عن الضوضاء وتسليط الأضواء.

وقد رافق تطبيقه هذا المنهج حوادث عديدة، منها: انشغال الدولة والمجتمع في حرب صاحب الزنج، حيث بدأ أعماله التخريبية في جنوب العراق والأهواز، فأوجد الفرع والقلق الشديد في الأمّة وفي النظام الحاكم، فكان خير صارف ذهني للفهم العامّ عن الالتفات لخبر الولادة، واستطاع حماية ولده من متاعب السلطات، فلم يبقَ أمامه سوى إثبات ولادة ابنه المهدي ﷺ للأمة الإسلاميّة والتأريخ.

لقد ذكرت النصوص التاريخيّة ولادة الإمام المهدي ﷺ عام (٢٥٦هـ)، وثبتت ولادته بأوكد ما يثبت به أنساب الجمهور من الناس، إذ كان النسب يثبت بقول القابلة ومثلها من النساء اللّاتي جرت عاداتهنّ بحضور ولادة النساء

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٧١ و ٢٧٢ / ح ٢٣٧).

(٢) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٢١ - ٣٢٣).

٨٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وتولّي معونتهنّ عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه، وبشهادة رجلين من المسلمين على قرار الأب بنسب الابن منه.

وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة والفضل والورع والزهد والعبادة والفقّه عن الحسن العسكري ﷺ أنّه اعترف بولادة المهدي ﷺ وآذنتهم بوجوده، ونصّ لهم على إمامته من بعده، وبمشاهدة بعضهم له طفلاً وبعضهم له يافعاً وشابّاً كاملاً^(١).

عاش الإمام المهدي ﷺ أربع سنوات برفقة أبيه سجيناً تحت الرقابة الشديدة التي فرضتها السلطات الحاكمة على أبيه، دون أن تعثر له على أثر أو تسمع له بخبر!

وقام الإمام العسكري ﷺ في عمله السياسي بعدة أمور:

الأوّل: إعلام أصحابه بولادته:

لقد استطاع الإمام العسكري ﷺ في تلك الظروف الصعبة والمعقّدة أن يخصّ تبليغ ولادة ابنه المهدي لأصحابه، وأن يزفّ لهم هذه البشّرى لمن علم فيه قوّة الإيثار وصلابة العقيدة ورجاحة العقل، فحجب ابنه حجباً تامّاً عن الجمهور غير الموالي، بل حتّى عن الجمهور الموالي ممّن لم يحرز فيه قوّة الإرادة والإخلاص، وسيأتي ذكر من رآه من خواصّه.

الثاني: اعتماد الإمام على بعض أصحابه في تبليغ الولادة:

لقد اعتمد الإمام هنا أمرين:

(١) قال العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار (ج ٥١ / ص ١٠٨): وقد ذكر الجهمي وكلاء المهدي ﷺ وسفراءه وأسياءهم، ثمّ قال: (وقد لقي المهدي ﷺ بعد ذلك خلق كثير من الشيعة وغيرهم، وظهر لهم على يده من الدلائل ما ثبت عندهم أنّه هو ﷺ...)، ويتفنون بمكانه وفعاله ويكتمونه... إلخ.

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري عليه السلام ٨٧

الأول: طلب من بعض أصحابه ممن لهم شأن مع الإمام المهدي عليه السلام ومنهم عثمان وغيرهم بأن يوصلوا خبر الولادة لأصحابه، بعد أن عرف الإمام عليه السلام موقعهم السياسي والاجتماعي في الأمة.

فقد روى الصدوق عليه السلام بإسناده عن أبي جعفر - محمد بن عثمان العمري -، قال: لَمَّا وُلِدَ أَلَسَيْدٌ - أي الإمام المهدي - عليه السلام قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام: «إِنْعَثُوا إِلَيَّ أَبِي عَمْرٍو - عثمان بن سعيد العمري -»، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَصَارَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «إِشْتَرِ عَشْرَةَ آلَافٍ رِطْلٍ خُبْزٍ، وَعَشْرَةَ آلَافٍ رِطْلٍ لَحْمٍ، وَفَرَّقَهُ - أَحْسَبُهُ قَالَ: عَلَى بَنِي هَاشِمٍ -، وَعَقَّ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا شَاةً»^(١).

الثاني: إرسال برقياته ورسائله إلى أصحابه في البلاد البعيدة لإعلامهم بخبر الولادة.

فقد روى الصدوق عليه السلام بإسناده عن أحمد بن إسحاق القمي الأشعري وجه القميين وشيخهم، قال: كتب أبو محمد عليه السلام رسالة لي يقول فيها: «وُلِدَ لَنَا مَوْلُودٌ...»، إلى أن قال: «أَحْبَبْنَا إِعْلَامَكَ لَيْسَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِثْلَ مَا سَرَّنا بِهِ، وَالسَّلَامُ»^(١). وأجاز الإمام العسكري عليه السلام لعمته حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام أن تُخبر من تثق به وتطمئن إليه ممن قرب أو بعد بخبر الولادة.

وقد روى خبره الكثير من الثقة عنها، منهم: عثمان بن سعيد، وابنه، وأبو عبد الله المطهري، وموسى بن محمد بن جعفر، ومحمد بن إبراهيم، ومحمد بن علي ابن بلال. وجماعة من الشيوخ أمثال: علان الكليني، وموسى بن محمد، وأحمد ابن جعفر^(٢).

(١) كمال الدين (ص ٤٣٠ و ٤٣١ / باب ٤٢ / ح ٦).

(١) كمال الدين (ص ٤٣٣ و ٤٣٤ / باب ٤٢ / ح ١٦).

(٢) راجع: الغيبة للطوسي (ص ٢٤٤ و ٢٤٥ / ح ٢١١ و ٢١٢).

٨٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وأخبرت حكيمة بنت الإمام الجواد ﷺ وجماعة أيضاً بخبر الولادة، منهم: أبو أحمد المراغي^(١)، وأحمد بن إبراهيم.

وكتب الإمام العسكري ﷺ نفسه خبر الولادة إلى أمه^(٢).

ثم سمح الإمام لكثير من جواريه وعبيده الذين أعتقد فيهم قوة العقيدة والإخلاص بمشاهدتهم الإمام ﷺ، كنسيم ومارية وأبي نصر الخادم وعقيد الخادم وجارية لأبي عليّ الخيزراني القابلة وغيرهم^(٣).

وقد كان جماعة من أصحابه الذين شاهدوا الإمام المهدي ﷺ ممن عدّ لهم في حياته، وجعلهم سفراء بينه وبين أوليائهم، والأمناء على قبض الأخماس والأطفال والوقوفات والأمانات وغيرها، وشهد لهم بإيمانهم وصدقهم فيما يؤدّونه عنه مواليه. وإنّ هذه الجماعة التي شاهدت الحجة ﷺ أخبرت بالنصّ عليه من أبيه ﷺ، وقطعت بإمامته، وكونه الحجة المأمول للانتصار من الظالمين، فكان ذلك نائباً مناب نصّ أبيه ﷺ لو كان مفقوداً^(٤).

روى الصدوق رحمه الله بإسناده عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، قال: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ حُكَيْمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَمْرِيُّ وَأَبِيهِ ﷺ، قَالُوا: عَرَضَ عَلَيْنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ ابْنَهُ، وَنَحْنُ فِي مَنْزِلِهِ، وَكُنَّا أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَقَالَ: «هَذَا إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ، أَطِيعُوهُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِي فِي أَدْيَانِكُمْ فَتَهْلِكُوا»^(٥).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٣٠ و ٢٣١ / ح ١٩٦).

(٢) كمال الدين (ص ٥٠١ / باب ٤٥ / ح ٢٧)، الغيبة للطوسي (ص ٢٣٠ / ح ١٩٦).

(٣) كمال الدين (ص ٤٣١ / باب ٤٢ / ح ٧)، الغيبة للطوسي (ص ٢٤٤ و ٢٤٥ / ح ٢١١، و ص ٢٤٦ / ح ٢١٥، و ص ٢٧١ و ٢٧٢ / ح ٢٣٧).

(٤) تقريب المعارف (ص ٤٢٨).

(٥) كمال الدين (ص ٤٣٥ / باب ٤٣ / ح ٢).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضى الله عنه ٨٩

وليس لأحد أن يقول: جميع ما ذكرتموه من أخبار الولادة والمعجزات هي أخبار آحاد، وهي مع ذلك مختصة بقلكم، وما هذه حاله، لا يلزم الحجّة به، لأنّ هذه دعوى مجرّدة خالية من الاستدلال والبرهان.

ومن تأمّل في حال ناقلي هذه الأخبار، علمهم متواترين بها على الوجه الذي تواتروا به من نقل النصّ الجليّ، فإذا ثبت تواترها لم يقدر فيه اختصاص نقلها بالفرقة الإماميّة دون غيرها، لأنّ المراعى في صحّة النقل وقوعه على وجه لا يجوز على ناقله الكذب سواء كانوا أبراراً أو فجّاراً، متديّنين بما نقلوه أو مخالفين له^(١).

الثالث: كتمان خبر الولادة:

لقد أكّد الإمام العسكري ع عليه السلام على كلّ من رأى ابنه المهدي ﷺ أمرين لا بدّ من التزامهما، وهو مكلف تكليفاً إلزامياً بهما، وهما: وجوب الكتمان لخبر الولادة، وحرمة الاطلاع على اسمه الشريف.

كتب الإمام العسكري ع عليه السلام في الرسالة التي بعثها إلى أحمد بن إسحاق القميّ: «فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نضهر عليه إلا الأقرب لقرابته، وأوليّ لولايته»^(١).

وسأل أحمد بن إبراهيم حكيمة بنت الإمام الجواد ع عليه السلام عن الإمام المهدي ﷺ، فقالت: مستور^(٢).

وتباشر اثنان من أصحابه ع عليه السلام بخبر الولادة، فقال أحدهما للآخر: وُلِدَ الْبَارِحَةَ فِي الدَّارِ مَوْلُودٌ لِأَبِي مُحَمَّدٍ ع عليه السلام، وَأَمَرَ بِكِتْمَانِهِ^(٣).

(١) تقريب المعارف (ص ٤٣٨ و ٤٣٩).

(١) كمال الدّين (ص ٤٣٣ و ٤٣٤ / باب ٤٢ / ح ١٦).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٣٠ / ح ١٩٦).

(٣) كمال الدّين (ص ٤٣٢ / باب ٤٢ / ح ١١).

٩٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وروى الصدوق عليه السلام بإسناده عن غياث بن أسيد، قال: شهدت محمد بن عثمان العمري (قدس الله روحه) يقول: لَمَّا وُلِدَ الْخَلْفُ الْمَهْدِيُّ عليه السلام سَطَعَ نُورٌ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ إِلَى أَعْنَانِ السَّمَاءِ^(١)، فقال عبد الله بن جعفر الحميري له - للعمري -: هَلْ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَهُ رَقَبَةٌ مِثْلُ ذِي - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عُنُقِهِ -^(٢).

لقد جاء في النصوص الإسلامية حصول اللقاءات العديدة بين الإمام المهدي عليه السلام وسفيره الأول عثمان بن سعيد العمري قبل سفارته - أي في حال حياة أبيه الحسن العسكري عليه السلام -، وهي تعرب عن قلق الإمام الشديد حول مستقبل الأمة، وحالة الانحراف في المجتمع، ومضايقات السلطات لأنصار الإمام عليه السلام.

فقد التقى عثمان بن سعيد بالإمام المهدي عليه السلام عندما عرضه الإمام العسكري على أربعين رجلاً، وكان هو من بينهم، حيث قال لهم: «هَذَا إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ، أَطِيعُوهُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِي فِي أَدْيَانِكُمْ فَتَهْلِكُوا، أَمَا إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا»، فقال الراوي: قَالُوا: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ حَتَّى مَضَى أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام^(١).

وكان الحسن العسكري عليه السلام قد أمر عثمان بن سعيد أن يُغسَّله بعد مماته، ويُكفَّنه، ويقوم بباقي شؤونه، مأموراً بذلك كله للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها، ولا دفعها إلا بدفع حقائق الأشياء وظواهرها^(٢).

والوصية إليه بحمل أمتعة وجواريه إلى بغداد، واحتفاظه بودائع الإمام

(١) كمال الدين (ص ٤٣٣ / باب ٤٢ / ح ١٣).

(٢) كمال الدين (ص ٤٣٥ / باب ٤٣ / ح ٣).

(١) كمال الدين (ص ٤٣٥ / باب ٤٣ / ح ٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ / ح ٣١٨).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضى الله عنه ٩١
العسكري عليه السلام^(١)، وهي عبارة عن درج فيه قنوتات الأئمة عليهم السلام، وحقّة خشب مدهونة، وعكازة كانت في يده عليه السلام يوم توكله عثمان بن سعيد العمري ووصيته إليه^(٢).

ثمّ استلم الإمام المهدي ﷺ الإمامة بعد أبيه ولم يتجاوز عمره الأربع أو الخمس سنين، وكان عمر سفيره الأوّل لم يتجاوز السبع والثلاثين عاماً، حيث أعلن الإمام المهدي ﷺ عن بداية الغيبة الصغرى، وأمر أصحابه وخواصّه بإخبار الناس والوفود التي تقدم لزيارته بالتوجّه إلى عثمان بن سعيد العمري في حوائجهم وأخذ الأجوبة والتوقيعات منه، وعيّن بغداد عاصمة للسفارة. فقد روى الصدوق رحمه الله بإسناده أنّ الوفد القميّ جاء لزيارة الإمام العسكري عليه السلام، ولم يعرفوا وفاته، فالتقوا بالإمام المهدي ﷺ، وأمرهم أن لا يحملوا إلى سامراء بعدها شيئاً من المال، وأن ينصب لهم رجلاً يحمل إليه الأموال^(٣). فأخذت الأمة الإسلامية تقصده بأجمعها من كلّ بلد بقصص وحوائج، وكانت الأجوبة تخرج على يديه، وصار ابن سعيد عالماً في بغداد لا تشكُّ الأمة في أقواله وأفعاله^(٤)، فقصدوه في غيبة الإمام المهدي ﷺ كما قصدوه في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٥)، واستمرت بعد ذلك اللقاءات بينه وبين الإمام المهدي ﷺ كما يأتي في هذه الدراسة.

* * *

(١) الأنوار البهيّة (ص ٣٢٨ و ٣٢٩)، عن المتنّع في الإمامة (ص ١٤٦).

(٢) مهج الدعوات (ص ٤٦).

(٣) كمال الدّين (ص ٤٧٨ / باب ٤٣ / ح ٢٦).

(٤) راجع: الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ / ح ٣١٨).

(٥) الطرائف (ص ١٨٤).

المبحث الثاني:

وقوع الاشتباه في عثمان بن سعيد من بعض الأعلام

ذكرنا أن عثمان بن سعيد كان قد خدم الإمام الهادي عليه السلام وله أحد عشر عاماً، وكان إليه عهد معروف، ولكن وقع من بعض الأعلام اشتباه في هذه الشخصية العظيمة، وملخصه:

الاشتباه الأول: اشتباه العلامة وابن شهر آشوب رحمهما الله:

قال العلامة رحمته الله بعد ترجمة عثمان بن سعيد: ويُقال له: الزيّات الأسدي، من أصحاب أبي جعفر محمد بن عليّ الثاني - الجواد عليه السلام -، خدمه وله إحدى عشرة سنة، وله إليه عهد معروف، وهو ثقة جليل القدر، وكيل أبي محمد العسكري عليه السلام ^(١).

وقال ابن شهر آشوب رحمته الله: إنَّ عثمان بن سعيد العمري رحمته الله كان باباً لأبي جعفر محمد بن عليّ النقيّ عليه السلام ^(٢).

والظاهر أنَّ فيه سهواً وقع من العلامة وابن شهر آشوب رحمهما الله ^(٣)، فقد ذُكر في (ربيع الشيعة) أنَّ أبا عمرو عثمان بن سعيد العمري رحمته الله كان باباً لأبي الحسن

(١) خلاصة الأقوال (ص ٢٢٠ / الرقم ٢).

(٢) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٤٨٧).

(٣) جامع الرواة (ج ١ / ص ٥٣٣).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضى الله عنه ٩٣
العسكري وجدّه الهادي رضى الله عنه من قبل، وثقة لهما، ثمّ تولّى البابيّة من قبله
وظهرت المعجزات على يده، وما ذكره هذان الفاضلان لا يجتمع مع ما ذكره
الطوسي رضى الله عنه من أنّ عثمان بن سعيد خدم الإمام الهادي رضى الله عنه وله إحدى عشر
سنة^(١)، والله العالم.

الاشتباه الثاني: اشتباه الطوسي رضى الله عنه:

ذكر الشيخ الطوسي رضى الله عنه بعد ترجمة عثمان بن سعيد بأنّه حفص بن عمرو
المعروف بالعمري، وأنّه كان وكيلاً وسفيراً للإمام المهدي ﷺ.
واشتبه أيضاً في ترجمة ابنه محمد بن عثمان العمري، فأبدله بـ (محمد بن
حفص العمري)، فقال بعد رواية محمد بن إبراهيم بن مهزيار: وحفص بن
عمرو، كان وكيلاً لأبي محمد العسكري رضى الله عنه، وأمّا أبو جعفر محمد بن حفص
ابن عمرو فهو ابن العمري، وكان وكيل الناحية المقدّسة^(٢).
والظاهر أنّ فيه خطأً واضحاً، قال التستري: هذا، وقلنا في حفص بن
عمرو بأنّ ما في نسخة الكتبي بعنوان حفص بن عمرو المعروف بالعمري تحريف
ظاهر، وأنّ الأصل عثمان بن سعيد بن عمرو، وكنيته أبو عمرو، لعدم وجود
(حفص بن عمرو) ولا (محمد بن حفص بن عمرو)، بل محمد بن عثمان بن
سعيد بن عمرو، وأبيه عثمان بن سعيد^(٣).

وأما القهبائي رضى الله عنه فقد رأى أنّ العمري اثنان، وكذا ابناهما، فقال: ويظهر
من هذا أنّ العمروي اثنان، هما: عثمان بن سعيد بن عمرو وحفص بن عمرو،
وكذلك ابن العمروي اثنان أيضاً، وهما: محمد بن عثمان ومحمد بن حفص،

(١) رجال الطوسي (ص ٣٨٩ / الرقم ٥٧٤١ / ٣٦)، معجم رجال الحديث (ج ١٢ / ص ١٢٤).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٣ / ذيل الحديث ١٠١٥).

(٣) قاموس الرجال (ج ٧ / ص ١٢٤ و ١٢٥).

٩٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ولكن حفص بن عمرو العمروي وابنه كانا وكيلان للصاحب ببغداد، وأمّا عثمان بن سعيد وابنه فإتّهما بابان للصاحب ومن قبله لأبيه وجده عليهما، ولا يخفى بعد النظر والتأمل^(١).

أمّا الخوئي رحمه الله فقد قال: من البعيد جدّاً وجود رجلين يُعرَف كلُّ منهما بالعمري، وكان كلُّ منهما وكيل العسكري ع، ويكون لكلُّ منهما ابن يُسمّى بمحمّد ويكنّى أبا جعفر وكيل الناحية ويدور عليه الأمر. على أنّ المستفاد من التوقيع أنّ العمري كان شخصاً واحداً يصل إليه كلُّ ما يُحمَل إلى الإمام ع فيوصله إليه، والله العالم بحقيقة الأمر^(٢).

واستغرب الخوئي رحمه الله ممّا ذكره الكشي قائلاً: وأغرب من ذلك ما صدر من الشيخ الطوسي رحمه الله فإنه ذكر في (الغيبة) كما عرفت محمّد بن عثمان بن سعيد العمري وأباه، وذكر وكالتهما، ولم يتعرّض لحفص ولا لابنه محمّد، ومع ذلك كان قد ذكر في رجاله حفص بن عمرو العمري المعروف.

ثمّ قال: والمتحصّل ممّا ذكرنا أنّه لم يُعلم وجود لحفص بن عمرو ولا لابنه فضلاً عن أن يكونا وكيلين، وأمّا ما في الكشي فلا بدّ من حمله على غلط النسخة بعد مخالفتها لما تسالم عليه الأصحاب من أنّ الوكيل كان عثمان بن سعيد وابنه محمّد، وقد ذكر العلامة نفسه في ترجمة محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشي أنّ له كتاب الرجال، كثير العلم، إلّا أنّ فيه أغلاطاً كثيرة، كما ذكر ذلك النجاشي أيضاً^(٣).

أقول: والغريب في ذلك أيضاً ما ذكره السيّد محمّد الصدر بأنّه حفص بن

(١) مجمع الرجال (ج ٧ / هامش ص ١٩١).

(٢) معجم رجال الحديث (ج ٧ / ص ١٥٥).

(٣) معجم رجال الحديث (ج ٧ / ص ١٥٦).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ..... ٩٥
عمرو، كان له نشاط متزايد بهذا الأمر، وكان الأمر يدور عليه^(١)، ولم يذكر نصّاً
في نشاطه!

وما قاله التستري والخوئي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هو الصحيح، والله العالم.

* * *

(١) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٦٢٤).

المبحث الثالث:

التراث الذي خلفه عثمان بن سعيد العمري للأمة الإسلامية

لقد خلف عثمان بن سعيد العمري تراثاً خالداً للأجيال والأمة الإسلامية مع تصديده لمهمة السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام. ونلخصه بما يلي:

أولاً: ما تركه من روايات وأحاديث عن الأئمة عليهم السلام:

أوضح من خلال دراسة الأوضاع السياسية للدولتين الأموية والعباسية نجاحهما نوعاً ما في كبت حركة الفكر والتحرر لدى المفكرين، وعرضتهم لصنوف العذاب والسخرية، وأجمتهم عن قول الحقيقة، وأثارت الفتن والشحناء بين فصائلها، فكان له الأثر السلبي على سير المسلمين وتقدمهم، وظهرت في خضم تلك الأحداث حركات فكرية ونهضة علمية واسعة قوت شوكتها وامتدت معالمها لأبعد البلاد الإسلامية، وكان يقودها رجال الأمة من أهل الخبرة والتخصص في معرفة العلوم، ومنها علم الحديث، حيث إنهم بذلوا جهوداً مكثفة في معرفة علم الحديث وجمعه وتفصيل أحكامه وتبيين حلاله من حرامه، فرتبوه على طبقات رجالية لمعرفة أحوال الرواة، وحصلت الأمة على أضخم ثروة وتراث في مجال الحديث، وتم تمييزها عن الأحاديث السقيمة، وقد نفذت إشاعات تلك النهضة العلمية والفكرية لعواصم عديدة من البلاد الإسلامية كالشام ومكة وقم والكوفة وسامراء واليمن والمغرب العربي وغيرها.

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ٩٧

أمّا بغداد عام (٢٦٠هـ) فقد أصبحت مصدراً للإشعاع الفكري والثقافي لكثير من البلدان، وملتقى لمختلف المذاهب والفِرَق الإسلاميّة، حيث عُقدت فيها الندوات، وتبارى في متندياتها الأدبيّة الشعراء والأدباء ورؤّاد الفكر في مختلف العلوم والفنون.

وظهر في تلك النهضة رجال في الأُمَّة تَخَصَّصوا في الحديث والرواية، وفي مقدّماتهم عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه حيث روى الحديث فأحسن روايته، والناس يومذاك في أشدّ الحاجة لسماع الحديث عن الأئمة ولاسيما الإمام الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام، بسبب مسلكهم الاختفاء والكتمان والحذر من السلطات وجوايسها، ورغم صعوبة الوقت والسيف يقطر دماً، والمحن التي مرّت بها الأُمَّة، والأزمات والحروب الطاحنة والتناحر بين المذاهب، وقد أدّى إلى حرق الكثير من الكُتُب والطروس، وضياع بعض التراث الذي خلفه المسلمون، وبقي البعض الآخر في متناول الأيدي، فقد وصلنا من عثمان بن سعيد العمري العديد من الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ونُلخّص بعضها بما يلي:

رواياته في الوصيّة^(١)، واللواط^(٢)، والزيّ والتجميل^(٣)، والمعيشة^(٤)، وفضل الكوفة^(٥)، وتسمية من رآه صلى الله عليه وآله^(٦)، وأخباره في وجود الإمام المهدي صلى الله عليه وآله

(١) تهذيب الأحكام (ج ٩ / ص ١٨٧ / ح ٤ / ٧٥١).

(٢) الكافي (ج ٥ / ص ٥٤٨ / باب اللواط / ح ٩).

(٣) الكافي (ج ٦ / ص ٤٥٠ / باب لبس الصوف والشعر والوبر / ح ٣).

(٤) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٣٥٩ / ح ١٠٢٩ / ١٥٠).

(٥) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٣٥ / ح ١٧ / ٧٣).

(٦) الكافي (ج ١ / ص ٣٢٩ و ٣٣٠ / باب في تسمية من رآه صلى الله عليه وآله / ح ١).

٩٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
ووصيته للأمة الإسلامية^(١)، وحبّ الدنيا^(٢)، وقصة موسى والعمالق^(٣)، وفي
ودائع النبي ﷺ^(٤).

ثانياً: تراثه في الأدعية:

أمّا تراثه من الأدعية التي رواها عن الأئمة عليهم السلام فهي كثيرة أيضاً، فمن
بينها الدعاء المشهور عنه عليه السلام في الغيبة، فقد سأل زارة الإمام الصادق عليه السلام
فقال: جَعَلْتُ فِدَاكَ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ، أَيَّ شَيْءٍ أَفْعَلُ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا
زُرَّارَةُ، مَتَى أَدْرَكْتَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَلْتَدْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اَللّٰهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ
إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْكَ، اَللّٰهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُوْلَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي
رَسُوْلَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ...» إلخ، وقال ابن طاوس عليه السلام: إذا كان لك عذر عن
جميع ما ذكرناه من تعقيب العصر يوم الجمعة فإياك أن تهمل الدعاء به، فإننا
عرفنا ذلك من فضل الله جلّ جلاله الذي اختصنا به، فاعتمد عليه. وهذا نصّه:

عن أبي همام أن الشيخ عثمان بن سعيد العمري عليه السلام أملاه عليه، وأمره أن
يدعو به، وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام: «اَللّٰهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ
تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُوْلَكَ، اَللّٰهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُوْلَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي
رَسُوْلَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اَللّٰهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ
ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي...» إلخ^(٥).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٨٥ - ٢٨٧ / ح ٢٤٥).

(٢) الكافي (ج ٢ / ص ٣١٨ / باب حبّ الدنيا والحرص عليها / ح ١١).

(٣) بحار الأنوار (ج ١٣ / ص ٣٧١ / ح ١٩).

(٤) بحار الأنوار (ج ٣٦ / ص ٣٤٥ و ٣٤٦ / ح ٢١٢).

(٥) كمال الدين (ص ٥١٢ / باب ٤٥ / ح ٤٣)، مصباح المنتهجد (ص ٤١١ و ٤١٢)، جمال الأسبوع

(ص ٣١٥)، مفاتيح الجنان (ص ٨٤٣).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ٩٩

ثالثاً: تراثه في ما خرج عنه من توقيعات:

وخرج من عثمان بن سعيد العمري توقيعات كثيرة من إمامه المهدي عليه السلام للأمة الإسلامية في أمور وقضايا عديدة، نلخص بعضها:

التوقيع الأول: في من أنكر الحجّة:

قال الصدوق عليه السلام: توقيع من صاحب الزمان عليه السلام، كَانَ خَرَجَ إِلَى الْعَمْرِيِّ وَابْنِهِ عليهما السلام، رَوَاهُ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَجَدْتُهُ مُثَبَّتاً عَنْهُ عليه السلام، وَهُوَ: «وَفَقَّكُمْ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ، وَثَبَّتْكُمْ عَلَى دِينِهِ، وَأَسْعَدَكُمْ بِمَرْضَاتِهِ، أَنْتَهُهُ إِنِّي مَا ذَكَرْتُمَا أَنَّ الْمِثْمِيَّ أَخْبَرَ كَمَا عَنِ الْمُخْتَارِ وَمُنَاطَرَاتِهِ مَنْ لَقِي، وَاحْتِجَاجِهِ بِأَنَّهُ لَا خَلْفَ عَيْرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وَتَصَدِيقِهِ إِيَّاهُ، وَفَهِمْتُ جَمِيعَ مَا كَتَبْتُمَا بِهِ مِمَّا قَالَ أَصْحَابُكُمْ عَنْهُ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجَلَاءِ، وَمِنَ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنَ مُوبِقَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُرْدِيَاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّهُ عليه السلام يَقُولُ: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، كَيْفَ يَتَسَاقَطُونَ فِي الْفِتْنَةِ، وَيَتَرَدَّدُونَ فِي الْحَيْرَةِ، وَيَأْخُذُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَارْقُوا دِينَهُمْ، أَمْ اِرْتَابُوا، أَمْ عَانَدُوا الْحَقَّ، أَمْ جَهَلُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّوَايَاتُ الصَّادِقَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، أَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ فَتَنَاسَوْا مَا يَعْلَمُونَ؟ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ إِلَّا مَا ظَاهِرًا وَإِمَامًا مَعْمُورًا، أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا انْتِظَامَ أئِمَّتِهِمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ عليه السلام وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى أَنْ أَفْضَى الْأَمْرُ بِأَمْرِ اللَّهِ عليه السلام إِلَى الْمَاضِي - أَيِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام -، فَقَامَ مَقَامَ آبَائِهِ عليهم السلام يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ، كَانَ نُورًا سَاطِعًا، وَشَهَابًا لَامِعًا، وَقَمَرًا زَاهِرًا، ثُمَّ اخْتَارَ اللَّهُ عليه السلام لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَصَوَّبَ عَلَى مِنْهَاجِ آبَائِهِ عليهم السلام حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، عَلَى عَهْدِ عَهْدِهِ، وَوَصِيَّةِ أَوْصِيَ بِهَا إِلَى وَصِيِّ - يَقْصِدُ بِهَا نَفْسَهُ - سَتَرَهُ اللَّهُ عليه السلام بِأَمْرِهِ إِلَى غَايَةِ، وَأَخْفَى مَكَانَهُ بِمَشِيئَتِهِ لِلْقَضَاءِ السَّابِقِ وَالْقَدْرِ النَّافِذِ، وَفِينَا مَوْضِعُهُ، وَلَنَا فَضْلُهُ، وَلَوْ قَدْ أَدَانَ اللَّهُ عليه السلام فِيهَا

قَدْ مَنَعَهُ عَنْهُ وَأَزَالَ عَنْهُ مَا قَدْ جَرَى بِهِ مِنْ حُكْمِهِ، لَأَرَاهُمْ الْحَقَّ ظَاهِرًا بِأَحْسَنِ حَلِيَّةٍ وَأَبْيَنِ دَلَالَةٍ وَأَوْضَحِ عِلَامَةٍ، وَلَا بَانَ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَامَ بِحُجَّتِهِ، وَلَكِنَّ أَقْدَارَ اللَّهِ ﷻ لَا تُغَالَبُ، وَإِرَادَتُهُ لَا تُرَدُّ، وَتَوْفِيقُهُ لَا يُسْبَقُ، فَلْيَدْعُوا عَنْهُمْ إِتِّبَاعَ الْهَوَىٰ، وَلْيُقِيمُوا عَلَىٰ أَصْلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا يَبْحَثُوا عَمَّا سَتَرَ عَنْهُمْ فَيَأْتُمُوا، وَلَا يَكْشِفُوا سِتْرَ اللَّهِ ﷻ فَيَنْدُمُوا، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْحَقَّ مَعَنَا وَفِينَا، لَا يَقُولُ ذَلِكَ سِوَانَا إِلَّا كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَا يَدَّعِيهِ غَيْرُنَا إِلَّا ضَالٌّ غَوِيٌّ، فَلْيَقْتَصِرُوا مِنَّا عَلَىٰ هَذِهِ الْجُمْلَةِ دُونَ التَّفْسِيرِ، وَيَقْنَعُوا مِنْ ذَلِكَ بِالْتَّعْرِيزِ دُونَ التَّصْرِيحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

التوقيع الثاني: في من ارتاب في الإمام المهدي ﷺ:

روى الطوسي والطبرسي رحمهما وغيرهما: عن الشيخ الموثوق أبي عمرو العمري رحمته، قال: تَشَاجَرُ ابْنُ أَبِي غَانِمٍ الْقَزْوِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشَّيْعَةِ فِي الْخَلْفِ عليه السلام، فَذَكَرَ ابْنُ أَبِي غَانِمٍ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ - الْعَسْكَرِي - عليه السلام مَضَىٰ وَلَا خَلْفَ لَهُ، ثُمَّ إِتَمَّ كِتَابُوا فِي ذَلِكَ كِتَابًا وَأَنْفَذُوهُ إِلَىٰ النَّاحِيَةِ عليه السلام، وَأَعْلَمُوهُ بِمَا تَشَاجَرُوا فِيهِ، فَوَرَدَ جَوَابُ كِتَابِهِمْ بِخَطِّهِ (عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آبَائِهِ السَّلَامُ): «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْفِتَنِ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ رُوحَ الْيَقِينِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ، إِنَّهُ أَنْهَىٰ إِلَيَّ إِرْتِيَابَ جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ، وَمَا دَخَلَهُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ فِي وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، فَغَمَّنَا ذَلِكَ لَكُمْ لَا لَنَا، وَسَاءَنَا فِيكُمْ لَا فِينَا، لِأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا، وَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَالْحَقُّ مَعَنَا فَلَنْ يُوحِشَنَا مَنْ قَعَدَ عَنَّا...» إلخ^(٢)، وهو خبر طويل.

(١) كمال الدين (ص ٥١٠ و ٥١١ / باب ٤٥ / ح ٤٢)، عنه بحار الأنوار (ج ٥٣ / ص ١٩٠ و ١٩١ / ح ١٩).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٨٥ - ٢٨٧ / ح ٢٤٥)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٧٧ - ٢٧٩)، عنه بحار الأنوار (ج ٥٣ / ص ١٧٨ - ١٨٠ / ح ٩).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ١٠١

التوقيع الثالث: تكذيبه لجعفر في ادعائه الإمامة:

روى الطوسي والطبرسي رضي الله عنهما بإسنادهما عن أحمد بن إسحاق الأشعري رضي الله عنه أنه جاءه بعض أصحابنا يُعلمه أن جعفر بن عليّ - عمّ الإمام المهدي عليه السلام - كتب إليه كتاباً يُعرّفه فيه نفسه، ويُعلمه أنه القيم بعد أخيه، وأنّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه وغير ذلك من العلوم كلّها.

قال أحمد بن إسحاق: فلما قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيّرت كتاب جعفر في درجه، فخرج الجواب إليّ في ذلك - عن طريق سفيره عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه -: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَتَانِي كِتَابُكَ أَبْثَاكَ اللَّهُ، وَالْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَدْتَهُ دَرَجَهُ، وَأَحَاطَتْ مَعْرِفَتِي بِجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ عَلَيَّ إِخْتِلَافِ الْفَاطِهِ وَتَكَرُّرِ الْخَطَا فِيهِ، وَلَوْ تَدَبَّرْتَهُ لَوَقَفْتُ عَلَيَّ بَعْضُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْهُ...» إلخ^(١)، وهو خبر طويل.

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٨٧ - ٢٩٠ / ح ٢٤٦)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٧٩ - ٢٨١).

المبحث الرابع:

المعجزات التي ظهرت من الإمام المهدي عليه السلام

على يدي عثمان بن سعيد العمري

المعجزة هي المعيار الذي يُعرَف به الصدق، والبرهان الذي يُتَّجَّ به للحق، والمحكُّ الذي يمتاز به الخالص من المشوب، والأصل الثابت الذي يحقُّ أن يستند إليه لعرفان الحقِّ وإثبات الحقيقة، والوثيقة الوحيدة لمعرفة حقيقة دعوى المدَّعي، والمعيار المعتمد الدقيق لتمييز النبيِّ من المتنبِّي.

وهو عمل يجري على خلاف مجاري العادة عقيب التحدي، ولا يختصُّ هذا بالأنبياء، فلا يمتنع أن يُظهرها الله تعالى على يدي من يدَّعي الإمامة ليدلَّ بها على عصمته ووجوب طاعته.

وقد ظنَّ الخصوم أنَّها مختصَّة بالأنبياء، لأنَّها تدلُّ على النبوة من جهة الإبانة، فقد استحال ظهورها على من ليس بنبيِّ.

أقول: وليس فيما ذكره ما يوجب كون المعجزة دالَّة على الإبانة، وأمَّا وجوب حصولها وظهورها على يد النبيِّ ومخالفتها في ذلك لسائر الأدلَّة، فليس بمقتضى لما ذكره، وإذا جاز إظهارها على يد المعصوم فإنَّه يجوز إظهارها على يد السفراء والأصحاب، لعدم منع العقل والكتاب والسُّنة من ذلك، وموافقة أكثر الفرق لهذا الاعتقاد^(١).

(١) أوائل المقالات (ص ١٧٦)، تلخيص الشافي (ج ١ / ص ١٤٤).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه ١٠٣

فقد ذكر الشيخ الطوسي رحمته الله طرفاً من الأخبار الدالة على إمامة ابن الحسن العسكري عليه السلام، وثبوت غيبته، ووجود عينه عن طريق السفراء، وقال بأنها أخبار تضمنت الإخبار بالغايبات وبالشيء قبل كونه على وجه خارق للعادة، لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، ووصل إليه من جهة من دلّ الدليل على صدقه، ولولا صدقهم لما كان كذلك^(١).

ثم أضاف: إن ظهور المعجزات على أيديهم دليل واضح على إمامة من ائتموا إليه^(٢).

ونلخص بعض ما ظهر من الإمام المهدي عليه السلام من المعجزات على يدي سفيره عثمان بن سعيد العمري:

أولاً: الإخبار عن أمور الغيبة:

عن محمد بن علي الأسود رضي الله عنه، قال: دفعت إلي امرأة سنة من السنين ثوباً وقالت: إحمله إلي العمري - عثمان بن سعيد - رضي الله عنه، فحملته مع ثياب كثيرة، فلما وافيت بغداد أمرني بتسليم ذلك كله إلي محمد بن عباس القمي، فسلمته ذلك كله ما خلا ثوب المرأة، فوجه إلي العمري رضي الله عنه وقال: ثوب المرأة سلمه إلي، فذكرت بعد ذلك أن المرأة سلمت إلي ثوباً، وطلبت فلم أجده، فقال لي: لا تغتم، فإنك ستجده، فوجدته بعد ذلك، ولم يكن مع العمري رضي الله عنه نسخة ما كان معي^(٣).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٦ و ٣٢٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥).

(٣) كمال الدين (ص ٥٠٢ / باب ٤٥ / ح ٣٠)، عنه إثبات الهداة (ج ٥ / ص ٣٠٥ / ح ٧٥)، وبحار الأنوار (ج ٥١ / ص ٣٣٥ / ح ٦٠).

ثانياً: علمه بموت المصري في مكة:

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَيْسَى، قَالَ: لَمَّا مَضَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَرَدَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ بِهَالٍ إِلَى مَكَّةَ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ، فَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ مَضَى مِنْ غَيْرِ خَلْفٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: اخْتَلَفُ مِنْ بَعْدِهِ جَعْفَرٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: اخْتَلَفُ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ، فَبَعَثَ رَجُلًا يُكْنَى أَبُو طَالِبٍ إِلَى الْعَسْكَرِ يَبْحَثُ عَنِ الْأَمْرِ وَصِحِّتِهِ وَمَعَهُ كِتَابٌ، فَصَارَ الرَّجُلُ إِلَى جَعْفَرٍ وَسَأَلَهُ عَنْ بُرْهَانٍ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: لَا يَتَهَيَّأُ لِي فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَصَارَ الرَّجُلُ إِلَى الْبَابِ، وَأَنْفَذَ الْكِتَابَ إِلَى أَصْحَابِنَا الْمَوْسُومِينَ بِالسَّفَارَةِ - عثمان بن سعيد العمري -، فَخَرَجَ إِلَيْهِ: «أَجْرَكَ اللَّهُ فِي صَاحِبِكَ فَقَدْ مَاتَ، وَأَوْصَى بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ إِلَى ثِقَةٍ يَعْمَلُ فِيهِ بِمَا يَجِبُ»، وَأُجِيبَ عَنْ كِتَابِهِ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قِيلَ لَهُ^(١).

ثالثاً: إثبات صحة سفارته عن الإمام المهدي ﷺ:

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْزِيَارٍ، قَالَ: إِنَّ أَبِي لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَفَعَ إِلَيَّ مَالًا وَأَعْطَانِي عَلَامَةً، وَلَمْ يَعْلَمْ بِتِلْكَ الْعَلَامَةِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، وَقَالَ: مَنْ أَتَاكَ بِهَذِهِ الْعَلَامَةِ فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْمَالَ، فَخَرَجْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَنَزَلْتُ فِي خَانٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي إِذْ جَاءَ شَيْخٌ وَدَقَّ الْبَابَ...، إِلَى أَنْ قَالَ: فَدَخَلَ وَجَلَسَ، فَقَالَ: أَنَا الْعَمْرِيُّ - عثمان بن سعيد -، هَاتِ الْمَالَ الَّذِي عِنْدَكَ، وَهُوَ كَذَا وَكَذَا، وَمَعَهُ الْعَلَامَةُ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْمَالَ^(٢).

رابعاً: قضية مدهشة للعقول:

وعن إسحاق بن يعقوب، قال: سمعتُ الشيخَ العمريَّ - عثمان بن سعيد -

(١) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٦٤ و ٣٦٥)، عنه بحار الأنوار (ج ٥١ / ص ٢٩٩ / ح ١٦).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٣ / ح ١٠١٥).

الباب الأول: السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العمري عليه السلام ١٠٥

يَقُولُ: صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ وَمَعَهُ مَالٌ لِلْغَرِيمِ عليه السلام، فَأَنْفَذَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، وَقِيلَ لَهُ: «أَخْرِجْ حَقَّ وُلْدِ عَمِّكَ مِنْهُ، وَهُوَ أَرْبَعُمِائَةٍ دِرْهَمٍ»، فَبَقِيَ الرَّجُلُ مُتَحِيرًا بَاهِتًا مُتَعَجِّبًا، وَنَظَرَ فِي حِسَابِ الْمَالِ، وَكَانَتْ فِي يَدِهِ ضَيْعَةً لَوْ لِدِ عَمِّهِ قَدْ كَانَ رَدَّ عَلَيْهِمْ بَعْضَهَا، وَزَوَى عَنْهُمْ بَعْضَهَا، فَإِذَا الَّذِي نَصَّ هُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ أَرْبَعُمِائَةٍ دِرْهَمٍ كَمَا قَالَ عليه السلام، فَأَخْرَجَهُ وَأَنْفَذَ الْبَاقِي، فَقَبِلَ^(١).

وكذا قصته مع الزهري الذي طلب هذا الأمر طلباً شديداً وشاقاً حتى ذهب له فيه مال صالح، فوقف إلى عثمان بن سعيد العمري، وخدمه ولزمه، وسأله بعد ذلك عن صاحب الزمان عليه السلام ... الخبر^(٢).

* * *

(١) كمال الدين (ص ٤٨٦ / باب ٤٥ / ح ٦)، عنه إثبات الهداة (ج ٥ / ص ٣٠٠ / ح ٤٤)، وبحار

الأنوار (ج ٥١ / ص ٣٢٦ / ح ٤٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٧١ / ح ٢٣٦).

المبحث الخامس:

وفاة عثمان بن سعيد العمري وبرقية الإمام المهدي عليه السلام بالمواساة

حظي عثمان بن سعيد العمري بالسفارة العظمى خمس سنوات عن الإمام المهدي عليه السلام، وقد نهل فيها علومه من معين الإمامة وحجور الولاية، وتثقف بوارف النبوة، واستضاء من نور تلك المشكوات الزاهرات والبحار الزاخرات المتلاطمة أمواجها بالحكميات الربانية والعلوم المقدسة الإلهية.

فكان العمري رشحة من رشحات الأئمة عليهم السلام، وممثلاً لخلافة المهدي عليه السلام الظاهرية والباطنية حتى ختم صفحة تاريخه المشرق عام (٢٦٥هـ)^(١) وبعد خمسة أعوام قضاهما في السفارة، ولم يتعدّ خلافة المعتمد العباسي، وقد بلغ عمره الشريف اثنين وأربعين عاماً، وعمر إمامه المهدي عليه السلام آنذاك تسع سنوات.

وقام ابنه محمد بن عثمان العمري بتغسيل أبيه وتكفينه والصلاة عليه^(٢)، وشيّع جثمانه بقلوب ملؤها الأسى، ثم حُمِلَ إلى مثواه الأخير حيث دُفِنَ في الجانب الغربي من مدينة السلام، في شارع الميدان، في أوّل الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب يمّنة الداخل إليه، والقبر في نفس قبلة المسجد^(٣)، قال الشيخ الطوسي رحمته الله: رأيت قبره في نفس الموضع الذي ذكره هبة الله، وكان

(١) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤٠٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ / ح ٣١٨).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٨ / ح ٣٢٠).

الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ١٠٧

بُني في وجهه حائط، وبه محراب المسجد، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيقّ مظلم، فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرةً.

قال: وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد، وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيّف وثلاثين وأربعمائة، ثمّ نقض ذلك الحائط الرئيس أبو جعفر منصور محمّد ابن الفرج، وأبرز القبر إلى برّ - أي إلى الخارج -، وعمل عليه صندوقاً، وهو تحت السقف يدخل إليه من أراده ويزوره.

قال الطوسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ويتبرّك جيران المحلّة بزيارته ويقولون: هو رجل صالح، وربّما قالوا: هو ابن داية الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا يعرفون حقيقة الحال فيه، وهو إلى يومنا هذا - وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة - على ما هو عليه^(١). وقبره الآن مشيدّ معروف ببغداد يُزار ويُتبرّك به^(٢).

وقد روى العلامة المجلسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زيارة له فقال: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ النُّسخِ الْقَدِيمَةِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ أَصْحَابِنَا زِيَارَةَ مَوْلَانَا أَبِي مُحَمَّدٍ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمْرِيِّ الْأَسَدِيِّ، وَهِيَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، النَّاصِحُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا وُلِيَّائِهِ...» إلخ^(٣).

وخرجت برقيّة تعزية من الإمام المهدي ﷺ إلى ابنه محمّد بن عثمان يواسيه فيها بأبيه، ويُعبّر فيها عن حزنه العميق لفقدانه، وكانت إعلاناً له بالسفارة عنه ﷺ بعد أبيه عثمان بن سعيد، وكانت برقيته تشتمل على فصلين:

فقد جاء في الفصل الأوّل من هذه البرقيّة: «بسم الله الرحمن الرحيم، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، تَسْلِيماً لِأَمْرِهِ، وَرِضَاءً لِقَضَائِهِ، عَاشَ أَبُوكَ سَعِيداً وَمَاتَ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٨).

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤٠١).

(٣) بحار الأنوار (ج ٩٩ / ص ٢٩٢ و ٢٩٣).

١٠٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

حَمِيداً، فَرَحِمَهُ اللهُ وَالْحَقَّهُ بِأَوْلِيَائِهِ وَمَوَالِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِهِمْ، سَاعِياً
فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْهِمْ، نَصَرَ اللهُ وَجْهَهُ وَأَقَالَ عَشْرَتَهُ».

وجاء في الفصل الثاني من البرقية: «أَجَزَلَ اللهُ لَكَ الثَّوَابَ، وَأَحْسَنَ لَكَ
الْعَزَاءَ، رُزِقْتَ وَرُزِقْنَا، وَأَوْحَشَكَ فِرَاقَهُ وَأَوْحَشَنَا، فَسَّرَهُ اللهُ فِي مُنْقَلَبِهِ، وَكَانَ مِنْ
كَمَالِ سَعَادَتِهِ أَنْ رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى وَلِذَا مِثْلَكَ يُخْلَفُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَيَقُومُ مَقَامَهُ بِأَمْرِهِ،
وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَأَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَإِنَّ الْأَنْفُسَ طَيِّبَةً بِمَكَانِكَ، وَمَا جَعَلَهُ اللهُ عَجَلَكَ
فِيكَ وَعِنْدَكَ، أَعَانَكَ اللهُ وَقَوَّأَكَ وَعَضَّدَكَ وَوَفَّقَكَ، وَكَانَ اللهُ لَكَ وَلِيًّا وَحَافِظًا،
وَرَاعِيًّا وَكَافِيًّا»^(١).

* * *

(١) كمال الدين (ص ٥١٠ / باب ٤٥ / ح ٤١)، الغيبة للطوسي (ص ٣٦١ / ح ٣٢٣).

الباب الثاني:

السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام

محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه

المبحث الأول:

محمد بن عثمان العمري في الميزان

ثمّ ابن عثمان وكيل عمري وفاته قدر صحيح الخبر
وثاني السفراء قد أوصى إلى حسين بن روح حيث ما ابتلا^(١)
وهو محمد بن عثمان بن سعيد العمري، كنيته: أبو جعفر، ويُلقَّب
بالعمري والعسكري والأسدي والسَّان، أثنى عليه المخالف والموافق، فقد ذكر
الجهضمي برواية رجال الأربعة المذاهب حال السفراء وكذا اسمه وأنَّه كان
وكيلاً للإمام المهدي عليه السلام، وأمره أشهر من أن يحتاج إلى الإطالة^(٢).
وأخرج الكيدري رحمه الله توقيعاً خرج من صاحب الزمان عليه السلام للعمري - أبي
جعفر - وفيه وصايا أوجبت عليه الثبوت على إمامته^(٣).
وقال ابن الأثير بعد ترجمته: إنَّه رئيس الإمامية، والباب إلى المنتظر،
وأوصى إلى أبي القاسم ابن روح^(٤).
وقال أبو الفداء مثله في (المختصر)^(٥)، والمسعودي في (إثبات الوصية)،
وابن الصبَّاح المالكي في (الفصول المهمة)^(٦).

(١) بهجة الآمال (ج ٦ / ص ٤٨٤).

(٢) الطرائف (ص ١٨٤).

(٣) الصراط المستقيم (ج ٢ / ص ٢٣٥).

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٠٩).

(٥) تاريخ أبي الفداء (ج ٢ / ص ٦٩).

(٦) الفصول المهمة لابن الصبَّاح (ج ٢ / ص ١١٠٦).

١١٢ سفراء المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام

أمّا علماء الشيعة فقد أجمعوا عليه، وتقدّم ذكر عبارات القدماء في حقّ السفراء وهو من بينهم.

قال المفيد عليه السلام: إنّه من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وممن شاهد الخلف في حياته، وكان من أصحابه وخاصّته بعد وفاته، وكان أهل عقل وأمانة، وثقة ظاهرة ودراية، وفهم وتحصيل ونباهة، وكانت أخبار المهدي عليه السلام واصلة من جهته مدّة من الزمن إلى الشيعة، وهو ممن يوثق بقوله ويرجع إليه لدينه وأمانته، وممن اختصّ به من الدّين والنزاهة^(١).

وقال الطوسي عليه السلام بأنّه وكيل من جهة الصاحب، وله منزلة جليلة عند الطائفة^(٢).

وأما الطبرسي عليه السلام فإنّه عدّه من الأبواب المرضيين والسفراء الممدوحين في زمان الغيبة، فقام مقام أبيه، وناب منابه في جميع ذلك، ولم يقدّم في أمر السفارة إلّا بنصّ من قبل صاحب الزمان عليه السلام عليه، ونصب صاحبه الذي تقدّم عليه، ولم تقبل الشيعة قوله إلّا بعد أن ظهرت آية معجزة على يديه من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدلّ على صدق مقالته وصحّة بايئته^(٣).

وقال الأردبيلي عليه السلام بأنّه ممّا لا تختلف الإماميّة القائلون بإمامة الحسن بن عليّ عليه السلام فيه.

وقال العلامة الحلّي عليه السلام: الأسدي أبو جعفر، وكيل في خدمة صاحب الزمان عليه السلام، وله منزلة جليلة عند هذه الطائفة^(٤).

(١) الفصول العشرة (ص ٧٨ - ٨٢).

(٢) رجال الطوسي (ص ٤٤٧ / الرقم ٦٣٥١ / ١٠١).

(٣) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٦ و ٢٩٧).

(٤) خلاصة الأقوال (ص ٢٥٠ و ٢٥١ / الرقم ٥٨).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١١٣

أمّا علماءنا المتأخرون فقد أثنوا عليه وبالغوا في مدحه، قال السيّد حسن الصدر رضى الله عنه: إنّه من ولد عمّار بن ياسر، وإنّه من أولياء الله الصالحين، وعباده المخلصين، عالم بالله وبأحكامه، تشرق عليه أنوار الملكوت، جالس على كرسي الاستقامة، لا نظير له في عصره في العلوم والمعارف، وإنّه حجّة المولى على الشيعة، وعلى يده ظهرت الكرامات^(١).

وقال عنه القمّي رضى الله عنه: إنّه باب الهادي رضى الله عنه ووكيل الناحية المقدّسة رضى الله عنه في خمسين عاماً، الذي ظهر على يده من طرف المأمول المنتظر رضى الله عنه معاجز كثيرة، وفضائله أشهر من أن تُذكر^(٢).

أمّا المامقاني رضى الله عنه فقد قال: إنّ جلالته شأن هذا الرجل وعلوّ قدره ومنزلته في الإماميّة أشهر من أن يحتاج إلى بيان وإقامة برهان، وقد مرّ في أبيه ما ينصّ على وكرامته حتّى في حياة أبيه عن مولانا العسكري رضى الله عنه وسفارته عن الحجّة رضى الله عنه ووثاقته وأمانته وعدالته وإجماع الشيعة على ذلك^(٣).

وقال السيّد الخوئي رضى الله عنه أيضاً بأنّ الروايات في جلالته وعظمة مقامه متضافرة^(٤).

أمّا منزلته في الأمة الإسلاميّة:

فقد نجح محمد بن عثمان العمري في تحصيل اعتماد الأمة الإسلاميّة، وحصل على مرتبة جلييلة بين علمائها وفضائلها، قال هبة الله نقلاً عن شيوخه وعلماء الأئمّة بأنّهم مجتمعون على عدالته ووثاقته وأمانته، لما تقدّم من النصّ عليه

(١) تأسيس الشيعة (ص ٤١١).

(٢) سفينة البحار (ج ٢ / ص ٤٠٤).

(٣) تنقيح المقال (ج ٣ / ص ١٤٩).

(٤) معجم رجال الحديث (ج ١٧ / ص ٢٩٤ / الرقم ١١٢٤٧).

١١٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

بالأمانة والعدالة، ولا يعرفون في هذا الأمر غيره، ولا يرجعون إلى أحد سواه، بل لا يُتَلَف في عدالته، ولا يُرتاب بأمانته^(١).

وكان هذا السفير يُخرج لهم التوقيعات من الإمام ﷺ بنفس الخطّ الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام بالمهّمات في أمر الدّين والدنيا، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة^(٢).

وكان كأبيه يستلم الأموال الضخمة التي تأتيه من الأقطار الإسلاميّة^(٣). وهو دليل على تسالم الأُمّة الإسلاميّة عليه، وعظّمته وجلالته فيها، لا كما تزعم بعض الأفكار المشبوهة.

لقد دعاه هذا الأمر وهو وصول تلك الأموال التي لا تحصل إلا للملوك والأمراء إلى أن يُعيّن له عشرة أنفس من ثقاته في بغداد ليسهموا معه في أمر السفارة^(٤)، وكان من بينهم الحسين بن روح النوبختي الذي عيّنه العمري قائماً على أملاكه وضبطها^(٥)، والبلاي وحاجز والعطار وغيرهم على قبض الأنفال والأخماس^(٦)، والشلمغاني على إخراج التوقيعات من قبّله^(٧)، والحسين بن عليّ الأسود على الوقوفات^(٨)، كل ذلك ليتمّ عبر خطة مبرمجة وأسلوب منتظم، وليتمّ ذلك الأمر في غاية السريّة والكتّان والحذر الشديد من معبّة الوقوع في مخالِب السلطات.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٢ و٣٦٣ / ح ٣٢٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤).

(٣) كمال الدّين (ص ٥٠١ و٥٠٢ / باب ٤٥ / ح ٢٨)، الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٨).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٨ و٣٦٩ / ح ٣٣٦).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

(٦) راجع: الغيبة للطوسي (ص ٤٠٠ / ح ٣٧٥، و٤١٥ / ح ٣٩٢).

(٧) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٢ - ٣٠٤ / ح ٢٥٦).

(٨) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٨).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١١٥

وقد كانت الأموال تُسلم إليه بطريق غامض ومغلف بالسريّة، وذلك بدلالة السفير نفسه، فقد روى الطبري عليه السلام: وصول مبلغ ستّة عشر ألف دينار من أهالي دينور، سلّمها الدينوري لوكيل الإمام عليه السلام بدلالة الوصف^(١).

فكان منهم من يطالب بالوصلات من السفير، ومنهم من لا يطالبه، ومنهم من لا يُسلمه شيئاً إلا بعد معرفة كرامة أو معجزة من الإمام عليه السلام تظهر على يديه.

وكان يتم تسليم الوصلات لأرباب الأموال لفترة قصيرة نسبياً وهي فترة خلافة المعتضد العبّاسي عام (٢٧٩هـ)، أي بعد تسعة عشر عاماً من بدايتها، ثم انقطع التسليم، فقد روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن المدائني، قال: كَانَ مِنْ رَسْمِي إِذَا حَمَلْتُ الْمَالَ الَّذِي فِي يَدِي إِلَى الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَانَ الْعَمْرِيِّ عليه السلام أَنْ أَقُولَ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَسْتَقْبِلُهُ بِمِثْلِهِ: هَذَا الْمَالُ وَمَبْلَغُهُ كَذَا وَكَذَا لِلْإِمَامِ عليه السلام، فيقول لي: نَعَمْ دَعُهُ، فَأَرَا جَعُهُ فَأَقُولُ لَهُ - مَرَّةً أُخْرَى - : تَقُولُ لِي: إِنَّهُ لِلْإِمَامِ؟! فيقول: نَعَمْ لِلْإِمَامِ عليه السلام، فيقبضه^(٢)، ثم يُسلم الوصول به.

وبعد مضيّ فترة من سفارته طولب وكيله ابن روح النوبختي بدفع الوصلات، فشكا ذلك إلى أبي جعفر العمري، فأمر أصحابه أن لا يطالبوه بالقبوضات، وقال: كلُّ ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إليّ، فصارت تُحمّل إليه الأموال، ولا يُطالب بالقبوض^(١)، بسبب صعوبة الوقت أيام

(١) دلائل الإمامة (ص ٥١٩ - ٥٢٤ / ح ٤٩٣ / ٩٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٧ / ح ٣٣٥).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٨).

١١٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

المعتضد حيث كان السيف يقطر دماً^(١)، وكانت تلك الفترة مليئة بالظلم وسفك الدماء^(٢) كما سيأتي بيانه.

فكان أبو جعفر العمري يسافر بين الحين والحين وهو في زِيِّ التُّجَّارٍ للتغطية على أمره، وكان يستلم الأموال بصفته تاجراً لا بصفته سفيراً، ويقول للرجل: امض إلى موضع كذا فسلم ما معك، من دون أن يشعر بشيء، ولا يدفع إليه كتاباً لئلا تطلع عليه السلطات^(٣).

وكان الإمام المهدي ﷺ حريصاً على مطالبته بالأموال والأخماس والزكوات والأنفال التي تصل إلى سفيره ووكلائه في الأقطار الإسلامية، ولا يجوز لهم التخلف أو التقصير، فقد خرج توقيع منه ﷺ ابتداءً من غير مسألة لسفيره محمد بن عثمان العمري، قائلاً: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَى مَنْ اسْتَحَلَّ مِنْ أَمْوَالِنَا دِرْهَمًا»^(٤)، وجاء في توقيع آخر: «وَأَمَّا الْمُتَلَبِّسُونَ بِأَمْوَالِنَا فَمَنْ اسْتَحَلَّ مِنْهَا شَيْئًا فَأَكَلَهُ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ النَّيِّرَانَ»^(٥)، وفي توقيع ثالث: «وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَمْرٍ مَنْ يَسْتَحِلُّ مَا فِي يَدِهِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ تَصَرُّفَهُ فِي مَالِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَنَحْنُ خُصَمَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِي وَلِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ مُجَابٍ، فَمَنْ ظَلَمْنَا كَانَ مِنْ جُمَلَةِ الظَّالِمِينَ، وَكَانَتْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(٦).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٦ / ح ٢٤٩).

(٢) عقيدة الشيعة (ص ٢٥٧).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٥ و ٢٩٦ / ح ٢٤٩).

(٤) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٠٠).

(٥) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٨٣).

(٦) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٩).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١١٧

أما منزلته عند الإمام الهادي رضى الله عنه:

لقد ذكرنا أن الإمام الهادي رضى الله عنه كان قد طبّق على نفسه سياسة الاحتجاب إلا عن عدد يسير من خواصّه، حتّى تألف الأئمة الأسلوب لا يتنكّر الغيبة، وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار^(١).

وكُلُّ هذه الأساليب التي استخدمها الإمام رضى الله عنه إنّما كان بسبب المضايقات وحملات التنقيش والملاحقة لأنصار الإمام رضى الله عنه من قِبَل السلطات الحاكمة التي كانت تستخدم شتى الأساليب كما فعل الخلفاء من قبل ضدّ الأئمة وأنصارهم ومؤيديهم.

فقد ذكر الطوسي رضى الله عنه بأنّه لم تلقَ فرقة وبُلي أهل مذهب بما بُليت به الشيعة من التتبّع والقصد وظهور كلمة أهل الخلاف، حتّى إنّنا لا نكاد نعرف زماناً تقدّم سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقيّة، ولا حالاً عريت فيه من قصد السلطان وعصبيّته وميله وانحرافه^(٢).

وأكدّ أحمد أمين المصري هذا المعنى بقوله: إنّ التقيّة عند الشيعة جزء مكملّ لتعاليمهم، تواصوا به، وعدّوه مبدءاً أساسياً من حياتهم^(٣).

وكان هذا هو السبب في أن يُشكّل تاريخ أهل السنّة وتراجهم وأحاديثهم القسم الأعظم من تاريخنا الإسلامي دون التاريخ الشيعي الإمامي الذي كان يعاني من ظلم الحُكّام وجورهم، فحدث لهم ممّا لم يحدث إلا في حروب التتار والمغول والصليبيّين، ولم ينبج من بطش الخلفاء حتّى ممّن لم يكونوا على مذهب الشيعة بسبب روايتهم حديثاً عن النبي ﷺ من الأئمة رضى الله عنهم!

(١) إثبات الوصيّة (ص ٢٧٢).

(٢) تلخيص الشافي (ج ٢ / ص ٥٩).

(٣) ضحى الإسلام (ج ٣ / ص ٢٤٧).

فمثلاً يُضْرَب نصر بن عليّ الجهضمي ألف سوط لأنه حدّث بحديث عن النبي ﷺ في الحسن والحسين قوله: «مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فكلم جعفر بن عبد الواحد الخليفة المتوكل العباسي بأن نصرًا لم يكن شيعيًا وإنما هو من أهل السنة، فضرب خمسمائة سوط وعُفِيَ عن الباقي^(١).

وهكذا أيضاً يُضْرَب مالك - مؤسس المذهب المالكي في عصر الصادق عليه السلام - بسياط المنصور بعد معرفة نوايا الخليفة من معارضة مذهب الإمامية، فقال: لا تفعل، أمّا هذا الصقع فقد كفيته، وأمّا الشام ففيه الرجل الذي علمته - أي الأوزاعي -، وأمّا أهل العراق فهم أهل العراق^(٢).

ولم يُسْتَشْن أصحاب الأئمة عن أساليب الحكام وتعسفهم، حتّى أخذت تطاردهم، وبثّ الجواسيس حولهم لاقتناص أخبارهم، وتعذيبهم بألوان العذاب، وزجّهم في السجون.

وبقي الإمام الهادي ﷺ وأصحابه يقفون أمام تيارات الانحراف القائمة في السلطة والأئمة، ومواجهة الإلحاد.

فقد حدّثنا التاريخ أنّ أصحاب الإمام الهادي عليه السلام وهو في سياسة الاحتجاب التي فرضها على نفسه كانوا قد بلغوا المائة والثمانين رجلاً^(٣).

وهذا عدد ضخم بالنسبة للأوضاع التي كان يعيشها الإمام الهادي عليه السلام آنذاك، وقد اعتمد الإمام عليه السلام على محمد بن عثمان العمري في أموره ونهضته

(١) تاريخ بغداد (ج ١٣ / ص ٢٨٩).

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (ج ١ / ص ٢٣٧).

(٣) رجال الطوسي (ص ٣٨١ - ٣٩٤ / باب أصحاب الهادي عليه السلام / الرقم ١ / ٥٦٣٠ -

١ / ٥٨١٤)، رجال البرقي (ص ٥٧ - ٦٠)، مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٠٦).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١١٩
الإصلاحية، فقربّه إليه وجعله باباً له في علومه وغوامض أسرارهِ^(١)، وشارك أباه
في مواجهة الانحراف^(٢)، وصار وكيلاً خاصاً للإمام الهادي عليه السلام لما امتلكه من
أمانة ودراية وفهم^(٣).

أما منزلته عند الإمام العسكري عليه السلام:

لقد أفضى الأمر بالإمام العسكري عليه السلام بأن يتكلّم من وراء الستار مع
الخواصّ وغيرهم إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان^(٤).
وقد قام الإمام عليه السلام بتقليص عدد أصحابه لخضوعه للرقابة الشديدة من
قِبَل السلطات^(٥).

وأن يُكثّف في اختفائه عن الساحة السياسيّة والاجتماعيّة، فقد كان
المجتمع خليطاً غير متجانس من الإنسان المتسافل روحياً، والمشدود إلى مصالحه
وخدمة ذاته والسير وراء رغباته وميوله، والمنحرف عن التعاليم الإسلاميّة بلا
فرق بين طبقة وأخرى ولون وآخر، مستثنيين في ذلك قادة الفكر والحركة
الإصلاحية والنموذج الرسالي الواعي.

وبدأ محمد بن عثمان العمري تلك النهضة مع إمامهِ عليه السلام، فأوكل له عليه السلام
مهمّة البايّة عنه^(٦)، وجعله مطلعاً على أخباره وأسراره، والقيام بنقل نداءاته

(١) راجع: سفينة البحار (ج ٢ / ص ٤٠٤).

(٢) تنقيح المقال (ج ٣ / ص ١٤٩).

(٣) راجع: رجال الطوسي (ص ٤٤٧ / الرقم ١٠١/٦٣٥١)، خلاصة الأقوال (ص ٢٥٠
و ٢٥١ / الرقم ٥٨)، هذا ولا يوجد فيها أنّه عليه السلام كان وكيلاً للإمام الهادي عليه السلام.

(٤) قد تقدّم في (ص ٨٢)، فراجع.

(٥) راجع: رجال البرقي (٦٠ و ٦١)، رجال الطوسي (٣٩٥ - ٤٠٣).

(٦) كمال الدّين (ص ٤٣٢ / باب ٤٢ / ح ١٢)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٦)، مجمع الرجال
(ج ٧ / ص ١٨٩)، الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٠٩)، تاريخ أبي الفداء (ج ٢ / ص ٦٩).

١٢٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وبياناته الصادرة منه إلى الأمة الإسلامية، ثم نصبه وكيلاً عنه في قبض الأموال والوجوه الشرعية، والمشاريع الضخمة^(١)، وقربه إليه ومنحه ثقته المطلقة به تلويحاً منه للأمة بعظم خطره وأن له شأناً آخر مع الإمام المهدي ﷺ في تخطيطه لأمر الغيبة التي أشرفت على الوقوع والتحقق.

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن أحمد بن إسحاق التميمي، قال: سألت الحسن العسكري عن مثل ذلك - أي في أبي جعفر العمري كما سأل عن أبيه في حياة الإمام الهادي عليه السلام -، فقال لي: «العمري وابنه ثقتان، فما أدباً إليك فعني يؤديان، وما قالاً فعني يقولان، فاسمع ههنا وأطعهما، فإتتهما الثقتان المؤمنان»^(٢)، وغير ذلك من عظيم الإجلال والإكرام^(٣).

فإن كلمة (ثقتي) التي كررها الإمام عليه السلام في محافل عديدة في حق محمد ابن عثمان العمري وأبيه من قبل، لا تكون إلا لمن أخلص وصفى، وتمخض إيمانه وولأؤه، وهي ليست باللفظة الرخيصة، بل عليها اعتماد الحفاظ وحملة الحديث، فإنهم إذا وجدوا حافظاً أو فقيهاً قالوا عنه: محدث ثقة، وأخذوها الحجّة القاطعة لأعدار المشككين، فما ظنك بمن يقول الإمام فيه: «ثقتي»؟ فذاك حجّة الحجّة، وآية من آيات العصمة، وهذه الكلمة لا تليق إلا بمحمد ابن عثمان العمري وأمثاله، صاحب المقامات العالية، والمناقب السنية، وآية من آيات العصمة، فالعرق صحيح وهو من ولد عمّار بن ياسر^(١)، والمنشأ

(١) قاموس الرجال (ج ٩ / ص ٤٠٨ - ٤١٠ / الرقم ٦٩٩٣)، معجم رجال الحديث (ج ١٧ / ص ٢٩٤ / الرقم ١١٢٤٧).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٣٣٠ / باب في تسمية من رآه عليه السلام / ح ١)، الغيبة للطوسي (ص ٢٤٣ و ٣٦٠ / ح ٢٠٩ و ٣٢٢).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦١ / ح ٣٢٣).

(١) تأسيس الشيعة (ص ٤١١).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري ربه ١٢١
كريم فأبوه عثمان بن سعيد الذي أكرمه الأئمة عليه السلام وعظموه وعرفوا فضله
وجلالته.

لقد أكد محمد بن عثمان العمري في سياسته على حقيقتين هامتين:
إحدهما: التأكيد على قرب ولادة الإمام المهدي ﷺ التي ستكون بداية
التحول في التاريخ الإسلامي.

وثانيتهما: إخبار أصحابه بأن للإمام المهدي ﷺ غيبتين إحدهما صغرى
والأخرى كبرى، باعتبار أن الغيبة حدث نادر في التاريخ البشري، تحتوي على
عنصر غيبي خارج عن الحس، لأن عنصر اختفاء الإمام ﷺ وإن لم يمكن
تفسيره طبيعياً إلا أن طول عمره كان متمحّضاً عن الإرادة الربانية والعامل
الروحي النازل من السماء لتحقيق اليوم الموعود.

ولكي تفهم الأمة هذا المفهوم فلا بد أن يتكرّر ويفهم هذا المفهوم للأمة
لكي تستسيغه وتعتاد عليه، ولا يحدث فيها هزة عنيفة أو ردّة فعل في قبولها هذه
الفكرة، خصوصاً وأن هناك إرهاصات مسبقة عن النبي ﷺ والأئمة
الطاهرين عليه السلام حول فكرة وجود المهدي ﷺ وغيبته.

إن هذه المسبقات الذهنية والقاعدة الفكرية المشحونة بالاعتقاد بالإمام
المهدي ﷺ وحصول العلم بقرب وقوعها، كان قد هيأ الأرضية الملائمة لقبولها،
فلم يبق أمام محمد بن عثمان العمري سوى إعلان عن هذه الفكرة وتطبيقه لها
وإشعار الأمة بقرب الولادة التي أوشت على التحقق والتنفيذ، وبذل الإمام
الحسن العسكري عليه السلام جهوداً مضاعفة في تقوية الارتباط بين العمري والأئمة،
وتوثيقه في محافل عديدة تمهيداً لأمر الغيبة، كقوله عليه السلام للوفد اليمني: «اشهدوا على
أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم»^(١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٥ و٣٥٦/ ح ٣١٧).

١٢٢ سفراء المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام

وقوله من قبل في أبيه عثمان بن سعيد: «هَذَا أَبُو عَمْرٍو الثَّقَةُ الْأَمِينُ، ثِقَةٌ الْمَاضِي، وَثِقَتِي فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١).

وقوله في عرضه لأصحابه وقد بلغوا أربعين رجلاً: «فَأَقْبَلُوا مِنْ عُثْمَانَ مَا يَقُولُهُ، وَأَنْتَهُوا إِلَى أَمْرِهِ، وَأَقْبَلُوا قَوْلَهُ، فَهُوَ خَلِيفَةُ إِمَامِكُمْ وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ»^(٢).

أما منزلته عند الإمام المهدي عليه السلام:

فالمتبّع للنصوص التاريخية يرى بوضوح وجود اللقاءات العديدة بين الإمام المهدي عليه السلام وسفيره محمد بن عثمان العمري، وقد تمّ بعضها في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بحضور ابنه الإمام المهدي عليه السلام.

وكان يدور الحوار في تلك اللقاءات حول الأوضاع الاجتماعية السائدة ودراستها وكيفية معالجتها ووضع الحلول لها، وقد كان يحضر في تلك اللقاءات كبار الشخصيات الإسلامية أمثال: عثمان بن سعيد، وابن روح النوبختي، والسمرى، وابن متيل، وأبيه، والحسن بن أيوب بن نوح، ومعاوية بن حكيم، وأحمد بن هلال، وعلي بن بلال، وغيرهم من بني نوبخت^(٣).

وتعمّقت تلك اللقاءات والزيارات بين الإمام المهدي عليه السلام ومحمد بن عثمان فترة سفارة أبيه عثمان عن الإمام المهدي عليه السلام وتنصيبه في بغداد، لتعتمد الأمة في أمورها عليه، لتحمل إليه أموالها وهمومها وآلامها وآمالها، ومن ثمّ يُخرج لهم التوقيعات عن صاحب الأمر عليه السلام بشأنها^(١).

وكان المسلمون مع صعوبة الوقت يقصدون أباه في حوائجهم، وهو يُخرج

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٤ / ح ٣١٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٧ / ح ٣١٩).

(٣) المصدر السابق.

(١) راجع: سفينة البحار (ج ٢ / ص ٤٠٤).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١٢٣

لهم الأجوبة والتوقيعات منه في حلِّ مشاكلهم^(١)، وكانوا لا يشكُّون في قوله وفعله وصدقه^(٢)، إلى أن تُوِّفِّيَ اللهُ ﷻ في عام (٢٦٥هـ)، وكان أوَّلَ توقيع خرج من الإمام المهدي ﷺ لمحمد بن عثمان العمري بعد وفاة أبيه جاء فيه تنصيبه سفيراً جديداً له ﷺ قائلاً: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَإِنَّ الْأَنْفُسَ طَيِّبَةً بِمَكَانِكَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﷻ فِيكَ وَعِنْدَكَ...» إلخ، ثم أرفق صدور الحكم منه ﷺ دعاءً له بالسداد والتوفيق في هذه المهمة الصعبة، فقال ﷺ: «أَعَانَكَ اللَّهُ وَقَوَّكَ وَعَضَّدَكَ وَوَفَّقَكَ، وَكَانَ لَكَ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَرَاعِيًّا وَكَافِيًّا»^(٣).

فقام محمد بن عثمان العمري بمهامِّ السفارة بعد تغسيله لأبيه وتكفينه وتجهيزه ودفنه بالجانب الغربي من مدينة السلام^(٤).

وقال الطوسي رضى الله عنه: فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنصَّ أبي محمد ﷺ عليه، ونصَّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم ﷺ^(٥).

وقام محمد بن عثمان العمري بعدة أمور في سفارته عن الإمام المهدي ﷺ، نلخصها بما يلي:

الأوَّل: إعلانه أمر سفارته عن الإمام المهدي ﷺ للأُمَّة:

لقد أعلن السفير محمد بن عثمان العمري عن بداية سفارته عن الإمام المهدي ﷺ لأصحابه ومن يثق به في الأُمَّة الإسلامية، وقد كان التوقيع يُعدُّ

(١) المصدر السابق.

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ و ٣٥٧ / ح ٣١٨).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦١ / ح ٣٢٣).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٦ و ٣٥٨ / ح ٣١٨ و ٣٢٠).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٥٩).

١٢٤ سفراء المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام

عملاً من أعمال السفير في إثبات وجود الإمام المهدي عليه السلام والتصديق بدعوى
السفير في أمر سفارته.

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال لمحمد
ابن همام: لَمَّا مَضَى أَبُو عَمْرٍو رحمته الله أَتَيْنَا الْكُتُبَ بِالْحَطِّ الَّذِي كُنَّا نَكَاتِبُ بِهِ بِإِقَامَةِ
أَبِي جَعْفَرٍ رحمته الله مَقَامَهُ^(١).

فكانت التوقيعات تخرج على يده من الإمام المهدي عليه السلام في المهمات طول
حياته^(٢).

الثاني: إقامة الدلائل والبراهين على صدقه:

قال الطوسي رحمته الله: وقد نُقِلَتْ عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام ظهرت
على يده، وأمور أخبرهم عليه السلام بها عنه، زادتهم في هذا الأمر بصيرة^(٣).

الثالث: إثبات جدارته في أمر السفارة:

لقد ذكرنا النصوص الواردة في توثيقه من الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام
ثم الإمام المهدي عليه السلام حيث قال فيه: «لَمْ يَزَلْ تُقْتَنَّا فِي حَيَاةِ الْأَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأَرْضَاهُ وَنَصَرَ وَجْهَهُ، يَجْرِي عِنْدَنَا مَجْرَاهُ، وَيَسُدُّ مَسَدَهُ، وَعَنْ أَمْرِنَا يَأْمُرُ الْإِبْنُ
وَبِهِ يَعْمَلُ»^(١).

وقد تسلمت عليه الأمة أيضاً بعد معرفتها له وتعايشها معه، فكانت لا
تشكُّ أبداً في أقواله وأفعاله، مجتمعة على عدالته ووثاقته^(٢).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٢ / ح ٣٢٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٣ / ح ٣٢٧).

(٣) المصدر السابق.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٢ / ح ٣٢٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٣ / ح ٣٢٧).

الرابع: تفوقه على أقرانه في العلوم:

إنَّ استمرار محمد بن عثمان العمري أربعين أو خمسين عاماً^(١) في أمر السفارة ومناظرته سائر الفرق والأديان المختلفة، وإفساد بعض العقائد والمذاهب الباطلة، وسدَّ الشُّبُهات التي أثارها السلطات، ومجابهة بعض الانحرافات في الأمة، كان دليلاً واضحاً وامتقناً على عظمة هذا السفير وجلالته، وعظم المبدأ الذي انتسب له.

الخامس: حلُّ مشاكل الأمة وقضاء حوائج أصحابه.

السادس: المساهمة في إخفاء الإمام المهدي ﷺ:

لقد وردت تصريحات عديدة من الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام لأصحابهم بشأن إخفاء أمر الإمام المهدي ﷺ عن أنظار السلطات، وخرجت من نفس الإمام المهدي ﷺ التصريحات والتوقيعات العديدة بشأن كتم أمره، وعدم التصريح باسمه، فمثلاً يخرج منه توقيع لسفيره محمد بن عثمان العمري ابتداءً من غير مسألة: «لِيُخْبَرَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنِ الْأِسْمِ إِمَّا السُّكُوتَ وَالْجُنَّةَ، وَإِمَّا الْكَلَامَ وَالنَّارَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ وَقَفُوا عَلَى الْأِسْمِ أَدَّعَوْهُ، وَإِنْ وَقَفُوا عَلَى الْمَكَانِ دَلُّوا عَلَيْهِ»^(١).

السابع: قبض الأموال والأنفال والزكوات من أربابها و صرفها في المشاريع

بأمر الإمام المهدي ﷺ.

الثامن: تنصيب الوكلاء من قبله بأمر الإمام المهدي ﷺ:

لقد ذكر الصدوق رضى الله عنه قائمة بأسماء الوكلاء الذين تمَّ تنصيبهم وكلاء عن الإمام المهدي ﷺ ليساهموا في أمر السفارة، وتسهيل عمل السفير، وإيصال

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤).

(١) قد تقدّم في (ص ٣٩)، فراجع.

١٢٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

بياناته ونداءاته إلى الأقطار الإسلامية، أمّا في بغداد فقد كان له من يتصرّف في قبضها، وكانوا عشرة أنفس، منهم أبو القاسم ابن روح النوبختي رحمته الله (١). وكان كلام محمد بن عثمان العمري نافذاً في الأمة الإسلامية، لأنه يُعبر عن كلام الإمام المهدي رحمته الله حيث قال فيه رحمته الله: «وَعَنْ أَمْرِنَا يَا مَرْءَ الْإِبْنِ، وَبِهِ يَعْمَلُ، تَوَلَّاهُ اللَّهُ» (٢)، وقوله رحمته الله: «وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَمْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ فَإِنَّهُ ثَقْتِي، وَكِتَابُهُ كِتَابِي» (٣). ونشير إلى وضعه العائلي والاجتماعي.

أما أسرته:

فلم تشر النصوص الإسلامية إلى أسرته سوى أنّ له ابنة تُدعى أمّ كلثوم، وكانت راوية للحديث (٤)، عالمة فاضلة، تفوّقت على أقرانها في شتى العلوم، وشهدت المحافل والأندية العلمية بحقّها، روت كُتُب أبيها وكثيراً من كراماته وفضائله (١)، وروى الصدوق والطوسي وغيرهما أحاديثها وأخبارها، وكذا أخبار أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب الذي كان ابن بنت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري (٢).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٩ / ح ٣٣٦).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٢ / ح ٣٢٥).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٢ / ح ٣٢٦).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٤ و ٣٦٣ و ٣٦٥ و ٣٧٢ و ٤٠٣ / ح ٢٤٩ و ٣٢٨ و ٣٣٢ و ٣٤٣ و ٣٧٨).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٣ / ح ٣٢٨).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٣٥٣ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٦ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٩٦ و ٣٩٨ و ٤٠١ و ٤٠٣ و ٤٠٨ و ٤١٤ / ح ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٣١٤ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٣٢ و ٣٣٤ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٦ و ٣٧٨ و ٣٨٢ و ٣٩٠).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري رحمته الله ١٢٧

فقد تزوّجت من أحمد بن إبراهيم النوبختي، وهو أحد الشخصيات الإسلامية المرموقة، وكان متكلماً وفتياً، ومن خواصّ محمد بن عثمان العمري، فلما تُوفّي العمري اختصّ بالحسين بن روح النوبختي، فكان يكتب له الأجوبة عن المسائل التي يخرج جواباتها على يديه، وكثيراً ما يقول أصحابنا في المكاتبات التي خرجت جواباتها على يد الشيخ أبي القاسم ابن روح النوبختي رحمته الله: إنّها بخطّ أحمد بن إبراهيم بن نوبخت وإملاء الشيخ أبي القاسم الروحي^(١). وكان أحمد بن إبراهيم قد تقدّم بطلب إلى محمد بن عثمان العمري رحمته الله لرؤية الإمام المهدي عليه السلام^(٢).

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٣ / ح ٣٤٥).

(٢) المزار لابن المشهدي (ص ٥٨٥).

المبحث الثاني:

محمد بن عثمان العمري والأوضاع السياسية والفكرية والاجتماعية فترة سفارته

بدأت سفارة محمد بن عثمان العمري عام (٢٦٥هـ) بعد وفاة أبيه، وانتهت عام (٣٠٥هـ)^(١) على اختلاف في الروايات أن فترة سفارته أربعون أو خمسون عاماً كما سيأتي في البحث.

وكان قد عاصر فيها أربعة من الحكام هم: بقية خلافة المعتمد المتوفى عام (٢٧٩هـ)، والمعتضد المتوفى عام (٢٨٩هـ)، والمكتفي بالله المتوفى عام (٢٩٥هـ)، وعشر سنوات من خلافة المقتدر التي استمرت إلى عام (٣٢٠هـ)^(٢).

أما الحوادث المهمة التي رافقت فترة سفارته، فنلخصها بما يلي:

أولاً: مطاردة قواعد الإمام المهدي عليه السلام وملاحقة أصحابه:

دلّت النصوص التاريخية على بقاء الإمام المهدي عليه السلام فترة من الزمن بداية الغيبة الصغرى في سامراء، حيث كان العمرىان فيها يستلمان التوقيعات الصادرة عنه عليه السلام وهما في بغداد، ولم يرد في تلك النصوص كيفية توصيلها لهما أو

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤)، الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٠٩)، تاريخ أبي الفداء (ج ٢ / ص ٦٩)، تاريخ ابن الوردي (ج ١ / ص ٢٤٦).

(٢) إثبات الوصية (ص ٢٧٣).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٢٩

استلامها، وبقي ذلك محاطاً بالغموض والكتمان، وكان السفيران من جهتهما أيضاً يوصلان الأموال والرسائل التي تصلها إلى الإمام المهدي عليه السلام وهو في سامراء^(١)، حيث يتم إخراج التعاليم والإرشادات بشأنها منه عليه السلام بواسطة بعض الوكلاء الخاصين هناك^(٢)، وقد دلت بعض المقابلات التي كانت تتم بينه عليه السلام وبين بعض الشخصيات الإسلامية على ذلك، كما جاء في خبر حاجز الوشاء^(٣)، وأبي محمد الرازي، وغيرهما^(٤).

وفي تلك الفترة، كانت السلطات تطارد الإمام عليه السلام مطاردة شديدة، وتلاحق أنصاره ومؤيديه، حتى إنها كبست دار الإمام عليه السلام عدة مرات بعد وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام من قبل الخليفين المعتمد والمعتضد^(٥).

فقد روى الراوندي عليه السلام أن المعتضد بعث ثلاثة من قواده لكبس دار الإمام عليه السلام، وقال لهم: اِحْتَقُوا بِسَامِرَاءَ وَارْتَبِسُوا دَارَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ تُوفِّي، وَمَنْ رَأَيْتُمْ فِيهَا فَاتُونِي بِرَأْسِهِ^(٦).

فمن يكون في تلك الدار غير ابنه المهدي عليه السلام؟! مما يدل على أنه عليه السلام كان في سامراء التسعة عشر عاماً المتبقية من خلافة المعتمد إلى بداية خلافة المعتضد عام (٢٧٩هـ).

وتشير بعض النصوص إلى أن الإمام المهدي عليه السلام كان قد قلص كثيراً من وكلائه في سامراء، بل طلب من أصحابه أن يتركوا سامراء فوراً لكي لا تثار حوله

(١) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤٨٠).

(٢) بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ٣٨٠).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥ / ح ٣٩٢).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤١٧ / ح ٣٩٥).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٢٤٨ - ٢٥٠ / ح ٢١٨).

(٦) الخرائج والجرائح (ج ١ / ص ٤٦٠).

١٣٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الشكوك، ولفسح المجال لهم ليشاركوا في أمر السفارة كوكلاء له في البلاد الإسلامية، وكانت بغداد أكثر هدوءاً واستقراراً من سامراء، وتمتلك مقومات العمل الإسلامي نظراً لموقعها الجغرافي وارتباطها بسائر العواصم الإسلامية، وقد ساهم هذا الأمر في إضفاء طابع الكتمان والسريّة في عمل الإمام المهدي ﷺ وسفارته.

ولكن ومع ذلك كلّ فلم تنته حملات التفتيش لبيت الإمام المهدي ﷺ من قبل السلطات، التي كانت تحسّ بالخطر الشديد الذي كان يهددها بين الآونة والأخرى بلا رادع ولا وازع، فمثلاً يقتحم نسيم - وهو أحد جلاوزة السلطة وجواسيسها - دار الإمام المهدي ﷺ ويكسر بابه، ولكنّه سرعان ما فوجئ بوجود الإمام ﷺ واقفاً أمامه متحدّياً، ويده طبرزين قائلاً: «مَا تَصْنَعُ فِي دَارِي؟»، فلم يكن أمام نسيم سوى أن تراجع وشعر بالخيبة والانكسار قائلاً: «إِنَّ جَعْفَرًا زَعَمَ أَنَّ أَبَاكَ مَضَى وَلَا وَكْدَ لَهُ»^(١)! فأوصل خبره بعدها إلى السلطات وحذّرها منه، وكان من حسن الحظّ أنّ الدولة مشغولة بحرب صاحب الزنج، وبعض الاضطرابات الداخليّة التي كانت منعتها من ذلك، وقد باءت جميع محاولات السلطات في القبض على الإمام ﷺ بالفشل الذريع، وبقي كابوس الإمام ﷺ يلاحقها ويرعبها، مضافاً إلى حوادث شغب صاحب الزنج كاد يقطع الشريان الحيّاتي للنظام الحاكم.

ثانياً: صعوبة تلك الفترة، والسريّة التامة:

إنّ المتنبّع للنصوص التاريخيّة يشاهد في هذه الفترة من سفارة محمد بن عثمان العمري أمرين، هما: قلّة النصوص الخارجة إلى هذا السفير مع طول فترة

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٣١ و ٣٣٢ / باب في تسمية من رآه ﷺ / ح ١١)، الغيبة للطوسي (ص ٢٦٧ / ح ٢٢٩).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري ﷺ ١٣١
سفارته^(١)، فلم ينقل توقعاً ذا بال بداية سفارته إلا في حدود نسبة الظروف
الصعبة والمعقدة التي يعيشها الإمام المهدي ﷺ، فالسيف يقطر دماً في خلافة
المعتضد العباسي كما يقال^(٢)، وأن سنوات تلك الفترة كانت مليئة بالظلم وسفك
الدماء^(٣) كما ذكرنا.

ثالثاً: ظهور المدّعين للسفارة كذباً عن الإمام المهدي ﷺ:

لقد ابتليت فترة سفارة محمد بن عثمان العمري بظهور السفارات الكاذبة
لمدّعيها عن الإمام المهدي ﷺ، طمعاً في الزعامة على الأمة وابتزاز الأموال،
مضافاً إلى الأشخاص الذين دستهم السلطات في صفوف الأمة لاقتناص خبر
الإمام ﷺ ومعرفة خبر السفارة، فادّعوا أنّهم وكلاء عنه ﷺ ليعرفوا كلّ من
يصل إلى الإمام ﷺ ويتعرّفوا على مكانه، وسنّفرد لهم باباً في الحديث عنهم.

رابعاً: قساوة الحُكّام فترة سفارة العمري:

لقد ضاق الإمام المهدي ﷺ بظلم الحُكّام فترة سفارة محمد بن عثمان
العمري، فالمعتمد مثلاً يُصدر أوامره بإلقاء القبض على الإمام المهدي ﷺ بعد
أن أمر قبل ذلك بالقبض على الإمام العسكري ﷺ وزجّه في السجن^(٤)،
فأرسل الخيل والرجال إلى دار الإمام المهدي ﷺ، فكبسوه وفحصوا في كلّ
غرفة ودهليز، ثم اشتغلوا بعدها بالنهب والسلب والغارة على ما رأوا من متاع
الإمام ﷺ في الدار^(٥).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٦ / ح ٢٤٩).

(٣) عقيدة الشيعة (ص ٢٥٧).

(٤) إعلام الوري (ج ٢ / ص ١٥٠).

(٥) كمال الدين (ص ٤٧٣ / باب ٤٣ / ح ٢٥).

١٣٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وكانت فترة سفارة العمري أيام المعتضد عام (١٧٩هـ) من أصعب الفترات عليه وأقساها، قال المسعودي: كان المعتضد قليل الرحمة، كثير الإقدام، سفاكاً للدماء، شديد الرغبة في أن يُمَثَّلَ بمن قتله، وكان إذا غضب على القائد النبيل والذي يختصه من غلمان، أمر أن تُحْفَر له حفيرة بحضرته ثم يُدلى على رأسه فيها، ويُطرح التراب عليه ونصفه الأسفل ظاهر على التراب، ويداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دُبره.

وروى المسعودي بعض الصور البشعة من تعذيبه قائلاً: كان المعتضد يأخذ الرجل فيُكْتَف ويُقَيَّد فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه، وتوضع المنافخ في دُبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه، ثم يسدُّ الدُّبر بشيء من القطن ثم يفصد - وقد صار كالجمل العظيم - من العرقين اللذين فوق الحاجبين، فتخرج النفس من ذلك الموضع^(١).

وفعل المعتضد هذا في لصٍّ سرق عشر بدر من بيت صاحب عطاء الجيش كان قد أعطاه الخليفة من بيت المال لبعض الرسوم إليه ليدفعها إلى الجند، فسُرقت من بيته كلها ليلاً، ولم يشتف بذلك الفعل، بل أمر بعض الأطباء قبل أن ينشق بدن هذا اللص بأن يضربه في العرقين فوق الحاجبين اللذين في الجبين، فأقبلت الرياح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير إلى أن خمد وتلف، فكان ذلك أعظم منظر رُئي في ذلك اليوم من العذاب^(٢).

وربما يُقام الرجل في أعلى القصر مجرداً موثقاً فيرمى بالنشاب حتى يموت، واتخذ المطامير وجعل فيها صنوف العذاب^(٣).

(١) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٤٤).

(٢) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٦٢ و ١٦٣).

(٣) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٤٤ و ١٤٥).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١٣٣

فمن كان هكذا سريره في لصّ سرق بعض البدر، وقد ذكرت النصوص أنه أرسل جماعة من قادته، وأمرهم بالتوجه إلى سامراء، وقال لهم: اِحْقُوا بِسَامِرَاءَ وَارْكَبُوا دَارَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ تُوفِّي، وَمَنْ رَأَيْتُمْ فِيهَا فَأُتُونِي بِرَأْسِهِ^(١)، فلما فشلت هذه الهجمة على بيت الإمام ﷺ قام بهجمة أخرى، فبعث عسكرياً أكثر، وكان الإمام المهدي ﷺ في الدار، فخرج منها ولم يروه، بعد أن اجتمعوا على الباب وحفظوه حتى لا يصعد ﷺ ولا يخرج^(٢).

أما سياسة المعتضد مع أصحاب الإمام ﷺ، فقد روى التاريخ عنها الكثير، فمثلاً حمّل عليّ بن عاصم إليه وهو شيخ الشيعة في وقته مع جماعة من أصحابه، فضرب ثلاثمائة سوط^(٣)! ثم حبس حتى مات في المطامير، وبعدها رُمي في دجلة^(٤).

خامساً: انتقال الخلافة العباسية من سامراء إلى بغداد:

ذكرت النصوص التاريخية أن المعتضد العباسي بويح له بالخلافة عام (٢٧٩هـ)، ثم أعرض عن سامراء إغراضاً تاماً، وانتقلت خلافته إلى بغداد، فبقيت سامراء لقمة سائغة للاضمحلال والفناء، وقد حاول المكتفي الرجوع والعودة إلى سامراء عام (٢٩٠هـ) لكن وزيره صرفه عن ذلك لجسامة الأموال التي يجب صرفها قبل الانتقال.

سادساً: الأفول التدريجي للخلافة، والفوضى في البلاد:

تفاقم أكثر الخلافة العباسية فترة سفارة محمد بن عثمان العمري، فسيطرت

(١) الخرائج والجرائح (ج ١ / ص ٤٦٠).

(٢) بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ٥٢ و ٥٣ / ح ٣٧).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٥١ / ح ٣١٠).

(٤) رسالة في آل أعين (ص ٩).

١٣٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الموالي والأتراك على دفة الحكم، وأصبح تأثيرهم في التاريخ طبيعياً وأمرأ حتمياً، فهم القواد والمحاربون، وهم المالكون والمتصرفون في شؤون الدولة، فقلماً يموت الخليفة حتف أنفه، فالمعتمد يُكثّر في الأكل على الشطّ ببغداد فيموت مبطوناً^(١). والمعتمد يموت مسموماً من قبل إحدى جواريه أو غيرها^(٢). والمقتدر يموت بشرّ قتلة من قبل قوم من المغاربة والبربر، وكان منفرداً منقطعاً عن أصحابه، فشهروا سيوفهم في وجهه، فقال لهم: ويحكم أنا الخليفة، فقالوا: قد عرفناك يا سفلة، أنت خليفة إبليس، وقتلوه وأخذوا جميع ما عليه حتّى سراويله، وتركوه مكشوف العورة إلى أن مرّ به رجل من الأكرة فستره بحشيش، ثم حفر له موضعه ودفن وعفي قبره^(٣). والقاهر بالله ثار عليه جماعة من القواد الساجية والحجرية واقتحموا عليه قصره، فلما سمع القاهر الأصوات والجلبة استيقظ مخموراً، وطلب باباً يهرب منه، ولا زال يباطلهم منفرداً حتّى أدركوه وقتلوه^(٤).

سابعاً: نهاية ثورة صاحب الزنج:

وشهدت فترة سفارة محمّد بن عثمان العمري أيضاً نهاية صاحب الزنج بعد أن عاث في الأرض فساداً، وقتل وأحرق واستعبد الكثير من الناس إلى أن قُتِلَ عام (٢٧٠هـ)^(٥)، وقد أدخل خبر قتله السرور والفرح على الأمة، وقيلت في ذلك الأشعار^(٦).

(١) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٤٥٥).

(٢) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٨٤).

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٤٢ و ٢٤٣).

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٨٠ و ٢٨١).

(٥) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٣٩٩).

(٦) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٤٠٥).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٣٥

ثامناً: نهاية الدولة الطولونية:

وشهدت فترة سفارته أيضاً نهاية الدولة الطولونية في مصر حيث بدأت عام (٢٥٤هـ) فترة خلافة المعتز العباسي، ومؤسس هذه الدولة هو أحمد بن طولون التركي الذي ولّاه بايكال التركي من قبل السلطة العباسية على مصر، وبقي حاكماً على مصر وسوريا، ومتحدّياً العاصمة أحياناً^(١)، حتّى مات مبطوناً عام (٢٧٠هـ)^(٢)، فخلف ابنه خمارويه^(٣)، الذي أصهر إليه المعتضد العباسي^(٤)، وبقي مستمراً على ملك أبيه إلى أن قتله بعض خدمه وهو مخمور، فشرحوا لحمه من أفخاذه وعجيزته، وأكله السودان من مماليكه^(٥)، وبقيت الدولة الطولونية حتّى عام (٢٩٢هـ)، حيث استولى الخليفة المكتفي على دولتهم وأموالهم، وولّى عيسى النوشيري على مصر^(٦)، وانقرضت بعد ذلك دولتهم، وقد كان لها دور هام في تغيير عجلة التاريخ ولمدّة أربعين عاماً.

تاسعاً: ظهور مهدي جديد في أفريقيا:

ومن الطريف في فترة سفارة محمد بن عثمان العمري هو ظهور رجل في أفريقيا يدّعي أنّه المهدي! وأنّه من ذريّة إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام، وهو جدُّ الفاطميين في مصر عام (٢٩٦هـ)^(٧)، وكان قد ملك قسماً كبيراً من الشمال الأفريقي بما يقابل ليبيا وتونس والجزائر، فاستتبّت له الأمور وخافته القبائل،

(١) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ١٨٧ و ١٨٨).

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٤٠٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٤٥).

(٥) مروج الذهب (ج ٤ / ص ١٥٨).

(٦) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٥٣٥ و ٥٣٦).

(٧) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٤).

١٣٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
وأخرج رجلاً من (سجل ماسة) يُدعى عبد الله بن الحسن وأعلنه مهدياً! وتبرّع له
بكل ملكه، فاستقامت له البلاد، ودانت له العباد، وقام بفتوحات كثيرة بعيداً
عن العاصمة بغداد، وأراد احتلال مصر مرّتين فلم يفلح بسبب ما بذلته السلطة
العبّاسيّة من دفعه، كانت أولاهما عام (٣٠١هـ)^(١)، وثانيهما عام (٣٠٧هـ)^(٢).

عاشراً: ظهور القرامطة:

ورافقت فترة سفارة محمّد بن عثمان العمري ظهور القرامطة الذين ابتدأ أمرهم
عام (٢٧٨هـ)^(٣)، أي قبل حركة المهدي الأفريقي بثمانية عشر عاماً، وكان هؤلاء
يتّصفون بالصرامة والشدة والاستهانة بالدماء، ولا يعتقدون بإمامة المهدي ﷺ،
وكانوا يختلفون في تفاصيل مذهبهم مع المذاهب الأخرى فقهاً وعقيدةً، واتّخذوا
أسوأ الأساليب في التنكيل بالمسلمين خصوصاً قوافل الحجّاج، والاعتداء على
الكعبة الشريفة، وقلعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى هجر^(٤).

هذه نماذج من التاريخ استعرضناها فترة سفارة محمّد بن عثمان العمري
حيث يتّضح من خلالها صعوبة الوقت، وحراجه الموقف، وخطر المسؤولية.

* * *

(١) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٨٤ و ٨٥).

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٢١).

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٧ / ص ٤٤٤).

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٠٧).

المبحث الثالث:

محمد بن عثمان العمري ومدعو السفارة الكاذبة

لم يكن ادعاء منصب السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام كذباً وزوراً أمراً غريباً عن الأذهان، لكثرة من ادعى هذا المنصب قبل ذلك في النبوة، أمثال مسيلمة الكذاب وسجاح وغيرهما، والإمامة أمثال محمد بن الحنفية وابنه عبد الله وأخيه علي، وعبد الله بن معاوية الخارج بالكوفة، وصاحب أصفهان الذي مات بأرض الشراة بالشام، ومحمد بن عبد الله بن الحسن عليه السلام الخارج بالمدينة، وجعفر الكذاب ابن الإمام الهادي عليه السلام وغيرهم^(١).

فقد ادعى أكثر هؤلاء تلك المناصب في أول أمرهم، ثم خلطوا فادعوا الألوهية بعد ذلك، وأتهم قد عرج بهم إلى السماء، وكلموا المسيح عليه السلام، إلى غير ذلك من الخرافات والأكاذيب التي اختلقوها لأنفسهم وسموها فضائل لهم ليبتزوا أموال الناس السذج ويتزعموا عليهم، ولكن سرعان ما ظهر أمرهم وبان كذبهم، وباؤوا بغضب علي غضب، وفي الآخرة لهم عذاب عظيم، وصاروا أضحوكة للتاريخ وملعنة للبشرية. وقسم من هؤلاء تاب ورجع عن أمره وندم على ما صدر منه واعتذر من أفعاله للأمة.

أما مدعو السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام كذباً وزوراً، فنلخص منهم:

(١) أنظر: الملل والنحل للشهرستاني، وفرق الشيعة للنوبختي، والفرق بين الفرق للبغدادي، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وتاريخ الطبري، وتاريخ بغداد، وغيرها.

أولاً: أبو محمد الشريعي:

كان من أصحاب الإمام الهادي والعسكري ﷺ، واسمه الحسن، ثم انحرف، وكان أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن له أهلاً، وكذب على الله وحججه ﷺ، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وهم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع من الإمام المهدي ﷺ بلعنه والبراءة منه.

قال هارون: ثُمَّ ظَهَرَ مِنْهُ الْقَوْلُ بِالْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ إِنَّمَا يَكُونُ كَذِبُهُمْ أَوْلَىٰ عَلَىٰ الْإِمَامِ، وَأَتَمُّهُمْ وَكَلَاؤُهُ، فَيَدْعُونَ الضَّعْفَةَ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَىٰ مَوَالِيهِمْ، ثُمَّ يَتَرَقَّى الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَىٰ قَوْلِ الْخَلَاجِيَّةِ كَمَا اشْتَهَرَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الشَّلْمَغَانِيِّ وَنُظَرَائِهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً لَعَائِنُ اللَّهِ تَرَىٰ^(١).

ثانياً: محمد بن نصير النميري:

كان يُلقب بالفهري، وهو من أصحاب الإمام العسكري ﷺ، فانحرف وافتتن وأصبح يستخدم اسم صحبته للإمام العسكري ﷺ ليستدر الأرباح ويتصدّر على الناس السُّدَج، فكتب الإمام ﷺ كتاباً شديداً للهجة ضده وصدّ الحسن بن محمد المسمّى بابن بابا القمي، حيث كشف فيه انحرافها والبراءة منها، فقال ﷺ مخاطباً أحد أصحابه: «أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْفَهْرِيِّ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَابَا الْقُمِيِّ، فَابْرَأْ مِنْهُمَا، فَإِنِّي مُحَدِّثُكَ وَجَمِيعَ مَوَالِيٍّ، وَإِنِّي أَلْعَنُهُمَا عَلَيْهِمَا لَعْنَةُ اللَّهِ، مُسْتَأْكِلِينَ يَأْكُلَانِ بِنَا النَّاسِ، فَتَانَيْنِ مُؤَدِّيَيْنِ، آذَاهُمَا اللَّهُ، وَأَرْكَسَهُمَا فِي الْفِتْنَةِ...» إلخ^(٢).

وقال سعد بن عبد الله: كان محمد بن نصير النميري يدعي أنه رسول نبي،

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٧ و ٣٩٨ / ح ٣٦٨).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٠٥ / ح ٩٩٩).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٣٩

وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام أُرْسِلَهُ، وَكَانَ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ وَيَغْلُو فِي أَبِي الْحَسَنِ الْهَادِي عليه السلام وَيَقُولُ فِيهِ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَيَقُولُ بِالإِبَاحَةِ لِلْمَحَارِمِ، وَتَحْلِيلِ نِكَاحِ الرِّجَالِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي أَدْبَارِهِمْ، وَيُزَعَمُ أَنَّ اللَّهَ عز وجل لَا يُحَرِّمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالإِخْبَاتِ وَالتَّذَلُّلِ فِي الْمَفْعُولِ بِهِ! وَأَنَّهُ مِنَ الْفَاعِلِ إِحْدَى الشَّهَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ.

وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات - وهو والد علي بن محمد وزير المقتدر عام (٢٩٩هـ) - يُقَوِّي أسبابه ويعضده.

ثم قال سعد: أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَاقَانَ أَنَّهُ رَأَاهُ عَيْنَانًا وَغُلَامًا لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، قَالَ: فَلَقَيْتُهُ، فَعَاتَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا مِنَ اللَّذَاتِ، وَهُوَ مِنَ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَتَرَكَ التَّجَبُّرَ ^(١).

وقال هبة الله أبو نصر: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام ادَّعَى مَقَامَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ إِمَامِ الزَّمَانِ، وَادَّعَى لَهُ الْبَابِيَّةَ، فَفَضَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الإِلْحَادِ وَالْجَهْلِ، وَلَعَنَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ لَهُ وَتَبَرَّيْهِ مِنْهُ، وَاحْتِجَابِهِ عَنْهُ.

وادَّعَى ذَلِكَ الأَمْرَ بَعْدَ الشَّرِيعِي، وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ تَسَمَّوْا بِالنَّصِيرِيَّةِ كَانَتْ مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْفِرَاتِ ^(٢).

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الْأَنْبَارِيُّ: لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ نُصَيْرٍ بِمَا ظَهَرَ، لَعَنَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَمْرِيُّ عليه السلام وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَصَدَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام لِيُعْطِفَ بِقَلْبِهِ عَلَيْهِ أَوْ يَعْتَدِرَ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ وَحَجَبَهُ وَرَدَّهُ خَائِبًا ^(٣).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٨ و ٣٩٩ / ح ٣٧١ و ٣٧٢)، اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٠٥ /

ح ١٠٠٠)، فِرَق الشيعة (ص ٩٣ و ٩٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٨ / ح ٣٦٩)، فِرَق الشيعة (ص ٩٤).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٨ / ح ٣٧٠).

وَلَمَّا اعْتَلَّ الْعِلَّةَ الَّتِي تُؤْفَى فِيهَا، قِيلَ لَهُ وَهُوَ مُثْقَلُ اللِّسَانِ: لِمَنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ بِلِسَانٍ ضَعِيفٍ مُلْجَلِجٍ: أَحْمَدُ، فَلَمْ يَدْرُوا مَنْ هُوَ، فَافْتَرَقُوا بَعْدَهُ ثَلَاثَ فِرْقٍ، قَالَتْ فِرْقَةٌ: إِنَّهُ أَحْمَدُ ابْنُهُ، وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى ابْنِ الْفُرَاتِ، وَهُوَ أَخُو عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَزِيرِ الْمُقْتَدِرِ، وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: إِنَّهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ يَزِيدَ، فَتَفَرَّقُوا، فَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى شَيْءٍ^(١).

ثالثاً: أحمد بن هلال:

ويُلَقَّبُ بالكرخي^(٢)، والعبرتائي^(٣)، وُلِدَ عام (١٨٠هـ) وتُوفِّيَ عام (٢٦٧هـ)^(٤)، عاصر فيها الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ والإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسبع سنين من الغيبة الصغرى، منها خمس سنين فترة سفارة عثمان بن سعيد، وستين فترة سفارة أبي جعفر العمري.

اتَّخَذَ مسلك التصوف، وحبَّ أربعاً وخمسين حجَّةً، عشرون منها على قدميه، لقيه أصحابنا بالعراق وكتبوا عنه^(٥).

ذمَّه الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما روي عنه^(٦)، وتبنَّى بعده الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ التحذير منه، فكتب إلى وكلائه بالعراق: «إِحْذَرُوا الصُّوفِيَّ الْمُتَّصِنَ»^(٧).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٩ / ح ٣٧٣)، فِرْقُ الشَّيْخَةِ (ص ٩٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٩).

(٣) رجال النجاشي (ص ٨٣ / الرقم ١٩٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٦ / ح ١٠٢٠).

(٦) رجال النجاشي (ص ٨٣ / الرقم ١٩٩).

(٧) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٦ / ح ١٠٢٠).

وورد على القاسم بن العلاء نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال، فأنكروا رواة أصحابنا بالعراق ذلك، لما كانوا قد كتبوا من رواياته، فحملوا القاسم بن العلاء في أن يراجع في أمره، فخرج إليه الإمام المهدي ﷺ توقيفاً على يد سفيره محمد بن عثمان العمري جاء فيه: «قَدْ كَانَ أَمْرُنَا نَفَذَ إِلَيْكَ فِي الْمُنْتَصِعِ ابْنِ هَلَالٍ لَا رَحْمَةَ اللَّهِ، بِمَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَمْ يَزَلْ لَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ، وَلَا أَقَالَهُ عَثْرَتَهُ، يُدَاخِلُنَا فِي أَمْرِنَا بِلَا إِذْنٍ مِنَّا وَلَا رِضَى، يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ، فَيَتَحَامَى مِنْ دُيُونِنَا، وَلَا يُمَضَى مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا بِمَا يَهْوَاهُ وَيُرِيدُ، أَرَادَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ حَتَّى بَتَرَ اللَّهُ بِدَعْوَتِنَا عُمُرَهُ، وَكُنَّا قَدْ عَرَفْنَا خَبْرَهُ قَوْمًا مِنْ مَوَالِينَا فِي أَيَّامِهِ لَا رَحْمَةَ اللَّهِ، وَأَمْرَانَاهُمْ بِالْقَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْخَاصِّ مِنْ مَوَالِينَا، وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ابْنِ هَلَالٍ لَا رَحْمَةَ اللَّهِ، وَمَنْ لَا يَبْرَأُ مِنْهُ. وَأَعْلِمِ الْإِسْحَاقِيَّ^(١) سَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِمَّا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ حَالِ هَذَا الْفَاجِرِ، وَجَمِيعِ مَنْ كَانَ سَأَلَكَ وَيَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَالْخَارِجِينَ، وَمَنْ كَانَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ مِنْ مَوَالِينَا فِي التَّشْكِيكِ فِيمَا يُؤَدِّيهِ عَنَّا ثِقَاتِنَا، قَدْ عَرَفُوا بِأَنَّنا نَفَاوِضُهُمْ سِرَّنا، وَنَحْمَلُهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، وَعَرَفْنَا مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٢).

ويظهر من هذا البيان أنه صدر منه ﷺ بعد موت ابن هلال، ولعله مات بعد التوقيع الأول وقبل هذا البيان.

وقد أتضح أيضاً من التوقيع أن ابن هلال كان يتلقى الأوامر من الإمام المهدي ﷺ ولو بالواسطة، إلا أنه كان يستبدُّ برأيه فيها ولا يُطبَّق منها إلا ما يريد وكيف ما يريد! فدعا عليه الإمام المهدي ﷺ فبتر الله عمره.

وثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، ولم ينفعهم هذا القول البليغ، فعاودوا

(١) المظنون أنه أحمد بن إسحاق القمي الأشعري.

(٢) المصدر السابق.

القاسم بن العلاء على أن يراجع فيه، فخرج من الإمام المهدي ﷺ على يد سفيره محمد بن عثمان العمري توقيع جاء فيه: «لَا شَكَرَ اللَّهُ قَدْرَهُ، لَمْ يَدْعُ الْمَرْءُ رَبَّهُ بِأَنْ لَا يُزِيغَ قَلْبُهُ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا وَلَا يَجْعَلَهُ مُسْتَوْدَعًا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الدَّهْقَانِ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَخِدْمَتِهِ وَطُولِ صُحْبَتِهِ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ كُفْرًا حِينَ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَعَاجَلَهُ اللَّهُ بِالنَّقِمَةِ وَلَمْ يُمَهِّلْهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»^(١).

ويظهر من النصوص التاريخية أن ابن هلال هذا بقي مؤمناً صالحاً فترة سفارة عثمان بن سعيد، ولكنه بدأ بالتشكيك في فترة سفارة أبي جعفر العمري، بحجة إنكار النص عليه من قبل الإمام العسكري ﷺ ويقول: لَمْ أَسْمَعُهُ يَنْصُ عَلَيْهِ بِالْوَكَاةِ، وَلَيْسَ أَنْكِرُ أَبَاهُ، فَأَمَّا أَنْ أَقْطَعَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ - محمد بن عثمان العمري - وَكَيْلُ صَاحِبِ الزَّمَانِ ﷺ فَلَا أَجْسُرُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ سَمِعَهُ غَيْرُكَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَمَا سَمِعْتُمْ، وَوَقَفَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ - العمري -، فَلَعَنُوهُ وَتَبَرَّءُوا مِنْهُ^(٢).

وقد ذكره الشيخ الطوسي ﷺ في قائمة المذمومين والمدعين للسفارة كذباً عن الإمام المهدي ﷺ، وروى توقيعاً للحسين بن روح النوبختي بأنه بقي على ضلالته، فلعنه الإمام المهدي ﷺ في جملة من لعن^(٣).

رابعاً: أبو طاهر البلالي:

وهو محمد بن علي بن بلال، من أصحاب الإمام العسكري ﷺ^(٤)، عدّه

(١) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨١٦ و ١٨٧ / ح ١٠٢٠).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٩ / ح ٣٧٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) خلاصة الأقوال (ص ٢٤٢ / الرقم ٢٧)، جامع الرواة (ج ٢ / ص ١٥٣).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١٤٣

ابن طاوس رضى الله عنه من الوكلاء الموجودين في الغيبة الصغرى، والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي رضى الله عنه فيهم^(١).

وظاهره كونه بمنزلة القاسم بن العلاء والأشعري والأسدي وغيرهم في الوثيقة والجلالة، إلا أن الشيخ الطوسي رضى الله عنه ذكره في المذمومين الذين ادّعوا البايّة، فتابعناه على ما ذكره، وتوقف العلامة الحلي رضى الله عنه في ما يرويه من أجل ذلك أيضاً^(٢).

قال الشيخ الطوسي رضى الله عنه: وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (نصر الله وجهه)، وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام المهدي رضى الله عنه، وامتناعه من تسليمها، وادّعائه أنه الوكيل، حتى تبرأت الجماعة منه، ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان رضى الله عنه ما هو معروف^(٣).

ثم إنّ البلالي هذا كان له جماعة من الأصحاب والمؤيدين، منهم: أبو الطيب أخوه، وابن حرز، ورجل من أصحابنا، وقد انفصل الأخير عنه، وكان للبلالي دور هام في عملية الانحراف والتزوير، ممّا دعا أبا جعفر العمري بأن يتصدى له ويردعه، ثم أخذ الأموال التي كانت تصله بكونه وكيلاً عن الإمام المهدي رضى الله عنه فلم يفلح في ذلك، وبقي ابن بلال على ضلّالته وتمسكه بالأموال وغيرها من الضلّالات.

روى الطوسي رضى الله عنه بإسناده عن المعاذي، قال: قصد أبو جعفر العمري ابن بلال في داره، وكان عنده جماعة فيهم أخوه أبو الطيب وابن حرز، فدخل الغلام فقال: أبو جعفر العمري على الباب، ففزعَت الجماعة لذلك وأنكرته، للحال

(١) جامع الرواة (ج ٢ / ص ١٥٣).

(٢) خلاصة الأقوال (ص ٢٤٢ و ٢٤٣ / الرقم ٢٧).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٠).

الَّتِي كَانَتْ جَرَتْ، ولم يستطع ابن بلال أن يحجبه فقال: يَدْخُلُ، فَدَخَلَ أَبُو جَعْفَرٍ - العمري -، فَقَامَ لَهُ أَبُو طَاهِرٍ وَالْجَمَاعَةُ، وَجَلَسَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ، وَجَلَسَ أَبُو طَاهِرٍ كَالْجَالِسِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَّهَلَهُمْ أَنْ يَسْكُتُوا، ثُمَّ قَالَ - العمري - : يَا أَبَا طَاهِرٍ، أَنْشِدْكَ بِاللَّهِ أَلَمْ يَأْمُرَكَ صَاحِبُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَمَلِ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْمَالِ إِلَيَّ؟! فَقَالَ - ابن بلال - : أَلَلَّهُمْ نَعَمْ، فَتَهَضَّ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْصَرِفًا، وَوَقَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ سَكَنَةٌ، فَلَمَّا تَجَلَّتْ عَنْهُمْ قَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو الطَّيِّبِ: وَمِنْ أَيْنَ رَأَيْتَ صَاحِبَ الزَّمَانِ؟! فَقَالَ أَبُو طَاهِرٍ: أَدْخَلَنِي أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَعْضِ دُورِهِ، فَأَشْرَفَ عَلَيَّ مِنْ عَلْوِ دَارِهِ، فَأَمَرَنِي بِحَمَلِ مَا عِنْدِي مِنَ الْمَالِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الطَّيِّبِ: وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ صَاحِبُ الزَّمَانِ؟! قَالَ: قَدْ وَقَعَ عَلَيَّ مِنَ أَهْمِيَّةِ لَهُ وَدَخَلَنِي مِنَ الرُّعْبِ مِنْهُ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ صَاحِبُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِنَا: فَكَانَ هَذَا سَبَبَ انْقِطَاعِي عَنْهُ^(١).

خامساً: البغدادي:

وهو محمد بن أحمد بن عثمان بن سعيد العمري، حفيد السفير الأول وابن أخي السفير الثاني أبي جعفر العمري، كان أمره في قلّة العلم والمروءة أشهر من أن يُذكر^(٢).

فقد كان مشهوراً ومعروفاً عند عمّه أبي جعفر العمري بالضلّال والانحراف، لكنّه غير معروف لدى الكثيرين من الأصحاب.

روى الطوسي عليه السلام بأن جماعة من الأصحاب كانوا في مجلس إقامة أبي جعفر العمري، وهم يتذكرون شيئاً من الروايات وما قاله الصادق عليه السلام حتّى

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٠ و ٤٠١ / ح ٣٧٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١٣).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٤٥

أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الْمَعْرُوفُ بِالْبَغْدَادِيِّ ابْنَ أَخِي أَبِي جَعْفَرِ الْعَمْرِيِّ عليه السلام، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ لِلْجَمَاعَةِ: أَمْسِكُوا، فَإِنَّ هَذَا الْجَائِي لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكُمْ^(١).

وكان هذا قد ادعى السفارة الكاذبة، وكان له جماعة من المؤيدين، منهم: أبو دلف محمد بن مظفر الكاتب، وقد كان في ابتداء أمره محمّساً^(٢)، مشهوراً بذلك، لأنه كان تربية الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم، وكان الكرخيون خمسة لا يشك في ذلك أحد من الشيعة، وقد كان أبو دلف يقول ذلك، ويعترف به، ويقول: نقلني سيدنا الشيخ الصالح (قدس الله روحه ونور ضريحه) عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح، يعني أبا بكر البغدادي^(٣).

ثم إن أبا بكر البغدادي حين أرسل إليه وجوه الخاصة وعلماؤهم وسألوه عن دعواه السفارة، أنكر ذلك وحلف عليه وقال: ليس لي من هذا شيء، وعرض عليه مال لكي يأخذه بالوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام، وإنما عرض عليه ذلك امتحاناً، فأبى وقال: محرّم عليّ أخذ شيء منه، فإنه ليس لي من هذا الأمر شيء، ولا ادعت شيئاً من هذا^(٤).

قال الراوي: فلما دخل بغداد، مال إليه أبو دلف الكاتب وعدل عن الطائفة وأوصى إليه، لم تشك أنه على مذهبه، فلعنناه، وبرئنا منه، لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمّس، ضالّ مضل^(١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٣ و ٤١٤ / ح ٣٨٨).

(٢) الخمسة من الغلاة يقولون: إن الخمسة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وعمرو بن أمية الضمري هم الموكّلون بمصالح العالم من قبل الرب. (الغيبة للطوسي: هامش ص ٤١٤).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤١٤ / ح ٣٩٠).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤١٢ و ٤١٣ / ح ٣٨٦).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٢ / ح ٣٨٥).

وكان أبو دلف يدافع عن أبي بكر البغدادي ويُفضّله على أبي القاسم الحسين بن روح وعلى غيره، فلما قيل له في وجه ذلك قال: لِأَنَّ أَبَا جَعْفَرَ مُحَمَّدَ ابْنَ عُمَانَ قَدَّمَ إِسْمَهُ عَلَى إِسْمِهِ فِي وَصِيَّتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَالْمَنْصُورُ إِذَا أَفْضَلَ مِنْ مَوْلَانَا أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى الْكَاظِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: وَكَيْفَ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَّمَ إِسْمَهُ عَلَى إِسْمِهِ فِي الْوَصِيَّةِ، فَقَالَ لِي: أَنْتَ تَتَعَصَّبُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَتُعَادِيهِ، فَقُلْتُ: وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ تَعَادِي أَبَا بَكْرٍ الْبَغْدَادِيَّ وَتَتَعَصَّبُ عَلَيْهِ غَيْرُكَ وَحَدَّكَ، وَكِدْنَا أَنْ نَتَّقَاتِلَ وَنَأْخُذَ بِالْأَزْيَاقِ^(١).

وَحِكْيِي أَنَّهُ تَوَكَّلَ لِلزُّيُودِيِّ بِالْبَصْرَةِ، فَبَقِيَ فِي خِدْمَتِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَجَمَعَ مَالاً عَظِيماً، فَسُعِيَ بِهِ إِلَى الزُّيُودِيِّ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ، وَصَادَرَهُ وَضَرَبَهُ عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ حَتَّى نَزَلَ الْمَاءُ فِي عَيْنَيْهِ، فَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ ضَرِيراً^(٢)، بعد أن أوصى إلى أبي دلف من بعده، فأصبح هذا أيضاً مدعياً للسفارة.

سادساً: الباقطاني:

وكان هذا أيضاً مدعياً للسفارة عن الإمام المهدي ﷺ، وقد فضحه أحمد الدينوري بعد أن حمل إليه ستّة عشر ألف دينار من أهل دينور ليُسَلِّمَهَا إِلَى السفراء بالوصف، فوصل للباقطاني وقال: بَدَأْتُ بِالْبَاقَطَانِيِّ، وَصِرْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ شَيْخاً مَهِيْباً لَهُ مَرُوءَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَفَرَسٌ عَرَبِيٌّ، وَغِلْمَانٌ كَثِيرٌ، وَتَجَمَّعَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَتَنَاطَرُونَ عِنْدَهُ، قَالَ: فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَحَّبَ وَقَرَّبَ وَسَرَّ وَبَرَّ، فَأَطَلْتُ الْقُعُودَ إِلَى أَنْ خَرَجَ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَسَأَلْنِي عَنْ إِرْبَتِي، فَعَرَّفْتُهُ أَنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الدِّينُورِ، وَافِيْتُ وَمَعِيَ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ أَحْتَاجُ أَنْ أُسَلِّمَهُ وَأُرِيدُ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٣ / ح ٣٨٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١٤ / ح ٣٨٩).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٤٧
حُجَّةً، فَلَمَّا أَعُوذَ ذَلِكَ قَالَ: تَعُوذُ إِلَيَّ فِي الْغَدِ، قَالَ: فَعُدْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، فَلَمْ
يَأْتِ بِحُجَّةٍ، وَافْتَضَحَهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ^(١).

سابعاً: إسحاق الأحمر:

وكان هذا قد ادَّعى السفارة أيضاً من الإمام المهدي عليه السلام، وكان شاباً
نظيفاً، وقد كان يحضر منزله أكثر مما يحضره الباقراني، وكان له فرس ولباس
ومروءة وغللمان كثير، قال الدينوري: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَحَّبَ وَقَرَّبَ،
فَصَبَرْتُ إِلَيْهِ أَنْ خَفَّ النَّاسُ، فَسَأَلَنِي عَنْ حَاجَتِي، فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتُ لِلْبَاقِرَانِيِّ،
وعدت إليه بعد ثلاثة أيام، فلم يأت بحجة، وفضحه الله تعالى في أمره^(٢).

ثامناً: أبو دلف الكاتب:

وهو محمد بن المظفر الكاتب، كان مخمّساً مشهوراً، آمن بأبي بكر البغدادي
واعتبر مذهبه هو الصحيح^(٣)، وكان يدافع عنه بحرارة، ويُقدِّمه على ابن روح
النوبختي^(٤)، حتّى أوصى له أبو بكر البغدادي بعد وفاته، وأمره في الجنون أكثر
من أن يُحصى^(٥).

ادَّعى السفارة بعد السمري، فكان هذا علامة كذبه لدى الأصحاب،
فأظهر الغلو، وجنّ وسلسل، ثم صار مفوضاً^(٦).

(١) فرج المهموم (ص ٢٤٠)، عنه بحار الأنوار (ج ٥١ / ص ٣٠٠ و ٣٠١ / ح ١٩).

(٢) فرج المهموم (ص ٢٤٠ و ٢٤١)، عنه بحار الأنوار (ج ٥١ / ص ٣٠٠ و ٣٠١ / ح ١٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤١٤ / ح ٣٩٠).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤١٣ / ح ٣٨٧).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٤١٤).

(٦) الغيبة للطوسي (ص ٤١٢ / ح ٣٨٥).

أقول: لقد كان معظم هؤلاء المنحرفين المذكورين مشتركين في خطأ الأئمة عليهم السلام والسفراء في الأعم الأغلب، بشعورهم بظلم السلطات لهم، وعدم اعترافهم بمشروعيتها، وهذا الشعور نفسه كان قد جعلهم يرهبون أن يبيعوا ضمائرهم للسلطات أو يداهنوا معهم في أمرهم، أو يُكرسوا نشاطهم وجهودهم لأجلها، لأنهم يشعرون أنهم لن يحصلوا على المؤيدين والأنصار في الأمة، وأنهم سيفقدونهم إن فعلوا شيئاً ما لصالح السلطات، فاعتبار أن تلك الفصائل كانت تمثل أعلى رصيد للإمام المهدي ﷺ، فليس من السهولة أن يُقدّموا التنازلات للسلطات على صالح حسابهم، وعلى هذا سوف لن يكون الشعور بهذا الاتجاه وهو القرب من السلطات والإدلاء بأسرار الإمام المهدي ﷺ مجدياً لهم.

مضافاً إلى معرفتهم التامة بأن الإمام ﷺ على علم كامل وتام بكل ما يصدر منهم من تحركات ونشاط، وبكلِّ الدسائس والمؤامرات التي ربّما ييكونها ضده، وأنه بإمكانه أن يفضحهم في عقر دارهم، ولا يكون لهم أيّ قيمة في الأمة. وهذا هو الذي جعلهم طرفاً في عدائهم للسلطات والسفراء على حدّ سواء، ولم يكن في مستطاعهم وهم يُمثّلون أضيّق الاتجاهات وأضعفها في أن يجاربوا في جهتين ويبدلوا نشاطهم في أكثر من ميدان، ممّا عجل في خاتمة أمرهم وإنهاء حسابهم.

المبحث الرابع:

التراث الذي خلفه محمد بن عثمان ابن سعيد العمري للأمة الإسلامية

لقد خلف محمد بن عثمان العمري تراثاً خالداً للأجيال والأمة الإسلامية مع تصديده لمهمة السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام، ونُلخصه بما يلي:

ما تركه من روايات وأحاديث عن الأئمة وكُتُب ومؤلفات:

لقد كانت بغداد في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث مسرحاً عاماً للحوادث السياسية والفكرية، وقد خلف محمد بن عثمان العمري تراثاً ضخماً من الروايات والأحاديث عن الأئمة عليهم السلام وكُتُباً صنّفها في مختلف العلوم.

فقد روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن أبي نصر هبة الله، قال: كَانَ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَمَرِيِّ كُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ فِي الْفِقْهِ، مِمَّا سَمِعَهَا مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ - العسكري - عليه السلام وَمِنْ الصَّاحِبِ عليه السلام وَمِنْ أَبِيهِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ - الحسن العسكري عليه السلام -، وَعَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ - الهادي - عليه السلام، فِيهَا كُتُبٌ تَرَجَمَتْهَا: كُتُبُ الْأَشْرِيَّةِ.

وَذَكَرَتْ الْكَبِيرَةُ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ أَبِي جَعْفَرٍ - مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ - عليها السلام وَأَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ عليه السلام عِنْدَ الْوَصِيَّةِ إِلَيْهِ ^(١).

والغريب من النجاشي والطوسي رحمتهما الله أنّهما ذكراه فيمن لم يرو عن الأئمة عليهم السلام، مع ما تراه من روايته عن الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٣ / ح ٣٢٨).

١٥٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

قال السيّد الخوئي رحمه الله: مقتضى ذلك أنّ محمّد بن عثمان بن سعيد له كتاب وله رواية عن العسكري عليه السلام والصاحب عليه السلام، فكان عليّ النجاشي والشيخ أنّ يذكرهما في كتابيهما، وأنّه لا وجه لعدّه فيمن لم يرو عنهم عليه السلام، كما صنعه الشيخ بيّنّه.

ثمّ قال: ويمكن الاعتذار عن كلا الأمرين، أمّا عن الأوّل فبأنّ الكتاب عليّ ما يظهر من الرواية كان من الودائع عند السفراء، فلم يره أحد من العلماء والرواة، ولذلك لم يتعرّض النجاشي والشيخ له.

وأما عن الثاني فبأنّ رواية محمّد بن عثمان عن العسكري عليه السلام لم تثبت إلّا فيما رواه ابن نوح من رواية محمّد بن عثمان عن العسكري عليه السلام في الكتاب المزبور، وقد عرفت حال الكتاب. وأمّا روايته عن الصاحب عليه السلام فهو وإن كان أمراً ثابتاً وتقدّم بعضها، إلّا أنّ الشيخ الطوسي رحمه الله لم يتعرّض في رجاله لمن روى عن الصاحب عليه السلام، باعتبار أنّ الرواة عنه عليه السلام ينحصر في السفراء إلّا نادراً، فلاجل ذلك لم يجعل الشيخ لهذا باباً، وأدرج من روى عن الصاحب عليه السلام أيضاً فيمن لم يرو عنهم عليه السلام^(١).

وقال التستري رحمه الله معتذراً للشيخ الطوسي والنجاشي رحمه الله قائلاً: إنّ عدم عنوان الشيخ في الفهرست له والنجاشي غفلة بعد كونه ذا كتاب^(٢).
والله أعلم.

وأما رواياته وأحاديثه عن الأئمّة عليهم السلام:

فقد روى عنهم عليهم السلام في مجالات مختلفة وأبواب عديدة من العلوم، ونلخص بعضها بما يلي:

(١) معجم رجال الحديث (ج ١٧ / ص ٢٩٦ و ٢٩٧).

(٢) قاموس الرجال (ج ٩ / ص ٤١٠).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري ﷺ ١٥١

رواياته في أن الأرض لا تخلو من حجة^(١)، وأن المهدي ﷺ يحضر كل موسم حج، وما قاله ﷺ في الموسم^(٢)، ودعاء الفرج الذي قرأه الإمام المهدي ﷺ^(٣)، ومعاجز رآها في ولادة الإمام المهدي ﷺ^(٤)، والأموال التي كانت تصل للإمام المهدي ﷺ، وقضية التشكيك^(٥)، وزيارة النبي ﷺ والصالحين تزيد في الرزق^(٦)، وروايته عن الإمام المهدي ﷺ في دعاء المؤمن ودعاء الكافر^(٧)... إلخ.

وأما أدعيته عن الأئمة عليهم السلام:

فقد قدم محمد بن عثمان العمري تراثاً ضخماً من الأدعية إلى الأمة الإسلامية، فكان منها أدعية ذات مضامين تربوية وعرضه فيها: إنهاء الملكات الروحية والنفسية السائرة نحو التكامل، وإضعاف الغرائز الجاحمة في الإنسان وانتشاله من هوة الشهوات، وتهذيب طباعه، وتطهيره من الآثام لكي يستخدم قواه ومواهبه في كل خير.

وجاءت الأدعية التي رواها محمد بن عثمان عن أئمة عليهم السلام أو قالها بنفسه معالجة لمشكلة الإنسان وهمومه، وهي تقوم على ناحيتين:
الأولى: زرع بذور الخير والأمان وسقيها بماء العقيدة، وتقوية هذا الشعور بتوفير الأجواء الملائمة لاحتضانها لكي تُعطي ثماراً صالحة.

(١) كمال الدين (ص ٤٠٩ / باب ٣٨ / ح ٩).

(٢) من لا يحضره الفقيه (ج ٢ / ص ٥٢٠ / ح ٣١١٥)، الغيبة للطوسي (ص ٣٦٣ و ٣٦٤ / ح ٣٢٩).

(٣) كمال الدين (ص ٤٤٣ و ٤٤٤ / باب ٤٣ / ح ١٧).

(٤) كمال الدين (ص ٤٣٣ / باب ٤٢ / ح ١٣ و ١٤).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٣ و ٢٩٤ / ح ٢٤٨)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٨٤ و ٢٨٥).

(٦) مصباح المتهجد (ص ٣٣٠).

(٧) بحار الأنوار (ج ٨٧ / ص ٩٦).

١٥٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الثانية: تنمية الرغبة والرغبة من الله تعالى، لأنّها وحدها التي يتشعب عنها جذور الخير والتآلف، وإيجاد الوازع الديني في النفس مرافقاً له في سرّه وعلايته ليمنعه عن ارتكاب المعاصي، ويوقفه عن ارتكاب الجرائم. ولقد رسمت تلك الأدعية العلاقات الاجتماعية والعائليّة، وغرضهم زرع بذور المجتمع الصالح، ومنها التام لله سبحانه وتعالى. وهناك نموذج آخر من الدعاء يُعبّر عنه بالدعاء السياسي، وقد استعمله الأئمّة عليهم السلام كسلاح وزرع الخوف والرعب في قلوب الأعداء لزعزعة كيانهم وتشتيت كلمتهم، وإيقاد الجذوة في نفوس المؤمنين وشحذها وتقويتها. وإليك ما ورد من أدعية من تراث خلفه محمد بن عثمان العمري عن الأئمّة عليهم السلام ومنها أدعية مأثورة ومشهورة تُقرأ دائماً في مرّ الأيام، ولها إشراقات روحية في النفوس.

ومنها: دعاء الافتتاح:

وهو الدعاء المشهور الذي يُقرأ في شهر رمضان المبارك كلّ ليلة، قال ابن طاوس رحمه الله نقلاً عن كتاب محمد بن قرة، بإسناده عن أبي عمرو ومحمد بن محمد بن نصر السكوني رحمه الله، قال: سألت أبا بكر محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي أن يُخرج إليّ أدعية في شهر رمضان التي كان عمّه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رحمه الله يدعو بها، فأخرج إليّ دفترًا مجلداً بأحمر، فنسخت منه أدعية كثيرة، ومن جملتها: وتدعو بهذا الدعاء في كلّ ليلة من شهر رمضان، فإنّ الدعاء في هذا الشهر تسمعه الملائكة وتستغفر لصاحبه^(١).

وقال النوري رحمه الله في (تحية الزائر) ما ترجمته: وأسند العلامة المجلسي هذا

(١) إقبال الأعمال (ج ١ / ص ١٣٨).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٥٣
الدعاء إلى صاحب الأمر عليه السلام، وكتب للشيعة أن يُقرأ كل ليلة من شهر
رمضان^(١).

وأوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللَّهُمَّ إِنِّي أفتَحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ
مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ...» إلخ^(٢).
ومنها: دعاء السمات:

قال المجلسي عليه السلام: وهذا الدعاء من الأدعية المشهورة التي اشتهرت بين
أصحابنا غاية الاشتهار في جميع الأعصار والأمصار، وكانوا يواظبون عليه،
ويُعرف بدعاء (الشُّبُور) و(السمات) بمعنى العلامات، والشُّبُور بمعنى البوق
الذي يُنفخ فيه.

روى المجلسي عليه السلام بإسناد صحيح عن الحسين بن أحمد بن عمر بن
الصباح، قال: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ
الْعَمَرِيِّ عليه السلام، فَقَالَ بَعْضُنَا لَهُ: يَا سَيِّدِي، مَا بَالُنَا نَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصَدِّقُونَ
شُبُورَ الْيَهُودِ عَلَى مَنْ سَرَقَ مِنْهُمْ، وَهُمْ مُعُونُونَ عَلَى لِسَانِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
وَمُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام؟ فَقَالَ: هَذَا عِلَّتَانِ: ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَإِنَّهَا
أَسْمَاءُ اللَّهِ وَمَدَائِحُهُ، إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَهُمْ مَبْتُورَةٌ، وَعِنْدَنَا صَحِيحَةٌ مَوْفُورَةٌ، عَنْ سَادَتِنَا
أَهْلِ الذِّكْرِ، نَقَلَهَا لَنَا خَلْفٌ عَنْ سَلَفٍ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْنَا. وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَإِنَّا رُؤِينَا
عَنِ الْعَالِمِ - أَيِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام - أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَعَا الْمُؤْمِنُ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل:
صَوْتُ أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ، أَقْضُوا حَاجَتَهُ وَاجْعَلُوهَا مُعَلَّقَةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
حَتَّى يُكْتَبَرُ دُعَاؤُهُ شَوْقًا مِنِّي إِلَيْهِ، وَإِذَا دَعَا الْكَافِرُ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: صَوْتُ أَكْرَهُ
سَمَاعَهُ، أَقْضُوا حَاجَتَهُ وَعَجِّلُوهَا لَهُ حَتَّى لَا أَسْمَعَ صَوْتَهُ، وَيَشْتَغَلَ بِمَا طَلَبَهُ عَنْ

(١) تحفة الزائر (ص ١٣٢)، عن زاد المعاد (ص ٨٦).

(٢) إقبال الأعمال (ج ١ / ص ١٣٨).

خُشوعه»، قالوا: فَتَحْنُ نُحِبُّ أَنْ تُؤْتِيَ عَلَيْنَا دُعَاءَ السَّمَاتِ الَّذِي هُوَ لِلشُّبُورِ حَتَّى نَدْعُو بِهِ عَلَى ظَالِمِنَا وَمُضْطَهِدِنَا وَالْمُخَاتِلِينَ لَنَا وَالْمُتَعَزِّزِينَ عَلَيْنَا، فَقَالَ - مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ الْعَمْرِي - : حَدَّثَنِي أَبُو عُمَرَ وَعُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الْجُعْفِيُّ أَنَّ حَوَاصًّا مِنَ الشَّيْعَةِ سَأَلُوا عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِعَيْنِهَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - الصَّادِقَ - عَليَّهِ السَّلَامُ، فَأَجَابَهُمْ بِمِثْلِ هَذَا الْجَوَابِ (١).

وكان يوشع بن نون وصي موسى عَليَّهِ السَّلَامُ قد دعا بهذا الدعاء وعلمه خواص بني إسرائيل، قال الكفعمي عَليَّهِ السَّلَامُ: وهو مروى عن الصادق عَليَّهِ السَّلَامُ أيضاً بعينه إلا أنه ذكر أن محاربة العماليق كانت مع موسى عَليَّهِ السَّلَامُ (٢).

وقد روي فضائل عديدة في قراءته، فقد روي عن الباقر عَليَّهِ السَّلَامُ أنه قال: «لَوْ حَلَفْتُ أَنَّ فِي هَذَا الدُّعَاءِ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ لَبَرَزْتُ، فَادْعُوا بِهِ عَلَى ظَالِمِنَا وَمُضْطَهِدِنَا وَالْمُتَعَزِّزِينَ عَلَيْنَا» (٣).

وقال عَليَّهِ السَّلَامُ أيضاً: «هَذَا مِنْ عَمِيقِ مَكُونِ الْعِلْمِ وَمَحْزُونِهِ، فَادْعُوا بِهِ وَلَا تَبْدُلُوهُ لِلنِّسَاءِ وَالسُّفَهَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالظَّالِمِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...»، إلخ من الفضائل في قراءته (٤).

وقال عثمان بن سعيد العمري: قال محمد بن علي الراشدي: ما دعوت به في مهم ولا ملتم إلا ورأيت سرعة الإجابة (٥).

وقد ذكر المجلسي عَليَّهِ السَّلَامُ أنه يُسْتَحَبُّ الدعاء به في آخر ساعة من نهار

(١) بحار الأنوار (ج ٨٧ / ص ٩٦).

(٢) بحار الأنوار (ج ٨٧ / ص ١٠٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١٥٥

الجمعة، وقد تصدَّى الكفعمي لشرح هذا الدعاء، فأخذت منه بعض الفوائد لبسط الكلام فيه لكونه من الأدعية المشهورة، وقد اشتمل هذا الدعاء على ألفاظ غريبة تحتاج إلى الشرح والبيان^(١).

وهذا الدعاء هو: قال الشيخ الطوسي رضى الله عنه في (المصباح): دعاء السمات مروى عن العمري - محمد بن عثمان العمري -، وهو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ - ثلاث مرَّات -، الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَعَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِفَتْحِ الرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَائِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرْجِ انْفَرَجَتْ...» إلخ^(٢).

ومنها: دعاء أمير المؤمنين في الاستجارة، وهو أفضل أدعيته رضى الله عنه:

قال ابن طاوس رضى الله عنه: ومن ذلك الدعاء المفضل على كلِّ دعاء لأمر المؤمنين رضى الله عنه والباقر والصادق، عُرِضَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عِثَانَ الْعَمْرِيِّ رضى الله عنه، فقال: ما مثل هذا الدعاء...، وقال: قراءة هذا الدعاء من أفضل العبادات، وهو: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ...» إلخ^(٣).

ومنها: دعاء عيد الفطر المبارك^(٤)، ودعاء رجب في كلِّ يوم، حيث روى الطوسي رضى الله عنه أنه أخرج هذا التوقيع الشريف من الناحية المقدسة على يدي أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وهو: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاَةُ أَمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ...» إلخ^(٥).

(١) بحار الأنوار (ج ٨٧ / ص ١٢٦).

(٢) مصباح التهجد (ص ٤١٦ و ٤١٧).

(٣) مهج الدعوات (ص ١١٩ و ١٢٠).

(٤) إقبال الأعمال (ج ١ / ص ٤٦٨).

(٥) مصباح التهجد (ص ٨٠٣).

ومنها: صلاة وزيارة ودعاء للإمام المهدي ﷺ:

قال المجلسي رحمه الله: قال مؤلف (المزار الكبير): ذكر التوجه إلى الحجّة صاحب الزمان عليه السلام بالزيارة بعد صلاة اثني عشرة ركعة... إلخ^(١)، والظاهر أنّ الصلاة قبل الزيارة.

روى صاحب المزار وغيره عن أبي الحسين حمزة بن محمد بن الحسن بن شبيب، قال: عرّفنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم - النوبختي -، قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن عثمان شوقي إلى رؤية مولانا عليه السلام، فقال لي: مع الشوق تشتهي أن تراه؟! فقلت له: نعم، فقال لي: شكر الله لك شوقك، وأراك وجهه في يسر وعافية، لا تلتمس يا أبا عبد الله أن تراه، فإن أيام الغيبة تشاق إليه، ولا تسأل الاجتماع معه، إنها عزائم الله والتسليم لها أولى، ولكن توجه إليه بالزيارة بعد صلاة اثني عشر ركعة... إلخ^(٢).

أقول: قوله: (لا تلتمس يا أبا عبد الله أن تراه...) إلخ، المراد منه رؤيته مطلقاً، فهو غير ممنوع أصلاً، ولو كان ممنوعاً مطلقاً ولو في بعض الأحيان لم يتفق لأحد من أهل الإيثار حتى السفراء أنفسهم، وهذا مخالف للعيان، لأنّ الحكايات والروايات بهذا المرام من المؤمنين يوجب اليقين لأهل اليقين.

ومنها: أدعية الأئمة عليهم السلام وقنوتاتهم في الودائع المستحقة:

قال ابن طاموس رحمه الله: وجدت في هذا الأصل الذي نقلت منه هذه القنوتات ما هذا لفظه مما يأتي ذكره بغير إسناد، ثم وجدت بعد سطر هذه القنوتات إسنادها في كتاب (عمل رجب وشعبان ورمضان) تأليف أحمد بن عبد الله بن عباس رحمه الله، فقال: حدّثني أبو الطيب الحسن بن أحمد بن محمد بن

(١) بحار الأنوار (ج ٩٩ / ص ٩٦).

(٢) المزار لابن المشهدي (ص ٥٨٥ و ٥٨٦).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٥٧

عَمَرَ بْنِ الصَّبَّاحِ الْقَزْوِينِيِّ وَأَبُو الصَّبَّاحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَغْدَادِيِّ الْكَاتِبَانِ، قَالَ: جَرَى بِحَضْرَةِ شَيْخِنَا فقيهِ الْعَصَابَةِ ذِكْرُ مَوْلَانَا أَبِي مُحَمَّدِ الْحَسَنِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الطَّالِبِينَ: إِنَّمَا يَنْتَقِمُ مِنْهُ النَّاسُ تَسْلِيمَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَى ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ شَيْخُنَا: رَأَيْتُ أَيْضاً مَوْلَانَا أَبَا مُحَمَّدِ الْمُجْتَبَى أَعْظَمَ شَأناً، وَأَعْلَى مَكَاناً، وَأَوْضَحَ بُرْهَاناً مِنْ أَنْ يَقْدَحَ فِي فِعْلٍ لَهُ إِعْتِبَارُ الْمُعْتَبِرِينَ، أَوْ يَعْتَرِضُهُ شُكُّ الشَّاكِّينَ وَارْتِيَابُ الْمُزْتَابِينَ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ: لَمَّا مَضَى سَيِّدُنَا الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَزَادَهُ عُلُوّاً فَيَا أَوْلَاهُ) وَفَرَّغَ مِنْ أَمْرِهِ، جَلَسَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ رُوحِ بْنِ أَبِي بَحْرٍ (زَادَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُ) لِلنَّاسِ بَقِيَّةَ نَهَارِ يَوْمِهِ فِي دَارِ الْمَاضِي عليه السلام - أَيِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَمْرِيِّ -، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ ذَكَاءَ الْخَادِمِ الْأَبْيَضِ مُدْرَجاً وَعُكَّازاً وَحُقَّةَ خَشَبٍ مَدْهُونَةً، فَأَخَذَ الْعُكَّازَ فَجَعَلَهَا فِي حَجْرِهِ عَلَى فِخْدِيهِ، وَأَخَذَ الْمُدْرَجَ بِيَمِينِهِ وَأَحْقَقَهُ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ لَوَرَّثْتَهُ: فِي هَذَا الْمُدْرَجِ ذِكْرٌ وَدَائِعٌ، فَنَشَرَهُ - ابْنُ رُوحٍ -، فَإِذَا هِيَ أَدْعِيَةٌ وَقُنُوتٌ مَوَالِينَا الْأَيْمَّةَ عليهم السلام، فَأَضْرَبُوا عَنْهَا وَقَالُوا فِيهِ الْحُقَّةَ...، وَفِيهِ قُنُوتٌ مَوْلَانَا أَبِي مُحَمَّدِ الْحَسَنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَأَمْلَاهَا عَلَيْنَا مَنْ حَفِظَهُ، فَكَتَبْنَاهَا عَلَى مَا سَطَرَ فِي هَذِهِ الْمُدْرَجَةِ، وَقَالَ: اِحْتَفِظُوا بِهَا كَمَا تَحْتَفِظُونَ بِمِهْمَاتِ الدِّينِ، وَعَزَمَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (جَلَّ وَعَزَّ)^(١).

وهي قنوتات وأدعية للأئمة عليهم السلام إلى الحجّة المهدي عليه السلام، وهي طويلة جداً، مذكورة في كتب الأدعية، فراجعها.

أمّا تراثه فيما خرج من توقيعات:

وخرج من محمد بن عثمان العمري توقيعات كثيرة من إمامه المهدي عليه السلام للأئمة الإسلامية في أمور وقضايا عديدة، تُلخّص بعضها بما يلي:

(١) مهج الدعوات (ص ٤٥ - ٤٧).

التوقيع الأول: النهي عن ذكر اسم الإمام المهدي ﷺ وحكمة النهي عن ذلك:

روى المجلسي رحمه الله بإسناده عن علي بن صدقة القمي، قال: خرج إلى محمد ابن عثمان العمري رحمه الله ابتداءً من غير مسألة: «لِيُخْبِرَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنِ الْأِسْمِ إِمَّا الْأَسْكُوتَ وَالْحَتَّةَ، وَإِمَّا الْكَلَامَ وَالنَّارَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ وَقَفُوا عَلَى الْأِسْمِ أَذَاعُوهُ، وَإِنْ وَقَفُوا عَلَى الْمَكَانِ دَلُّوا عَلَيْهِ»^(١).

التوقيع الثاني: مسألة كلامية، وهي تفويض الخلق والرزق:

ورد عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه - أو قال: أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الدلال القمي^(٢) -، قال: اِخْتَلَفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الشِّيْعَةِ فِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَوَّضَ إِلَى الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَخْلُقُوا وَيَرْزُقُوا، فَقَالَ قَوْمٌ: هَذَا مُحَالٌ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الْأَجْسَامَ لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ اللَّهُ تَعَالَى أَقْدَرَ الْأَئِمَّةَ عَلَى ذَلِكَ، وَفَوَّضَهُ إِلَيْهِمْ، فَخَلَقُوا، وَرَزَقُوا، وَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ نِزَاعًا شَدِيدًا، فَقَالَ قَائِلٌ: مَا بِالْكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ فَتَسْأَلُونَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَيُوضِحُ لَكُمْ الْحَقَّ فِيهِ؟ فَإِنَّهُ الطَّرِيقُ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَضِيَتْ الْجَمَاعَةُ بِأبي جَعْفَرٍ، وَسَلَّمَتْ وَأَجَابَتْ إِلَى قَوْلِهِ، فَكَتَبُوا الْمَسْأَلَةَ، وَأَنْفَدُوهَا إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ تَوْقِيعٌ نُسَخَتْهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَامَ، وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَا حَالٌ فِي جِسْمٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ

(١) قد تقدم في (ص ٣٩)، فراجع.

(٢) جاء في هامش الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٨٤): قال المامقاني في تنقيحه (ج ٣ / ص ١١ / باب الكنى): أبو الحسن الدلال ليس له ذكر في كلمات أصحابنا الرجاليين، وإنما الذي عثرنا عليه رواية الكليني رحمه الله في باب ترييع القبر من (الكافي): (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر...).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٥٩

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَأَمَّا الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَخْلُقُ، وَيَسْأَلُونَهُ فَيَرْزُقُ، إِجَابًا لِمَسْأَلَتِهِمْ، وَإِعْظَامًا لِحَقِّهِمْ»^(١).

التوقيع الثالث: متى يظهر المهدي عليه السلام؟

روى الصدوق عليه السلام بإسناده عن أبي علي محمد بن همام، قال: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الْعَمْرِيَّ عليه السلام يَقُولُ: خَرَجَ تَوْقِيعٌ بِخَطِّ نَعْرِفُهُ: «مَنْ سَمَّانِي فِي مَجْمَعٍ مِنَ النَّاسِ بِاسْمِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ: وَكَتَبْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْفَرَجِ مَتَى يَكُونُ؟ فَخَرَجَ إِلَيَّ: «كَذَبَ الْوَقَاتُونَ»^(٢).

التوقيع الرابع: الموسوعة الفقهية للإمام المهدي عليه السلام:

روى الصدوق عليه السلام بإسناده عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي، قال: كَانَ فِيهَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ - العمري - عليه السلام فِي جَوَابِ مَسْأَلِي إِلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ عليه السلام: «أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنَ الصَّلَاةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا، فَلَيْنَ كَانَ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ، فَمَا أَرْغَمَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَصَلَّاهَا وَأَرْغَمَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ...» إلخ^(٣)، وهو توقيع طويل جدًا وردت فيه مسائل عديدة وفروع فقهية متنوعة في كل الأبواب، فراجعها في مظانها.

التوقيع الخامس: معجزات المهدي عليه السلام:

وروى المجلسي عليه السلام بإسناده عن أبي الحسين الأسدي، قال: وَرَدَ عَلَيَّ تَوْقِيعٌ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْعَمْرِيَّ عليه السلام إِبْتِدَاءً لَمْ يَتَقَدَّمْهُ سُؤَالٌ، نَسَخْتَهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَيَّ مِنْ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٣ و ٢٩٤ / ح ٢٤٨)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٨٤ و ٢٨٥).

(٢) كمال الدين (ص ٤٨٣ / باب ٤٥ / ح ٣).

(٣) كمال الدين (ص ٥٢٠ / باب ٤٥ / ح ٤٩).

اسْتَحَلَّ مِنْ أَمْوَالِنَا دِرْهَمًا، قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيُّ عليه السلام: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّ ذَلِكَ فِيمَنْ اسْتَحَلَّ مِنْ مَالِ النَّاحِيَةِ دِرْهَمًا دُونَ مَنْ أَكَلَ مِنْهُ غَيْرَ مُسْتَحِلٍّ لَهُ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَنْ اسْتَحَلَّ مُحَرَّمًا، فَأَيُّ فَضْلٍ فِي ذَلِكَ لِلْحُجَّةِ عليه السلام عَلَى غَيْرِهِ؟! قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بَشِيرًا لَقَدْ نَظَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّوْقِيعِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ انْقَلَبَ إِلَى مَا كَانَ فِي نَفْسِي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَى مَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِنَا دِرْهَمًا حَرَامًا»، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ: أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ الْأَسَدِيُّ هَذَا التَّوْقِيعَ حَتَّى نَنْظُرْنَا فِيهِ وَقَرَأْنَاهُ^(١).

التوقيع السادس: فضيحة المنحرفين، وأجوبة عامة في الفقه والسياسة:

روى الكليني عليه السلام عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَانَ الْعَمَرِيَّ عليه السلام أَنْ يُوَصِّلَ لِي كِتَابًا قَدْ سَأَلْتُ فِيهِ عَنْ مَسَائِلَ أَشْكَلْتُ عَلَيْ، فَوَرَدَتْ التَّوْقِيعُ بِخَطِّ مَوْلَانَا صَاحِبِ الزَّمَانِ عليه السلام: «أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ أَرْشَدَكَ اللَّهُ وَتَبَّتْكَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكَرِينَ لِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا وَبَنِي عَمَّنَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَسَبِيلُهُ سَبِيلُ ابْنِ نُوحٍ عليه السلام. وَأَمَّا سَبِيلُ عَمِّي جَعْفَرٍ^(٢) وَوُلْدِهِ فَسَبِيلُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عليه السلام. وَأَمَّا الْفُقَاعُ فَشُرْبُهُ حَرَامٌ، وَلَا بَأْسَ بِالسَّلْمَابِ. وَأَمَّا أَمْوَالُكُمْ فَلَا تَقْبَلُهَا إِلَّا لِتَطَهَّرُوا، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصِلْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْطَعْ...، وَأَمَّا ظُهُورُ الْفَرَجِ فَإِنَّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَكَذَبَ الْوَقَاتُونَ. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَمْ يُقْتَلْ فَكُفْرٌ وَتَكْذِيبٌ وَضَلَالٌ. وَأَمَّا

(١) بحار الأنوار (ج ٥٣ / ص ١٨٣ و ١٨٤ / ح ١٢)، عن كمال الدين (ص ٥٢٢ / باب ٤٥ / ح ٥١)، والاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٠٠).

(٢) يُكْتَبُ جَعْفَرُ هَذَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَيُلَقَّبُ (كرين) لِأَنَّهُ أَوْلَادُ مِائَةِ وَعِشْرِينَ وَلَدًا، أَعْقَبَ مِنْ جَمَاعَةِ انْتَشَرَ مِنْهُمْ عَقَبُ سِتَّةٍ...، وَيُقَالُ لَوْلَدِهِ: الرضويون، نسبة إلى جدِّه الرضا عليه السلام، وكانت وفاته عام (٢٧١هـ) وله خمس وأربعون سنة، وقبره في دار أبيه بسامراء. (فرق الشيعة: هامش ص ٩٥).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٦١

الْحَوَادِثُ الْوَأَقَعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُؤَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَمْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ فَإِنَّهُ ثِقَتِي وَكِتَابُهُ كِتَابِي. وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَهْزَبَارِ الْأَهْوَازِيِّ فَيُصَلِّحُ اللَّهُ لَهُ قَلْبَهُ وَيُزِيلُ عَنْهُ شَكَّهُ. وَأَمَّا مَا وَصَلْتَنَا بِهِ فَلَا قَبُولَ عِنْدَنَا إِلَّا لِمَا طَابَ وَطَهَّرَ. وَثَمَنُ الْمَغْنِيَةِ حَرَامٌ. وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ شَادَانَ بْنِ نُعَيْمٍ فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَتِنَا أَهْلُ الْبَيْتِ. وَأَمَّا أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْنَبِ الْأَجْدَعِ فَمَلْعُونٌ، وَأَصْحَابُهُ مَلْعُونُونَ، فَلَا تُجَالِسُ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ، فَإِنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَبَائِي عَلَيْهِمُ الْبَرَاءَةُ. وَأَمَّا الْمُتَلَبِّسُونَ بِأُمُورِنَا، فَمَنْ اسْتَحَلَّ مِنْهَا شَيْئًا فَأَكَلَهُ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ النَّيِّرَانَ. وَأَمَّا الْحُمْسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا^(١)، وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حِلٍّ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا، لِتَطْيِبِ وَلَا دَتِهِمْ وَلَا تَحْبَثَ. وَأَمَّا نَدَامَةُ قَوْمٍ قَدْ شَكُّوا فِي دِينِ اللَّهِ ﷻ عَلَيَّ مَا وَصَلُونَا بِهِ فَقَدْ أَقَلْنَا مِنْ اسْتِقَالِ، وَلَا حَاجَةَ فِي صِلَةِ الشَّاكِّينَ^(٢).

التوقيع السابع: فائدة الغيبة وعلتها:

روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن إسحاق بن يعقوب، قال: إنه ورد عليّ من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان العمري: «وَأَمَّا عَلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لَطَاغِيَّةَ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرَجُ حِينَ أَخْرُجُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيَتِ فِي عُنُقِي، وَأَمَّا وَجْهُ الْإِنْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالِإِنْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيْبَتْهَا عَنِ الْأَبْصَارِ

(١) تحقيق ما أحلّ من الخمس في زمن الغيبة للشيعة يُطلَب من كُتُب الفقه، وفيه روايات وأقوال، أشهرها وأظهرها أن المراد بهذا الخبر وأمثاله إباحت الخمس في المناكح للشيعة زمن الغيبة لتطيب ولادتهم، دون الخمس في غيرها لأنه واجب.

(٢) كمال الدين (ص ٤٨٣ - ٤٨٥ / باب ٤٥ / ح ٤)، الغيبة للطوسي (ص ٢٩٠ - ٢٩٢ / ح ٢٤٧).

السَّحَابُ، وَإِنِّي لَأَمَانٌ لأَهلِ الأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لأَهلِ السَّمَاءِ، فَأَغْلِقُوا
أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ، وَلَا تَتَكَلَّفُوا عَلَيَّ مَا قَدْ كُفَيْتُمْ، وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ
بِتَعْجِيلِ الفَرَجِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَرَجَكُمْ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ يَا إِسْحَاقَ بْنَ يَعْقُوبَ
وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَ أَهْدَى»^(١).

التوقيع الثامن: في طلب العافية:

روى المجلسي رحمه الله بإسناده عن أحمد بن روح، قال: خَرَجْتُ إِلَى بَغْدَادٍ فِي
مَالٍ لِأَبِي الحَسَنِ الخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ لِأَوْصِلَهُ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ
ابْنِ عَثْمَانَ العَمْرِيِّ، فَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَدْفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَسْأَلَ الدُّعَاءَ لِلْعَلَّةِ
الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَأَسْأَلَهُ عَنِ الوَبْرِ يَحُلُّ لُبْسُهُ؟! فَدَخَلْتُ بَغْدَادَ وَصَرْتُ إِلَى العَمْرِيِّ،
فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ المَالَ، وَقَالَ: صِرْ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ أَمَرَهُ
بِأَنْ يَأْخُذَهُ، وَقَدْ خَرَجَ الَّذِي طَلَبْتُ، فَجِئْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَأَوْصَلْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَخْرَجَ
إِلَيَّ رُقْعَةً فِيهَا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سَأَلْتُ الدُّعَاءَ عَنِ العَلَّةِ الَّتِي تَجِدُهَا،
وَهَبَ اللَّهُ لَكَ العَافِيَةَ، وَدَفَعَ عَنكَ الأَفَاتِ، وَصَرَفَ عَنكَ بَعْضَ مَا تَجِدُهُ مِنَ
الْحَرَارَةِ، وَعَافَاكَ وَصَحَّ جِسْمُكَ...» إلخ^(٢).

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٢ و ٢٩٣ / ح ٢٤٧)؛ ورواه الصدوق رحمه الله في كمال الدين (ص ٤٨٥ /
باب ٤٥ / ح ٤).

(٢) بحار الأنوار (ج ٥٣ / ص ١٩٧ / ح ٢٣)، عن الخرائج والجرائح (ج ٢ / ص ٧٠٢ / ح ١٨).

المبحث الخامس:

المعجزات التي ظهرت من الإمام المهدي عليه السلام على يدي محمد بن عثمان بن سعيد العمري

ذكرنا أنَّ المعجزة بمفهومها الديني قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممَّا كانت عليه في ظلَّ وجهة النظر الكلاسيكيَّة إلى علاقة السببيَّة، فقد تحوَّلت تلك العلاقة في المنطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التابع المطَّرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبيَّة، فتتحوَّل المعجزة على هذا إلى حالة استثنائيَّة لهذا الاطراد في الاقتران أو التابع من دون أن تصطدم بضرورة أو تُؤدِّي إلى استحالة، ولكنها بناءً على الأُسس المنطقيَّة للاستقراء تتفق مع وجهة النظر الحديثة، في أن الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكننا نرى أنَّه يدلُّ على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظِّم الكون إلى ربط ظواهر معيَّنة بظواهر أُخرى باستمرار، فتدعو الحكمة بنفسها أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة^(١).

لقد صارت معاجز الإمام المهدي عليه السلام على يدي سفيره محمد بن عثمان العمري، وهي تدلُّ على صدق مقالته، وصحَّة بآيَّته، ودليل واضح على أمانة من انتموا إليه^(٢).

(١) بحث حول المهدي عليه السلام (ص ٧٩ و ٨٠).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١٥).

وقد اعتادت الأمة أن لا تقبل أي ادعاء في أمر ما إلا بعد أن يقام لها آية معجزة، وقد أقام العمري المعاجز الكثيرة التي ظهرت على يديه من إمامه المهدي ﷺ، فكان أبو جعفر يُخبر عن عجائب الأمور التي لا يقف عليها إلا الله سبحانه وتعالى، أو الأنبياء والأئمة عليهم السلام من قبل الله الذي يعلم السرائر وما تخفي الصدور^(١).

ونُلخص بعض ما ظهر من معجزات الإمام المهدي ﷺ التي ظهرت على يدي سفيره محمد بن عثمان العمري:

أولاً: الإخبار عن أمور غيبية مذهشة:

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن أبي نصر هبة الله، قال: حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي نُوْبَخْتٍ مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَثِيرٍ النَّوْبَخْتِيُّ رحمته الله، وَحَدَّثَنِي بِهِ أُمُّ كُثُومِ بِنْتُ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْعَمْرِيِّ رحمته الله: أَنَّهُ حَمِلَ إِلَى أَبِي رحمته الله فِي وَفْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مَا يُنْفِذُهُ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ عليه السلام مِنْ قَمٍّ وَنَوَاحِيهَا، فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ إِلَى بَغْدَادٍ وَدَخَلَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ مَا دُفِعَ إِلَيْهِ وَوَدَّعَهُ وَجَاءَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ مِمَّا أُسْتُوْدِعْتَهُ، فَأَيْنَ هُوَ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لَمْ يَبَقَ شَيْءٌ يَا سَيِّدِي فِي يَدِي إِلَّا وَقَدْ سَلَّمْتَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: بَلَى، قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ، فَأَرْجِعْ إِلَيَّ مَا مَعَكَ وَفْتِّشْهُ وَتَذَكَّرْ مَا دُفِعَ إِلَيْكَ. فَمَضَى الرَّجُلُ، فَبَقِيَ أَيَّامًا يَتَذَكَّرُ وَيَبْحَثُ وَيُفَكِّرُ، فَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا، وَلَا أَحْبَرَهُ مَنْ كَانَ فِي جُمَّلَتِهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَقَالَ لَهُ: لَمْ يَبَقَ شَيْءٌ فِي يَدِي مِمَّا سَلَّمْتُ إِلَيْكَ، وَقَدْ حَمَلْتَهُ إِلَى حَضْرَتِكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: فَإِنَّهُ يُقَالُ لَكَ: «الْثُوبَانِ السَّرْدَانِيَانِ»^(٢) أَلَلَّذَانِ دَفَعَهَا إِلَيْكَ فَلَانَ بْنَ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٥).

(٢) السردانية: جزيرة كبيرة ببحر المغرب قاله في (القاموس)، ولعل الثوب السرداني منسوب إلى هذه الجزيرة. (من هامش المصدر).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٦٥

فُلَانٍ مَا فَعَلَا؟!»، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِي وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي لَقَدْ نَسَيْتُهُمَا حَتَّى ذَهَبَا عَنْ قَلْبِي، وَلَسْتُ أَذْرِي الْآنَ أَيْنَ وَضَعْتُهُمَا، فَمَضَى الرَّجُلُ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ كَانَ مَعَهُ إِلَّا فَتَشَهُ وَحَلَّهُ، وَسَأَلَ مَنْ حَمَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْمَتَاعِ أَنْ يُقْتَسَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَقِفْ لَهَا عَلَى خَيْرٍ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: يُقَالُ لَكَ: «امْضِ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانِ الْقَطَّانِ الَّذِي حَمَلَتْ إِلَيْهِ الْعِدْلَيْنِ الْقَطْنِ فِي دَارِ الْقَطْنِ، فَانْفُتِقْ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّهُمَا فِي جَانِبِهِ»، فَتَحَيَّرَ الرَّجُلُ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ، وَمَضَى لَوَجْهِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ، فَانْفُتِقَ الْعِدْلَ الَّذِي قَالَ لَهُ: اُنْفُتِقْ، فَإِذَا الثَّوْبَانِ فِي جَانِبِهِ قَدْ اِنْدَسَا مَعَ الْقَطْنِ، فَأَخَذَهُمَا وَجَاءَ بِهِمَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَسَلَّمَهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ: لَقَدْ نَسَيْتُهُمَا، لِأَنِّي لَمَّا شَدَدْتُ الْمَتَاعَ بَقِيَا، فَجَعَلْتُهُمَا فِي جَانِبِ الْعِدْلِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ لَهُمَا.

وَتَحَدَّثَ الرَّجُلُ بِمَا رَأَاهُ وَأَخْبَرَهُ بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ - العمري - عَنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَقِفُ إِلَيْهِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ إِمَامٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّجُلُ يَعْرِفُ أَبَا جَعْفَرٍ - العمري -، وَإِنَّمَا أُنْفَذَ عَلَى يَدِهِ كَمَا يُنْفَذُ التُّجَّارُ إِلَى أَصْحَابِهِمْ عَلَى يَدِ مَنْ يَثِقُونَ بِهِ، وَلَا كَانَ مَعَهُ تَذَكُّرَةٌ سَلَّمَهَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَلَا كِتَابٌ، لِأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ حَادًّا جِدًّا فِي زَمَانِ الْمُعْتَصِدِ، وَالسَّيْفُ يَقْطُرُ دَمًا كَمَا يُقَالُ، وَكَانَ سِرًّا بَيْنَ الْخَاصِّ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ^(١).

ثانياً: معاجز متتابعة:

وروى المجلسي عليه السلام بإسناده عن محمد بن علي بن متيل، قال: قَالَ عَمِّي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَتَيْلٍ: دَعَانِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ السَّنَانِ الْمَعْرُوفِ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٤ - ٢٩٦ / ح ٢٤٩).

بِالْعَمْرِيِّ، وَأَخْرَجَ إِلَيَّ ثُوبِيَّاتٍ مُعْلَمَةً وَصُرَّةً فِيهَا دَرَاهِمٌ، فَقَالَ لِي: مَحْتَأَجُّ أَنْ تَصِيرَ
بِنَفْسِكَ إِلَيَّ وَاسِطًا فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَتَدْفَعَ مَا دَفَعْتَ إِلَيْكَ إِلَى أَوَّلِ رَجُلٍ يَلْقَاكَ عِنْدَ
صُعُودِكَ مِنَ الْمَرْكَبِ إِلَى الشَّطِّ بِوَاسِطَةٍ، قَالَ: فَتَدَاخَلْنِي مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، وَقُلْتُ:
مِثْلِي يُرْسَلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَيَحْمِلُ هَذَا الشَّيْءَ الْوَنُحَ - أَي الْقَلِيلَ التَّافَهُ -، قَالَ:
فَخَرَجْتُ إِلَيَّ وَاسِطًا وَصَعِدْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ، فَأَوَّلُ رَجُلٍ تَلَقَّانِي سَأَلَنِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ قَطَاةِ الصَّيْدَلَانِيِّ وَكَيْلِ الْوَقْفِ بِوَاسِطَةٍ، فَقَالَ: أَنَا هُوَ، مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا
جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَتَيْلٍ، قَالَ: فَعَرَفَنِي بِاسْمِي، وَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
وَتَعَانَقْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: أَبُو جَعْفَرِ الْعَمْرِيُّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَدَفَعَ إِلَيَّ هَذِهِ الثُّوبِيَّاتِ
وَهَذِهِ الصُّرَّةَ لِأَسْلَمَهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيَّ قَدْ
مَاتَ، وَخَرَجْتُ لِأُصْلِحَ كَفَنَهُ، فَحَلَّ الثِّيَابَ، فَإِذَا بِهَا مَا يَحْتَأَجُّ إِلَيْهِ مِنْ حَبْرَةٍ وَثِيَابٍ
وَكَافُورٍ، وَفِي الصُّرَّةِ كَرَى الْحَمَلَيْنِ وَالْحَفَّارِ، قَالَ: فَشَبَّعْنَا جَنَازَتَهُ، وَانْصَرَفْتُ^(١).

ثالثاً: الأموال الناقصة:

روى المفيد رحمته الله بإسناده عن علي بن محمد، عن محمد بن شاذان
النَّيْسَابُورِيِّ، قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدِي خَمْسِيَّةٌ دِرْهَمٍ يَنْقُصُ عِشْرُونَ دِرْهَمًا، فَلَمْ أَحِبَّ
أَنْ أَنْفِذَهَا نَاقِصَةً، فَوَزَنْتُ مِنْ عِنْدِي عِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَبَعَثْتُهَا إِلَى الْأَسَدِيِّ - أَبِي
جَعْفَرِ الْعَمْرِيِّ -، وَلَمْ أَكْتُبْ مَا لِي فِيهَا، فَوَرَدَ الْجَوَابُ: «وَصَلَّتْ خَمْسِيَّةٌ دِرْهَمٍ،
لَكَ مِنْهَا عِشْرُونَ دِرْهَمًا»^(٢).

رابعاً: قصة الدينوري وما فيها من الأعاجيب:

روى المجلسي رحمته الله بإسناده عن أبي العباس أحمد الدينوري الملقب بـ

(١) بحار الأنوار (ج ٥١ / ص ٣٣٦ و ٣٣٧ / ح ٦٣)، عن كمال الدين (ص ٥٠٤ / باب ٤٥ / ح ٣٥).

(٢) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٦٥).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٦٧

(آستاره)، قال: انصرفت من أزدبيل إلى دینور وأنا أريد أن أحج، وذلك بعد مضي أبي محمد الحسن بن علي - العسكري - عليه السلام بسنة أو سنتين - التريد من الراوي -، فاستبشر أهل دینور بموافاتي، واجتمع الشيعة عندي، فقالوا: اجتمع عندنا ستة عشر ألف دينار من مال الموالى، ونحتاج أن نحملها معك، وتسلمها بحيث يجب تسليمها، قال: فقلت: يا قوم، هذه حيرة، ولا تعرف الباب في هذا الوقت، فقالوا: إنما اخترناك لحمل هذا المال لما نعرف من ثقتك وكرمك، فاعمل على أن لا نخرجه من يديك إلا بحجة... إلخ^(١)، والخبر طويل جداً اقتصرنا على هذا، فراجع في المصدر ففيه العجائب المدهشة.

خامساً: قصة صاحب الشهباء:

روى الراوندي عليه السلام بإسناده عن أبي الحسن المسترق الصري، قال: كنت يوماً في مجلس الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة، فتذاكرنا أمر الجماعة^(٢) - أي الشيعة -، وكنت أزرى عليها، إلى أن حضرت مجلس عمي الحسين يوماً، فأخذت أتكلم في ذلك، فقال: يا بني، قد كنت أقول بمقاتلتك هذه إلى أن ندمت لولايته فم حين استصعبت على السلطان، وكان كل من ورد إليها من جهة السلطان يحارب أهلها، فسلم إلى جيش وخرجت نحوها، فلما بلغت إلى ناحية (طرز) خرجت إلى الصيد، ففانتني طريده، فاتبعتها وأوغلت في أثرها حتى بلغت إلى النهر، فسرت فيه، وكلما أسير يتسع النهر، فبينما أنا كذلك إذ طلع علي فارس تحت شهباء وهو متعمم بعمامة خز خضراء لا أرى منه سوى عينيه، وفي

(١) بحار الأنوار (ج ٥١ / ص ٣٠٠ / ح ١٩)؛ ورواه الطبري الشيعي عليه السلام في دلائل الإمامة

(ص ٥١٩ و ٥٢٠ / ح ٤٩٣ / ٩٧).

(٢) في المصدر: (الناحية).

١٦٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

رَجَلِيهِ خُفَّانِ أَحْمَرَانِ، فَقَالَ لِي: «يَا حُسَيْنُ»، فَلَا هُوَ أَمْرَنِي وَلَا كَنَانِي، فَقُلْتُ: مَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: «لِمَ تَزْرِي عَلَيَّ النَّاحِيَةَ...» إلخ^(١)، وهو خبر طويل أيضاً، فراجعه.

* * *

(١) الخرائج والجرائح (ج ١ / ص ٤٧٢ - ٤٧٤ / ح ١٧).

المبحث السادس:

وفاة محمد بن عثمان العمري

انطلقت الحركة التغييرية والإصلاحية عند الأئمة عليهم السلام من منطلقين أساسيين:

أحدهما: الالتزام بالمبدأ الرسالي حرفياً، وعدم التفريط به مطلقاً.
وثانيهما: رعاية الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية السائدة في المجتمع والسلطات الحاكمة.

ويلتقي هذان الأمران في ضرورة العمل الإيجابي المحدد الشكل والأدوات في ظل تلك الظروف.

هذا بالنسبة للمجتمع التطبيقي لعمل الأئمة عليهم السلام ونشاطهم الحركي. وأما المنهج العقائدي والفكري، فإنهم كانوا يمثلون كل ما تطلبه الشريعة، فيترجموها في سلوكهم ترجمة حية وأمينية، ومن خلاله تُوفّر مستلزمات القيادة بأعلى مستواه بسبب التجربة الكاملة مع الأمة، فإن السلطات كانت تراقب كل تحركاتهم، وقد حاولت مراراً تميع أطروحتهم، وصهرها في الجهاز الحاكم، وعزلهم عن الأمة وأصحابهم عليهم السلام، والإكثار في معاناتهم، مما كان له أثر سلبي في كفاءة نشاطهم.

ويظهر هذا من خلال سياسة الحذر والكتمان قولاً وفعلاً في سلوكهم، وانتقل الأئمة عليهم السلام في تلك الظروف من مرحلة التوسّع الأفقي إلى مرحلة الحفاظ على البقاء والاتصال بأصحابهم الذين امتلكوا الكفاءات العظيمة

١٧٠ سفراء المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام
وصلاية العقيدة والمبدأ، فاعتمدوا عليهم في أمورهم ووثقوهم للأمة، ليسهل
عملهم.

وفي الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام قام محمد بن عثمان العمري بأمر
السفارة خمسين عاماً برواية ابن هبة^(١).

ونشير هنا إلى مساححة تاريخية في سفارة العمري:

إنَّ الأولى أن تكون سفارة محمد بن عثمان العمري أربعين عاماً لا خمسين
عاماً كما تقدّم ذكره عن ابن هبة، لما عرفت من أن ولادة الإمام المهدي عليه السلام كانت
عام (٢٥٦هـ)^(٢)، وفي رواية أخرى أنّها عام (٢٥٥هـ)^(٣)، وبدأت السفارة عام
(٢٦٠هـ) أي بعد وفاة أبيه عليه السلام^(٤)، وكانت وفاة عثمان بن سعيد العمري -
السفير الأول عن الإمام المهدي عليه السلام - عام (٢٦٥هـ)^(٥)، أي إنّها استغرقت
خمسة أعوام، وكانت وفاة محمد بن عثمان العمري عام (٣٠٥هـ)، فعليه تكون
مدّة سفارة محمد بن عثمان العمري أربعين عاماً لا أكثر.

ولو اعتمدنا على رواية هبة الله فإنّ سفارة محمد بن عثمان ستكون عام
(٢٥٥هـ) ولم يؤكّد الإمام المهدي عليه السلام على رواية الطوسي بعد.

ولا تنفعنا أيضاً على الرواية الأخرى، لأنّ الإمام العسكري عليه السلام كان قد
توفي عام (٢٦٠هـ)، ثمّ استغرقت سفارة عثمان بن سعيد العمري خمسة أعوام.
فلا تتفق مع هبة الله في روايته، وفيها من المساححة ما لا يخفى.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤).

(٢) قد تقدّم في (ص ٨٥)، فراجع.

(٣) الكافي (ج ١ / ص ٥١٤).

(٤) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣١٣).

(٥) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤٠٤).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي ﷺ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ١٧١

لقد أمر الإمام المهدي ﷺ لمحمد بن عثمان العمري في أن يوحي لابن روح بعده قبل وفاته بسنوات، كما سيأتي ذكره في ترجمة ابن روح. لقد كان محمد بن عثمان العمري شيخاً متواضعاً، عليه مبطنة بيضاء، يقعد على لبد في بيت صغير، ليس له غلمان، ولا له من المروّة والفرس ما وُجِدَ لغيره^(١).

وكان قد حفر لنفسه قبراً ينزل فيه كل يوم، فيقرأ فيه القرآن جزءاً جزءاً^(٢). ولم يترك من زخارف الدنيا وزينتها بعد وفاته سوى مدرجاً وعكازاً وحُقَّة خشب مدهونة^(٣)، مع ما كانت تصله من الأموال العظيمة من الأقطار الإسلامية، فلم يزد إلا تواضعاً وإجلالاً، وكانت تُحدّد بحدود المصالح العامة لا بالزخارف والأبهة الظاهرية.

لقد كان أبو جعفر العمري حسن السيرة، يرتدي اللباس المتواضع، وفي يده خاتم قد نُقِشَ عليه: (لا إله إلا الله الحق المين)، وكانت عليه أيضاً نقوش خواتيم الأئمة عليهم السلام.

روى الطوسي رضى الله عنه بإسناده عن أبي علي محمد بن همام، قال: وَعَلَى خَاتَمِ أَبِي جَعْفَرٍ - مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْعَمْرِيِّ - السَّمَانُ رضى الله عنه: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ)، فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ - الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالُوا: «كَانَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا خَاتَمٌ فَصَبَّ عَقَبُوقٌ، فَلَمَّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ دَفَعَتْهُ إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَفَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاشْتَهَيْتُ أَنْ أَنْقُشَ عَلَيْهِ شَيْئاً، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ الْمَسِيحَ عَيْسَى بْنَ

(١) دلائل الإمامة (ص ٥٢١).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٥ / ح ٣٣٢ و ٣٣٣).

(٣) مهج الدعوات (ص ٤٦).

مَرِيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَا أَنْقَشَ عَلَيَّ خَاتَمِي هَذَا؟! قَالَ: أَنْقَشَ عَلَيْهِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ)، فَإِنَّهُ أَوَّلُ التَّوْرَةِ وَآخِرُ الْإِنْجِيلِ»^(١).

وروي أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الْعَمْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ قَدْ حَفَرَ لِنَفْسِهِ قَبْرًا، وَسَوَّاهُ بِالسَّاجِ، فَسَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسْوَدَ الْقَمِّيَّ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: لِلنَّاسِ أَسْبَابٌ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: قَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَمْرِي، فَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِشَهْرَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ^(٢).

ودخل عليه أبو الحسن عليُّ بن أحمد الدَّلَالُ القمِّيُّ لِيُسَلِّمَ عَلَيْهِ، فوجده وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آيا من القرآن، وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها، فقال له: يَا سَيِّدِي، مَا هَذِهِ السَّاجَةُ؟ فَقَالَ لِي: هَذِهِ لِقَبْرِي تَكُونُ فِيهِ، أُوضِعُ عَلَيْهَا - أَوْ قَالَ: أُسْنَدُ إِلَيْهَا -، وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْهُ. قال العمري: وَأَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْزِلُ فِيهِ، فَأَقْرَأُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ، فَأَضَعُهُ.

قال الراوي: وَأَظُنُّهُ قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَرَانِيهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا وَكَذَا صِرْتُ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدُفِنْتُ فِيهِ وَهَذِهِ السَّاجَةُ مَعِي.

قال الدَّلَالُ القمِّيُّ: فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ أَتَيْتُ مَا ذَكَرَهُ، وَلَمْ أَرَلْ مُتَرَقِّبًا بِهِ ذَلِكَ، فَمَا تَأَخَّرَ الْأَمْرُ حَتَّى إِعْتَلَّ أَبُو جَعْفَرٍ، فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي ذَكَرَهُ مِنَ الشَّهْرِ الَّذِي قَالَهُ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَدُفِنَ فِيهِ^(٣).

وقد اختلف في تاريخ وفاته، فقد ذكر الطوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناده عن هبة الله

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٧ / ح ٢٥٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٥ و ٣٦٦ / ح ٣٣٣).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٤ و ٣٦٥ / ح ٣٣٢).

الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري عليه السلام ١٧٣

قال: وَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي غَالِبِ الزُّرَّارِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ) أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ مُحَمَّدَ بْنَ عُثْمَانَ الْعَمْرِيِّ عليه السلام مَاتَ فِي آخِرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ حَمْسٍ وَثَلَاثِينَ^(١).
ووافق هذا التاريخ جماعة من مؤرّخي أهل السُّنَّة^(٢).

وفي رواية أُخرى عن هبة الله محمد بن محمد، قال: إِنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْعَمْرِيَّ عليه السلام مَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ^(٣).

والأولى هي الأصحّ بنظر الاعتبار، بحسب التسلسل التاريخي.

وبعد وفاته عليه السلام قام ابن روح النوبختي بتغسيله وتكفينه والقيام بأمره، ودفنه في دار الماضي أبيه^(٤)، وقبره عند والدته في شارع باب الكوفة، في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه، وهو الآن في وسط الصحراء بيوت^(٥).

أقول: وقبره الآن مشيّد معروف بالخلائي، يُزار للذكرى والتبرُّك عليه السلام^(٦)، وفيه عمارة مشيّدَة، وحوله بيوت عامرة.

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤).

(٢) راجع ما مرّ في (ص ١٢٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) مهج الدعوات (ص ٤٦).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٦ / ح ٣٣٤).

(٦) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤٠٦).

الباب الثالث:

السفير الثالث للإمام المهدي عجل الله فرجه

الحسين بن روح النوبختي رحمته الله

المبحث الأول:

الحسين بن روح النوبختي في الميزان

وبعده ابن روح الحسين شيخ جليل ثقة وعين^(١) هو الحسين بن روح بن أبي بحر، أبو القاسم النوبختي^(٢)، أو الروحي^(٣)، أو القمي^(٤)، أو القيني، أو القسي^(٥)، وابن نوبخت^(٦)، أو نبيخت^(٧). تصدّى أمر السفارة بعد وفاة محمد بن عثمان العمري عام (٣٠٥هـ)^(٨) بأمر الإمام المهدي عليه السلام.

أثنى عليه المخالف والمؤلف، قال الذهبي عنه: إنّه كان وافر الحرمة، وكثرت غاشيته حتّى كان الأمراء والوزراء يركبون إليه والأعيان، وتواصف الناس عقله وفهمه، فروى عليّ بن محمد الأيادي، عن أبيه، قال: شاهدته يوماً وقد دخل عليه أبو عمر القاضي^(٩)، فقال له أبو القاسم: صواب الرأي عند

(١) الدرر المكنونة في الإمام والإمامة (ص ١٨٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧١ / ح ٣٤٢).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٠ و ٣٧٠ / ح ٢٦٦ و ٣٣٨).

(٤) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٣١ / ح ١٠٥٢)، مجمع الرجال (ج ٢ / ص ١٧٤).

(٥) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٠).

(٦) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٦).

(٧) كمال الدين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٨) قد تقدّم في (ص ١٢٨)، فراجع.

(٩) وهو محمد بن يوسف قاضي قضاة كان يُضرب المثل بعقله وحلمه، تُوفّي عام (٣٢٠هـ)، له

ترجمة في تاريخ بغداد (ج ٤ / ص ١٧١ - ١٧٥ / الرقم ١٨٤٦).

المشفق - المشغف - عبرة عند المتورط، فلا يفعل القاضي ما عزم عليه، فرأيت أبا عمر قد نظر إليه، ثم قال: من أين لك هذا؟ فقال: إن كنت قلت لك ما عرفته، فمسألتني من أين لك؟ فضول! وإن كنت لم تعرفه فقد ظفرت بي، قال: فقبض أبو عمر على يديه وقال: لا، بل والله أُؤخِّرك ليومي أو لغدي، فلما خرج قال أبو القاسم: ما رأيت محجوجاً قطُّ يلقي البرهان بنفاق مثل هذا، لقد كاشفته لما لم أكشف به غيره.

ولم يزل أبو القاسم وافر الحرمة إلى أن وزر حامد بن العباس، وبقيت حرمة علي ما كانت إلى أن مات في سنة ستِّ وعشرين وثلاثمائة، وقد كاد أمره أن يظهر ويستفحل^(١).

وقال أيضاً عنه: وإنَّ الأموال تُجبي إليه، وقد تَلَطَّف في الذبِّ عن نفسه بعبارات تدلُّ على درايته ووفور عقله ودهائه وعلمه، وكان يُفتي الشيعة ويفيدهم، وله رتبة عظيمة بينهم^(٢).

وقال ابن أبي طيِّ الغساني وقد ذكره بخطِّ مغلق سقيم: أبو القاسم القيني أو القسي، وهو الشيخ الصالح أحد الأبواب لصاحب الأمر، نصَّ عليه بالنيابة أبو جعفر محمد بن عثمان العمري عنه، وجعله أوَّل من يدخل عليه حين جعل الشيعة طبقات، وقد خرج على يديه توابع كثيرة^(٣).

وجاء مثله في (لسان الميزان) لابن حجر، و(الوافي) للصفدي، وأضافا: لَمَّا مات أبو جعفر صارت النيابة إلى أبي القاسم، وجلس ببغداد في الدار، وجلس الشيعة حوله، وخرج (ذكاء) الخادم ومعه عكازة ومدرج وحُقَّة، وقال:

(١) سير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٢ - ٢٢٤ / الرقم ٨٥).

(٢) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١).

(٣) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٠).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٧٩

إن مولانا قال: إذا دفنني أبو القاسم وجلس فسلم إليه هذا، وإذا في الحق خواتيم الأئمة عليهم السلام، ثم قام في آخر اليوم ومعه طائفة، فدخل دار أبي جعفر محمد، وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء يركبون إليه، والوزراء والمعزولون عن الوزارة، والأعيان، وتواصف الناس عقله، ولم يزل أبو القاسم على هذه الحالة حتى ولي حامد بن العباس الوزارة، فجرى له معه أمور وخطوب^(١).

وقال ابن حجر عنه: هو أحد الرؤساء، وإنه كان كثير الجلالة في بغداد^(٢).

وعبر اليافعي عنه بأنه الزعيم^(٣).

وابن الأثير بأنه الباب^(٤).

أمّا المؤلف فقد ذكرنا عباراتهم، فقد أثنوا عليه جميعاً، قال المفيد وابن شهر آشوب عليهما السلام: كان الحسين بن روح من خواص الإمام العسكري عليه السلام، والباب له^(٥).

وقال الطوسي عليه السلام: هو من رواة الأحاديث عنهم عليهم السلام^(٦)، ومن الخواص والمعتمدين لأبي جعفر بن عثمان العمري، وكان أول من أذن له بالدخول عليه^(٧)، وكان ينظر في أملاكه، ويلقي بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به، حتى إنه كان يحدثه بما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وأنسه، فعرفته الشيعة - والأئمة الإسلامية - . لمعرفتهم باختصاصه بأبي جعفر العمري

(١) الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧)، لسان الميزان (ج ٢ / ص ٢٨٣ و ٢٨٤ / الرقم ١١٧٧).

(٢) لسان الميزان (ج ٢ / ص ٨٣ / الرقم ١١٧٧).

(٣) مرآة الجنان (ج ٢ / ص ٢١٤).

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠).

(٥) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٢٥).

(٦) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٩٣ / ح ١٧٦ / ٣).

(٧) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٠).

١٨٠ سفراء المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام

وَتَوَثَّقَهُ عِنْدَهُمْ، فَمَهَّدَتْ لَهُ الْحَالَ فِي طُولِ حَيَاتِهِ إِلَى أَنْ انْتَهَتْ الْوَصِيَّةُ إِلَيْهِ
بِالنَّصِّ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَشْكُ فِيهِ أَحَدٌ^(١).

وأثنى عليه متأخرو علماء الإمامية، قال فيه الحرُّ العاملي رحمته الله: جليل القدر،
عظيم المنزلة، من وكلاء صاحب الزمان عليه السلام، رواه الصدوق والشيخ وغيرهما^(٢).

وقال عنه السيّد الصدر رحمته الله: المولى أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر
النوبختي المتقدم ذكره في المتكلمين من آل نوبخت، كان أعلم أهل زمانه في كلِّ
علوم الإسلام، ولا تعرف الشيعة في الدين والمذهب أفضل منه، كان عالماً ربّانياً،
زاهداً متقشفاً، صاحب الأسرار والكرامات والعلوم والمكاشفات، أوثق أهل
زمانه وأعقل كلِّ أقرانه، مقبول عند الموافق والمخالف، لا مغمز لأحد فيه من
كلِّ فرق الإسلام، مقبول القول عند الكلِّ^(٣).

وقال السيّد الخوئي رحمته الله: هو أحد السفراء والنواب الخاصّ للإمام الثاني
عشر عليه السلام، وشهرة جلالته وعظمته أغنتنا عن الإطالة في شأنه^(٤).
وذكر التستري والمامقاني رحمتهما الله مثله^(٥).

تولّى أمر السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام عام (٣٠٥هـ) بموت أبي جعفر
العمري، وبقي فيها إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في شعبان عام ستّ وعشرين
وثلاثمائة^(١)، فتكون مدّة سفارته حوالي الواحد والعشرين عاماً.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

(٢) وسائل الشيعة (ج ٣٠ / ص ٣٥٢).

(٣) تأسيس الشيعة (ص ٤١٢).

(٤) معجم رجال الحديث (ج ٦ / ص ٢٥٧ / الرقم ٣٤٠٦).

(٥) قاموس الرجال (ج ٣ / ص ٤٥١ / الرقم ٢١٥٦)، تنقيح المقال (ج ٢ / ص ١٣٣).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ و ٣٨٧ / ح ٣٥٠)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧)، سير أعلام

النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٤)، تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٢).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٨١

ينتمي هذا السفير إلى طائفة بني نوبخت، وهي طائفة كبيرة خرج منها جماعات كثيرة من العلماء والأدباء والمنجّمين والفلاسفة والمتكلّمين والكتّاب والحكّام والأمراء، وكانت لهم مكانة وتقدّم في دولة بني العبّاس، وأصلهم من الفرس^(١).

قال القطفي: إنهم كلّهم فضلاء، لهم فكرة صالحة ومشاركة في علوم الأوائل^(٢).

وذكر ابن طاوس عليه السلام جماعة منهم كانوا قد برزوا في علم النجوم، فألفوا فيها كتباً ذكروا أنّها دلالات على الحوادث، أمثال: الحسن بن موسى، وموسى ابن العبّاس بن إسماعيل، والفضل بن أبي سهل، وغيرهم^(٣).

ويرجع أصل نوبخت إلى جدّهم الأوّل نوبخت، وقد كان منجّماً فاضلاً يصحب المنصور العبّاسي دائماً^(٤)، وكان أوّل من ساهم في بناء بغداد عام (١٤٤هـ)، فوضع المنصور العبّاسي أساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجّم^(٥).

سكن نوبخت هذا بغداد عام (١٤٥هـ) بعد أن أقطعه أبو جعفر المنصور ألفي جريب بنهر جوبر^(١)، ويقع هذا النهر في الجانب الغربي من شطّ دجلة^(٢)،

(١) الكنى والألقاب (ج ١ / ص ٩٥).

(٢) تأسيس الشيعة (ص ٣٦٢)، نقلاً عن أخبار الحكماء للقطفي.

(٣) فرج المهموم (ص ١٢١).

(٤) تأسيس الشيعة (ص ٣٦٢).

(٥) تاريخ بغداد (ج ١ / ص ٨٨).

(١) نهر جوبر هو نهر الحويّزة، ذكره الطبري في تاريخه (ج ٦ / ص ٢٦٣)، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج ٥ / ص ٥٧١).

(٢) آل نوبخت (ص ٢٧)، عن ابن خرداذبه (ص ٧).

فقد بنى نوبخت وأولاده بيوتاً لهم في تلك الأراضي التي وهبها له المنصور، وصارت لهم أملاكاً كثيرة هناك، ولهم دور بنهر طابق، وهو من المحلات الواقعة غربي بغداد^(١)، والنوبختية^(٢)، وفي حوالي النعمانية بين بغداد وواسط في الساحل الغربي من دجلة كانت لهم منازل يملكونها^(٣)، وكانت لنوبخت براعة في علم النجوم، وله تأليفات وتراجم فيه^(٤).

وخلف ولده الوحيد (الفضل) الذي كان صاحب دار الحكمة للرشيد^(٥)، وآل نوبخت كلهم يتمتعون لهذا الابن الواحد لنوبخت كما جاء في الكتب والأشعار، وكانت للفضل كتب مترجمة عن الفارسية إلى العربية، منها: كتاب النهمطان في الموالي، والفأل النجومي^(٦).

أمّا مذهب آل نوبخت وابنه الفضل فهو مذهب السنة، وأمّا أولاد وأحفاد الفضل فقد اشتهروا بالتشيع وولاية عليّ عليه السلام وولده في الظاهر، وكان بينهم أصحاب الأئمة عليهم السلام أمثال: يعقوب بن إسحاق، وإسحاق بن إسماعيل ابن أبي سهل، وأبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي، وهو شيخ المتكلمين في أصحابنا ببغداد، ومتقدّم بني نوبخت في زمانه، وكان له جلالة في الدين والدنيا يجري مجرى الوزراء، وقد صنّف في الإمامة والردّ على الملاحدة والغلاة وسائر المبطلين وتواريخ الأئمة عليهم السلام وغير ذلك ما زيد على ثلاثين مجلداً ذكرها

(١) الأغاني (ج ٤ / ص ٣٠٨).

(٢) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٣٦٠).

(٣) آل نوبخت (ص ٢٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) فرج المهموم (ص ١٢٥).

(٦) فهرست ابن النديم (ص ٣٣٣).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٨٣

أصحاب الكُتُب الرجاليَّة^(١)، أخذ عنه عبد الله النعمان المعروف بالمفيد شيخ الشيعة في زمانه وغيره^(٢)، وكانت له مباحثات ومناظرات مع أبي عليّ الجبائي وهو أحد أركان المعتزلة في عدَّة مجالس بالأهواز، وله مناظرات مع الحكيم الرياضي المعروف ثابت بن قرة الصابي، وكلاهما مدوّن في كتاب يُذكر في عداد مؤلَّفاته، كان الشيخ المفيد عليه السلام يعتني بكُتبه، وكان يقرأها النجاشي عليه السلام عليه، ومنها كتاب التنبيه^(٣).

وسياتي بعض الحديث عن هذه الشخصية التي التقت بالإمام المهدي عليه السلام ورآته عن قريب.

لقد ذكرنا أنَّ الحسين بن روح النوبختي له قرابة مع آل نوبخت خاصة مع أبي سهل إسماعيل بن عليّ المتقدِّم^(٤)، وأبي عبد الله الحسين بن عليّ النوبختي الذي كان وزيراً لابن رائق، وكانت له السلطة التامة عليه^(٥)، قال ابن مسكويه: كان الحسين بن عليّ النوبختي متفرداً بابن رائق والمدبّر للملك، وهو الذي بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة، وساق إليه تلك النعمة وجمع له تلك الأموال التي كان مستظهماً بها في ضمان واسط والبصرة^(٦).

(١) راجع: رجال النجاشي (ص ٣١ / الرقم ٦٨)، الفهرست (ص ٤٩ / الرقم ٧/٣٦)، خلاصة الأقوال (ص ٥٥ و ٥٦ / الرقم ١٠)، لسان الميزان (ج ١ / ص ٤٢٤ / الرقم ١٣٢٤)؛ قال الذهبي في تاريخ الإسلام (ج ٢٣ / ص ٤٠٩): (كان كاتباً بليغاً، شاعراً).

(٢) لسان الميزان (ج ١ / ص ٤٢٤ / الرقم ١٣٢٤).

(٣) أعيان الشيعة (ج ٣ / ص ٣٨٤).

(٤) آل نوبخت (ص ٢٤٧).

(٥) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٤٥١ / حوادث عام ٣٢٥هـ). قال الصولي في الأوراق (ج ٢ / ص ٧٦): مات في هذا الوقت عليّ بن العباس النوبختي، وقد قارب ثمانين سنة، وكان حسن الأدب والشعر، وكان ابنه الحسين يكتب لابن رائق ويُدبِّره أمره.

(٦) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٤٥٢).

قال ابن رائق يمدحه ويثني عليه: ما كنت لأصرف الحسين بن عليٍّ مع نصحه لي وتبرُّكي به، ولو فتح لي فارس وأصبهان وساقهما إليَّ خصوصاً، وأهداهما لي دون غيري، قال له ابن مقاتل: أيُّها الأمير، فإنَّ كرهت هذا فضمَّنه واسط والبصرة، فقال ابن رائق: هذا لفعلته، إنَّ أشار به أبو عبد الله الحسين بن عليٍّ... فقال بعد أن بكى: أعظم الله أجرك أيُّها الأمير في أبي عبد الله، عده في الأموات، ثمَّ لطم وجهه، فقال ابن رائق: لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، أعزز عليَّ به، ولو فدى حيٌّ ميتاً لفديته بملكي كلِّه^(١).

وكانت مدَّة تدبير الحسين بن عليٍّ النوبختي لأُمور المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيَّام^(٢).

ولا يوجد أيُّ ترديد في لقب الحسين بن روح بأنَّه النوبختي، لأنَّه كان مخلطاً لآل نوبخت أمثال: أبي سهل إسماعيل بن عليٍّ، وأبي عبد الله الحسين بن عليٍّ وزير ابن رائق، وأحمد بن إبراهيم الذي كان صهراً للشيخ أبي جعفر العمري عليَّ ابنته أم كلثوم الكبيرة رحمها الله.

وكان كثيراً ما يقول أصحابنا في المكاتبات التي خرجت جواباتها عليَّ يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح: إنَّها بخطُّ أحمد بن إبراهيم بن نوبخت وإملاء الشيخ أبي القاسم الروحي^(١).

وكان ابن روح قد دُفِنَ في مقابر النوبختيين كما سيأتي، فإنَّ كلَّ تلك الشواهد تكفي في صحَّة انتسابه لآل نوبخت.

نعم ذكر الحافظ شمس الدِّين الذهبي نقلاً عن يحيى بن طيِّ المتوفَّى عام

(١) تجارب الأئمَّة (ج ٥ / ص ٤٥٣ - ٤٥٥).

(٢) تجارب الأئمَّة (ج ٥ / ص ٤٥٦).

(١) قد تقدَّم في (ص ١٢٧)، فراجع.

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ١٨٥

(٦٣٠هـ) أنه قال: أبو القاسم القيني أو القسي، وكذا صورته في تاريخ يحيى بن أبي طي الغساني، وخطه مغلق سقيم^(١)، والظاهر أنه القمي كما جاء عن الكشي^(٢).

روى القهبائي رحمته الله بإسناده عن جعفر بن معروف الكشي أنه قال: كتب أبو عبد الله البلخي إلي يذكر عن الحسين بن روح القمي، أن أحمد بن إسحاق كتب إليه يستأذنه في الحج...، فمات بحلول^(٣).

ويؤيد نسبه تلك معرفته اللسان الآبي القمي^(٤)، وأنه لم يذكر اسمه في الشجرة النوبختية^(٥).

ولعله - والله العالم - انتسب لآل نوبخت من أمه مثل أبي محمد الحسن بن موسى ابن أخت أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي، لأن آل نوبخت كانوا كلهم من أهل بغداد، وإن كان أصلهم من الفرس كما تقدم.

أما منزلته في الأمة:

فقد جاء في النصوص التاريخية أن ابن روح النوبختي كان قد حصل على رتبة عظيمة في الأمة، وخاصة الطائفة الإمامية التي بلغت في إعظامه وإجلاله، وصار مرجعاً لها في مهماتها.

قالت أم كلثوم الكبيرة بنت أبي جعفر العمري رحمته الله: حَصَلَ فِي أَنْفُسِ

(١) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٠)، سير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٢ / الرقم ٨٥).

(٢) اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٨٣١ / ح ١٠٥٢).

(٣) مجمع الرجال (ج ١ / ص ٩٥). و(حلوان) مدينة واقعة على طريق كرمانشاهان وبغداد. أعيان الشيعة (ج ٢ / ص ٤٧٩).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٢١ / ح ٢٦٨). و(آبة) مدينة قريبة من قم.

(٥) آل نوبخت (ص ٢٤٨).

الشَّيْعَةَ مُحْصَلًا جَلِيلًا، لِمَعْرِفَتِهِمْ بِاخْتِصَاصِ أَبِي - تقصد العمري - إِيَّاهُ، وَتَوْثِيقَهُ عِنْدَهُمْ، وَنَشْرَ فَضْلِهِ وَدِينِهِ، وَمَا كَانَ يَحْتَمِلُهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - أي السفارة عن الإمام المهدي ﷺ -^(١)، وَكَانَ يُخْرِجُ إِلَيْهِمُ التَّوْقِيعَاتِ بِالْحُطِّ الَّذِي كَانَ يُخْرِجُ فِي حَيَاةِ الْحَسَنِ - العسكري - عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمُ بِالْمِهْمَاتِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِيمَا يَسْأَلُونَهُ مِنَ الْمَسَائِلِ بِالْأَجْوِبَةِ الْعَجِيبَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ)، فَلَمْ يَحْتَلِفْ فِي أَمْرِهِ، وَلَمْ يَشْكُ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا جَاهِلٌ بِأَمْرِ أَبِي أَوْلًا، وَقَدْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي نُوْبَخْتِ ﷺ مِثْلَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ كَبْرِيَاءَ وَغَيْرِهِ^(٢)، فَكُلُّ مَنْ طَعَنَ عَلِيَّ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ رُوحِ النُّوبَخْتِيِّ فَقَدْ طَعَنَ عَلِيَّ أَبِي جَعْفَرِ الْعَمْرِيِّ، وَطَعَنَ عَلِيَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣).

وكان ابن أعقل الناس عند المخالف والموافق^(٤)، وصارت العامّة تُعْظِمُهُ^(٥)، وترفعه على رؤوسها، ويكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض^(٦)!

وقد بالغ الذهبي غير مرّة في مدحه والثناء عليه، فقال عنه مرّة: كانت له عبارات تدلُّ على رزاقته ووفور عقله ودهائه وعلمه، وله رتبة عظيمة^(١). وفي أخرى: إنَّ له عبارات بليغة تدلُّ على فصاحته وكمال عقله، وله جلاله عجيبة^(٢).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٩ و ٣٧٠ / ح ٣٣٧).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٤ / ح ٣٤٦).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٤ / ح ٣٤٧).

(٦) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٥ / ح ٣٤٧).

(١) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١).

(٢) سيرة أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٤).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٨٧

وقال عنه الصفدي: وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء يركبون إليه والوزراء والمعزولون عن الوزارة والأعيان، وتواصف الناس عقله^(١).

وروى الطوسي عليه السلام ما يؤكد هذه الحقيقة في عدة روايات، منها: ما رواه بإسناده عن أبي أحمد درانويه الأبرص الذي كانت داره في درب القراطيس، قال: كنت أنا وإخوتي ندخل إلى أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام نعلمه، قال: وكانوا باعةً ونحن مثلاً عشرة، تسعة نلعهن وواحد يشكك، فنخرج من عنده بعدما دخلنا إليه، تسعة نتقرب إلى الله بمحبتته، وواحد واقف^(٢). وكان يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجاهه وموضعه وجلالة محله عندهم^(٣). وقد كان ابن روح عارفاً بالمذاهب والفرق الإسلامية الأخرى.

قال أبو أحمد درانويه الأبرص: إنه كان يجارينا من فضل الصحابة ما روينا وما لم نروه، فنكتبه حسنه عنه عليه السلام^(٤).

وكان قد استعمل التقية في سفارته مع غيره من المذاهب، فقد روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن أبي الحسن بن كبرياء النوبختي، قال: بلغ الشيخ أبا القاسم - النوبختي - أن بواباً كان له على الباب الأول قد لعن معاوية وشتمه، فأمر - ابن روح - بطرده وصرفه عن خدمته، فبقي مدة طويلة يسأل في أمره، فلا والله ما رده إلى خدمته، وأخذه بعض الأهل فشغله معه، كل ذلك للتقية^(١).

(١) الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ / ح ٣٤٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ / ح ٣٤٩).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٥ و ٣٨٦ / ح ٣٤٨).

وحضر ابن روح النوبختي مجلس مناظرة في دار ابن اليسار، وقد تناظر
إثنان، فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ثم عمر، ثم
علي، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم:
الذي اجتمعت الصحابة عليه هو تقديم الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده
عثمان ذو النورين، ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح
عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجباً من هذا القول، وكان العامة الحضور
يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له والطعن على من يرميه بالرفض.

قال أبو عبد الله بن غالب حمو أبي الحسن بن أبي الطيب - راوي هذا
الحديث -: فوق علي الصبح، فلم أزل أتصبر، وأمنع نفسي، وأدس كمي في
فمي، فخشيت أن أفتضح، فوثبت عن المجلس، ونظر إلي، ففطن بي، فلما
حصلت في منزلي، فإذا بالباب يطرق، فخرجت مبادراً، فإذا بأبي القاسم الحسين
ابن روح رحمته الله راكباً بعلمته قد وافاني من المجلس قبل مضيي إلى داره، فقال لي: يا
أبا عبد الله - أيدك الله -، لم ضحكك؟ فأردت أن تهتف بي كأن الذي قتلته
عندك ليس بحق، فقلت: كذاك هو عندي، فقال لي: اتق الله أيها الشيخ، فإني لا
أجعلك في حل، تستعظم هذا القول مني؟! فقلت: يا سيدي، رجل يرى بأنه
صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول لا يتعجب منه ولا يضحك من قوله
هذا؟! فقال لي: وحياتك لئن عدت لأهجرتك، وودعني وانصرف^(١).

أما عند محمد بن عثمان العمري:

فقد كانت الأنظار تحوم فترة سفارة العمري حول مجموعة من
الشخصيات التي ساهمت في أمر السفارة، وربما تكون السفارة من بعد العمري
لأحدهم بسبب ما امتلكه كل منهم من كفاءة وقدرة، ونشير إلى بعضهم:

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٤ و ٣٨٥ / ح ٣٤٧).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي ﷺ الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ١٨٩

أولاً: أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي:

ذكرنا أنّ بني نوبخت كانوا من المتقدّمين في العلوم، وقاموا بخدمات جليّة في الأُمَّة، ويمكن تقسيمهم إلى ستّ طبقات، نشير إليهم باختصار:
أ - المترجمون والمنجمون، أمثال نوبخت، وابنه الفضل، وبعض أولاده أمثال: عبد الله، وأبي العباس.

ب - المتكلّمون، أمثال أبي إسحاق إبراهيم صاحب (الياقوت) الذي شرحه العلامة الحليّ رحمته الله، وابن أخته السيّد عميد الدّين، وعلّق عليه ابن أبي الحديد شارح (النهج)، ومنهم: أبو سهل إسماعيل بن عليّ المذكور، وأبو محمّد الحسن بن موسى المتوفّي عام (٣٠٠هـ) إلى (٣١٠هـ)، وهو صاحب كتاب (فرق الشيعة) وكتاب (الآراء والديانات)، وأوّل من صنّف في الملل والنحل.

ج - الأدباء ورواة الأشعار، أمثال: إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، وبعض إخوته، وأبي طالب ومحمّد بن روح... إلخ.

د - علماء الحديث والأخبار، أمثال: أبي الحسن بن كبرياء، وأبي محمّد الحسن بن الحسين، وغيرهم.

هـ - الكتّاب، أمثال: أبي الحسين بن عليّ بن العباس، وابنه أبي يعقوب إسحاق، وأبي الفضل يعقوب، وعليّ بن أحمد.

و - أصحاب الأئمّة وخواصّهم، أمثال: يعقوب بن إسحاق، وأبي القاسم بن روح النوبختي - سفير الإمام المهدي رحمته الله -، وأبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي.

فهذه الطبقات من آل نوبخت كانت أقوالهم حجّة، ففي النجوم أعلم الناس^(١)، وفي الكلام عدّ قولهم سنداً، وطابق قولهم قول الإماميّة^(٢)، وفي

(١) ديوان ابن الرومي (ص ٨٨).

(٢) آل نوبخت (ص ٢١)، عن بحار الأنوار (ج ١٤ / ص ٣٥٢ - ٣٥٥).

١٩٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

المقالات والآراء والأديان كتاب أبي محمد النوبختي من الكتب المعتمدة في هذا الفن^(١)، والمثل الكامل في المعرفة بالملل والنحل^(٢)، وفي أخبار الشيعة وتقرير مذهبهم كانوا في رديف الشيخ المفيد وابن بابويه عليهما السلام، ويُعدُّون من أركان الدين^(٣)، وفي جمع الأخبار والأشعار كان أبو نؤاس والبحثري وابن الرومي من آل نوبخت من أهم وأوثق المراجع التي يرجع بها إليهم، فخلفوا فكراً وذوقاً في الأدب العربي، وفي الترجمة كانوا في عداد أكابر المترجمين^(٤).

ترحم عليهم الشيخ المفيد عليه السلام وغيره من كبار العلماء^(٥).

ويستفاد مما تقدم أن السفير الثاني محمد بن عثمان كان ملتفتاً لهذه الطائفة خدمتهم للأمة، فكان كثيراً ما يُقرَّبهم إليه، ويساهمهم في أمر السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام.

ومنهم أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي الذي كان يجري مجرى الوزراء في جلاله الكتاب، وكان له مقام رفيع في الدولة العباسية يقرب من مقام الوزارة، وله نفوذ تام في الدولة، وكانت الدولة تُرسله في مهماتها للربط بين الحكومات ومعاقبة المعتدين والسارقين^(١).

أمّا عليّ الصعيديّ الديني والعقائدي، فقد كانت له منزلة رفيعة عند الأئمة عليهم السلام، وقد أراه الإمام العسكري ابنه المهدي عليه السلام في أصعب الفترات،

(١) مروج الذهب (ج ١ / ص ٩٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٣ / ص ٢٢٨).

(٢) آل نوبخت (ص ٢١)، عن معجم الأدباء (ج ٢ / ص ٢٧٩).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١٠ / ص ٢٨٧).

(٤) عيون الأنباء (ج ٣ / ص ٩).

(٥) أوائل المقالات (ص ٣٣ وغيرها).

(١) أعيان الشيعة (ج ٣ / ص ٣٨٣ و٣٨٤).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٩١

فوصف إسماعيل بن عليّ النوبختي الإمام المهدي عليه السلام قائلاً: فَلَمَّا مَثَلَ الصَّبِيِّ بَيْنَ يَدَيْهِ - أي أبيه العسكري عليه السلام - سَلَّمَ، وَإِذَا هُوَ دَرِيُّ اللَّوْنِ، وَفِي شَعْرِ رَأْسِهِ قَطْطٌ، مُفَلِّجُ الْأَسْنَانِ، فَلَمَّا رَأَهُ الْحَسَنُ عليه السلام بَكَى، وَقَالَ: «يَا سَيِّدَ أَهْلِ بَيْتِهِ...، أَبْشُرْ يَا بُنَيَّ فَأَنْتَ صَاحِبُ الزَّمَانِ، وَأَنْتَ الْمَهْدِيُّ، وَأَنْتَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى أَرْضِهِ، وَأَنْتَ وَلَدِي وَوَصِيِّي...» إلخ^(١).

وشاع خبر إسماعيل بن عليّ النوبختي في الأمة، وبين علماء الشيعة بأنه سيكون السفير بعد العمري لما يروه من تقرّيبه له، وكان جماعة من أهل مصر يذكرون ذلك، فلَمَّا قَدِمَ إسماعيل بن عليّ النوبختي عليهم سألوه: كَيْفَ صَارَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحِ دُونِكَ؟! فَقَالَ لَهُمْ: هُمْ أَعْلَمُ وَمَا اخْتَارُوهُ، وَلَكِنْ أَنَا رَجُلٌ أَلْقَى الْخُصُومَ وَأُنَاطِرُهُمْ، وَلَوْ عَلِمْتُ بِمَكَانِهِ - يعني الإمام المهدي عليه السلام - كَمَا عَلِمَ أَبُو الْقَاسِمِ - الحسين بن روح النوبختي - وَضَغَطَنِي الْحُجَّةُ عَلَى مَكَانِهِ، لَعَلِّي كُنْتُ أَدُلُّ عَلَى مَكَانِهِ^(٢).

وقد استطاع إسماعيل بن عليّ النوبختي أن يكشف خدع وألاعيب الحلاج، ويفضحه أمام الأمة كما سيأتي.
ثانياً: جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه:

وساهمت هاتان الشخصيتان في أمر السفارة فترة العمري، وقربها إليه، وبلغ به الأمر أن يبقى أياماً في بيت جعفر بن أحمد بن متيل وابنه، وكان لا يتناول طعاماً إلا ما قد طُبِّخَ وأُصْلِحَ في بيت جعفر بن أحمد^(٣).
وقال مشائخ الأمة وأعلامها: كُنَّا لَا نَشْكُ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ كَائِنَةٌ مِنْ أَبِي

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٧٣ / ح ٢٣٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩١ / ح ٣٥٨).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٩ / ح ٣٣٧).

١٩٢ سفراء المهدي عليه السلام بين الحقائق والأوهام

جَعْفَرٌ لَا يُقَوْمُ مَقَامَهُ إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَتَيْلٍ أَوْ أَبُوهُ، لِمَا رَأَيْنَا مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ بِهِ وَكَثْرَةِ كَيْنُونَتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، وَكَانَ الْأَصْحَابُ لَا يَشْكُونَ إِنْ كَانَتْ حَادِثَةٌ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ إِلَّا إِلَيْهِمَا مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ بِهِمَا^(١).

وكان من شدة قربه لهما أنه لا يجلس مجلساً إلا وكانا معه في صدر المجلس وعند رأسه، فكان يسألها ويُحدثها^(٢).

ثالثاً: الحسين بن روح النوبختي:

وقد بدأ عمله فترة سفارة العمري وكيلاً عنه عليه السلام، وهو أحد الوكلاء العشرة الذين كانت تُجْبَى لهم الأموال إلى بغداد، وكان هؤلاء الوكلاء كُلُّهُمْ أَحْصَى مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ فِي أَمْرِ السَّفَارَةِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ إِذَا احتَاجَ إِلَى حَاجَةٍ أَوْ إِلَى سَبَبٍ فَإِنَّهُ يَنْجِزُهُ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ، لِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تِلْكَ الْخُصُوصِيَّةُ^(٣).

كان ابن روح بعيداً عن الأحداث، ولم تُسَلِّط عليه الأضواء بداية سفارة العمري، ولم نجد نصّاً في توثيقه من الأئمة السابقين عليهم السلام، ولا نعرف سرّ هذا الإهمال، وإنما ذُكِرَ بأنه من أصحاب الإمام العسكري، وكان باباً له عليه السلام، فكان يتلقّى الأسرار منه عليه السلام ويوصل أخباره إلى الأئمة بأمره عليه السلام^(١).

ولا يهتّمنا هذا الإهمال منهم عليهم السلام ما دمنا نقطع بصحة سفارة العمري عن الإمام المهدي عليه السلام، وأنّ قوله قول الأئمة، وفعله فعلهم^(٢)، وتسلم الأئمة أيضاً على صحة أقوال أبي جعفر العمري وأفعاله عليه السلام^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٩ / ح ٣٣٦).

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٢٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٤٣ / ح ٢٠٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٣ / ح ٣٢٧).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٩٣

واقترضت المشيئة الإلهية في أن يكون الحسين بن روح سفيراً عن الإمام المهدي عليه السلام، فأصدر أوامره لسفيره العمري في أن يمهد له ليتصدى أمر السفارة بعد وفاته، وقد تم الإعلان عن سفارته قبل سنتين أو ثلاثة سنوات من وفاة أبي جعفر العمري، فلما علمت الأمة ذلك، ومما وقع عليه الاختيار على أبي القاسم الحسين بن روح سلموا له، ولم ينكروا عليه، وكانوا معه كما كانوا مع أبي جعفر العمري^(١).

قال جعفر بن أحمد بن متيل: فَقُمْتُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ وَأَخَذْتُ بِيَدِ أَبِي الْقَاسِمِ وَأَجْلَسْتُهُ فِي مَكَانِي وَتَحَوَّلْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ^(٢).

وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ فِي جُمْلَةِ أَبِي الْقَاسِمِ عليه السلام وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَتَصَرُّفِهِ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرِ الْعَمْرِيِّ إِلَى أَنْ مَاتَ عليه السلام، فَكُلُّ مَنْ طَعَنَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ فَقَدْ طَعَنَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَطَعَنَ عَلَى الْحُجَّةِ عليه السلام^(٣).

فكانت الأموال تُحمَل إليه، وهي التي حصلت في باب الوقف إلى أبي جعفر العمري عليه السلام^(١).

أما الأساليب التي اتبعتها أبو جعفر تمهيداً لسفارة ابن روح النوبختي، فأهمها:

أولاً: تقريبه منه واختصاصه به:

لقد استعمل العمري ابن روح في بداية أمره وكيلاً خاصاً عنه في أملاكه لعدة أعوام، ينظر فيها ويلقي بأسرارها إلى الرؤساء من علماء الإمامية، وصار

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٩ / ح ٣٣٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٩ و ٣٧٠ / ح ٣٣٧).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٨).

١٩٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

خصيصاً به، وجعله أوّل من يدخل عليه حين جعل الشيعة طبقات^(١)، وكان يُحدّثه بما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه، وأنسه به^(٢)، وجعل له ثلاثين ديناراً ورزقاً له كلّ شهر، غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجأه ولموضعه وجماله محله عندهم^(٣).

ثانياً: توثيقه وأمر الأمة بمراجعته:

لقد أمر محمّد بن عثمان العمري قبل وفاته بستين أو ثلاثة أصحابه ووكلاءه بحمل الأموال إلى أبي القاسم الروحي عليه السلام، فأمر عليه السلام أبا جعفر محمّد ابن عليّ الأسود بحمل ما وصل من الأموال إليه^(٤).

وقوله لابن قزدا المدائني الذي حمل معه أربعمئة دينار: *إمض بها إلى الحسين بن روح*^(١).

وكان بعض أصحابه يتوقّف مغضباً ويخاطبهم أحياناً: *إني أقمتُ أبا القاسم بن روح النوبختي مقامي، ونصبتُه منصبي*^(٢).

ثالثاً: التصريح بسفارته وكونها بأمر المهدي عليه السلام:

وقد استعمل محمّد بن عثمان عبارات واضحة تدلُّ على أن ابن روح النوبختي هو السفير بعده، وأنّه لا مجال للشكّ فيه، وكون ذلك بأمر الإمام

(١) تاريخ الاسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٠)، سير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٢)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٨).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٧ / ح ٣٣٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٨ / ح ٣٣٥).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٩٥
المهدي عليه السلام، كقوله لجعفر بن أحمد بن متيل: (أمرت) أن أوصي إلى أبي القاسم
ابن روح^(١).

وقوله لجماعة من وجوه الشيعة وشيوخها: **إِنْ حَدَّثَ عَلِيٌّ حَدَّثَ الْمَوْتُ**
فَالْأَمْرُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحِ النَّوْبَخْتِيِّ، فَقَدْ (أَمَرْتُ) أَنْ أَجْعَلَهُ فِي
مَوْضِعِي بَعْدِي، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ وَعَوَّلُوا فِي أُمُورِكُمْ عَلَيْهِ^(٢).

وتصريحه أمام كثير من وجوه وعلماء الأمة أمثال: أبي علي بن همام، وأبي
عبد الله بن محمد الكاتب، وأبي عبد الله الباقطاني، وأبي سهل بن علي، وأبي عبد
الله بن الوجداء، وغيرهم بقوله: **هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ رَوْحِ بْنِ أَبِي بَحْرٍ**
النَّوْبَخْتِيُّ، الْقَائِمُ مَقَامِي، وَالسَّفِيرُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ صَاحِبِ الْأَمْرِ عليه السلام، وَالْوَكِيلُ لَهُ،
وَالثَّقَّةُ الْأَمِينُ، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ فِي أُمُورِكُمْ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ فِي مِهْمَاتِكُمْ، فَبِذَلِكَ
(أَمَرْتُ)، وَقَدْ بَلَّغْتُ^(٣).

فلما علم ابن روح بأنه السفير من بعد أبي جعفر العمري وقد كان في دار
ضيقة، فسرَّ به وشكر الله تعالى^(١)، وصارت تُدفع إليه الأموال التي كانت تصله
من أقصى البلاد، والردُّ على الأسئلة والاحتجاج على أهل الفرق والمقاتلات.

أما منزلته من الإمام المهدي عليه السلام:

ذكرنا أن اختيار ابن روح النوبختي لأمر السفارة إنما كان بأمر
المهدي عليه السلام، والوصية إليه من قبل أبي جعفر العمري قبل وفاته بستين أو
ثلاث.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٠ / ح ٣٣٩).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧١ / ح ٣٤١).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٧١ و ٣٧٢ / ح ٣٤٢).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٦٨ / ح ٣٣٥).

١٩٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

قالت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنه: فَمَهَّدْتُ لَهُ الْحَالَ فِي طَوْلِ حَيَاةِ أَبِي إِلَى أَنْ انْتَهَتْ الْوَصِيَّةُ إِلَيْهِ بِالنِّصِّ عَلَيْهِ^(١).

وكانت هناك مصلحتان في اختيار ابن روح النوبختي لأمر السفارة، هما:

أولاً: تكامل الشخصية والإخلاص:

إن منصب السفارة عن الإمام المهدي رضي الله عنه يستدعي رجالاً يتصفون بالوعي والإيمان، والقابلية والقدرة على إدارة شؤون الأمة، مضافاً إلى عامل الإخلاص والولاء التام للإمام رضي الله عنه، ويكون بمستوى المسؤولية بحيث يستحيل عليهم بث أخبارهم والإمام المهدي رضي الله عنه إلى السلطات وإن مَرَّق لحمهم ودُقَّ عظمهم، فالسفارة لم تكن لإسماعيل بن علي ولا لجعفر بن متيل وأبيه، لعدم توفر المستلزم الآخر لقوام الشخصية المتكاملة، وهي الولاء والإخلاص والتضحية للمبدأ، أو تعريض النفس للأخطار ومنه القتل إن تطلَّب ذلك، مع توفر العلم والوعي الثقافي والسياسي، وقد أكَّد إسماعيل بن علي هذه الحقيقة بقوله: وَأَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ - النوبختي - فَلَوْ كَانَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ لَمَحَّتْ ذَيْلُهُ وَقُرِّضَ بِالْمَقَارِيضِ مَا كَشَفَ الذَّيْلَ عَنْهُ^(١).

ثانياً: غلق الشُّبُهَاتِ أمام المشكِّكين والمرجفين:

لقد كانت فترة سفارة العمري مليئة بالمتاعب والآلام، بسبب طولها وظهور الكثير من المدَّعين للسفارة كذباً وزوراً، وصعوبة الزمان، وملاحقة السلطان لأنصار الإمام المهدي رضي الله عنه، وقد وُفِّق العمري كثيراً في اتِّباعه أسلوب الحذر والكتمان، والسير على خِطَّةٍ وبرامج منظَّمة وضعها منهجاً له في عمله وقد تقدَّم ذكره.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩١ / ح ٣٥٨).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ١٩٧

ثم تولى ابن روح السفارة رسمياً عن الإمام المهدي عليه السلام عام (٣٠٥هـ)، أي بعد موت أبي جعفر العمري، وكانت مدة سفارة ابن روح حوالي الواحد والعشرين عاماً، أي إلى وفاته في ستّ خلون من شعبان عام ستّ وعشرين وثلاثمائة^(١)، فكان أول كتاب ورد عليه من الإمام المهدي عليه السلام في تعيينه سفيراً رسمياً عنه عليه السلام هو يوم الأحد لستّ خلون من شوال سنة خمس وثلاثمائة، وأمره عليه السلام في البدء بمهمته في السفارة، ودعا له بالتوفيق في عمله.
أما نصُّ بيانه عليه السلام:

روى الطوسي بإسناده عن أبي العباس بن نوح، قال: وَجَدْتُ بِخَطِّ مُحَمَّدِ بْنِ نَفِيسٍ فِيمَا كَتَبَهُ بِالْأَهْوَازِ: أَوَّلَ كِتَابٍ وَرَدَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ عليه السلام: «نَعْرِفُهُ عَرَفَهُ اللَّهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَرِضْوَانَهُ وَأَسْعَدَهُ بِالتَّوْفِيقِ، وَقَفْنَا عَلَى كِتَابِهِ، وَثَقْنَا بِهَا هُوَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عِنْدَنَا بِالْمَنْزِلَةِ وَالْمَحَلِّ اللَّذَيْنِ يَسْرَانِهِ، زَادَ اللَّهُ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ قَدِيرٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً»^(١).

وقد ورد هذا التعيين لابن روح من قبله عليه السلام بعد خمسة أشهر من وفاة أبي جعفر العمري عليه السلام المتوفى في جمادى الأول من نفس العام^(٢).
فبدأ بأمر السفارة، وقام بها خير قيام، واتبع مذهب التقية في أسلوبه، وإظهاره مذهب أهل السنة بنحو ملفت للنظر، ممّا ساعده هذا المنهج كثيراً في تسهيل عمله في السفارة، ومواجهة تيار الانحراف المتمثل في السلطة والأمة، والقضاء على المدّعين للسفارة كذباً، ولاسيما الشلمغاني والحلاج اللذان شكّلا

(١) قد تقدّم في (ص ١٨٠)، فراجع.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ و ٣٧٣ / ح ٣٤٤).

(٢) قد تقدّم في (ص ١٢٨)، فراجع.

١٩٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

خطراً حقيقياً على الإسلام وقواعد الإمام المهدي ﷺ، ودخل البلاط العباسي، واستقطب الكثير من الوزراء والأمراء، مما كان له الأثر الإيجابي في تخليصه من سجن المقتدر^(١)، لأجل الاتهامات التي وجهها له أعداؤه، ومنها تهمة تعاونه مع القرامطة ودعوتهم إلى احتلال بغداد^(٢).

ولم يكن ابن روح النوبختي يتصرّف في أمر سفارته من قبل نفسه، بل يُلبّي كلّ ما يُملي عليه الإمام المهدي ﷺ حيث قال: لَيْنُ أَخْرَجَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَنِي الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِي الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ فِي دِينِ اللَّهِ ﷻ بِرَأْيِي، وَمِنْ عِنْدِ نَفْسِي، بَلْ ذَلِكَ عَنِ الْأَصْلِ، وَمَسْمُوعٌ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٧ و ٣٠٨ / ح ٢٥٩)، تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، سير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٣ و ٢٢٤)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).
(٢) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).
(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٢ / ح ٢٦٩).

المبحث الثاني:

التحرُّك الثقافي والسياسي

لابن روح النوبختي وأسباب اعتقاله

لقد خلّف الانحراف القائم مادياً وعقائدياً في أغلب فترات التاريخ بؤساً اقتصادياً، وتحلُّفاً اجتماعياً مؤسفاً، وابتعاداً عن القيم والمبادئ الأصلية المتبلورة في الخطّ الإسلامي الصحيح للأئمة عليهم السلام، وربّما أنّهم كانوا يُمثّلون المعارضة الإسلامية الحادّة لذلك الانحراف بأشكاله وأنواعه رأياً وتطبيقاً، لكن هذا التحرُّك كان قد أوجد حالة عدم الارتياح من قِبَل السلطات جعلها تسعى في كفكفة نشاطهم بأساليبها المتنوّعة، فظهر الانحراف، وتفشّى في مختلف قطاعات الأُمّة وكيانها الإسلامي.

أمّا ارتباطهم عليهم السلام بأصحابهم فقد كان مقتصرأ على الدوائر الضيقة التي كانت تتّسع حيناً، وتضمّر حيناً آخر بسبب الظروف التي يمرُّ بها الأئمّة عليهم السلام، وكانت تتناسب تناسباً عكسياً مع ضعف السلطة القائمة آنذاك، وقد كان السفراء فترة الغيبة على ارتباط تامّ بالإمام المهدي عليه السلام مع حاجز الخوف الذي فرضته السلطات حينها، وعاشوا معمعة التضحيات الكبرى، وقدّموا تراثاً ضخماً للأجيال، وحافظوا فيه على أطروحات الأئمّة عليهم السلام وما رسموه من مشاريع ضخمة للأئمّة الإسلامية، ولم تكن الثقافة المعطاة منهم عليهم السلام دائماً التي تتفق مع خطّ السفير واعتقاده، بل قد يمتزج بها غيرها نظراً لاقضاء المصلحة الإسلامية العامّة.

٢٠٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

أمّا فترة سفارة ابن روح النوبختي، فقد برز فيها جانبان - كانا فريدان من نوعهما - هما:

أولاً: دمج الأمة بمذاهبها ومعتقداتها:

لقد ربط ابن روح فترة سفارته بين المذاهب والمسلمين، ووحد كلمتهم، وآخى بينهم، وكان العامة يذكرونه بكلّ خير، تاركاً التعصّب المذهبي وكلّ ما يُؤدّي إلى الفرقة والتخاصم.

ثانياً: إفحام من ادّعى السفارة الكاذبة عن الإمام المهدي ﷺ:

وقد سعى ابن روح النوبختي بروح إسلامية عالية مليئة بالتفاهم لإيجاد شعار الوحدة الذي دعا إليه وسعى لتحقيقه، فكان يحضر المجالس العلمية ويدعو لإقامتها، كالمجالس التي تُعقد في دار ابن مقلة الوزير^(١)، ودار الخليفة المقتدر العباسي، ودار ابن يسار^(٢)، وغيرها، فأبدى فيها تفوقاً ونجاحاً باهراً على أقرانه ونظائره، ومسكناً لخصومه^(٣).

وقد كان له في دار الوزير حامد بن العباس أمور وخطوب يطول شرحها^(٤).

وكان يُخبرهم بما لا يعرفوه، ويروي لهم ما لم يرووه^(٥)، فعظم في أعينهم، وكبر في نفوسهم، وأبدوا له احتراماً وإجلالاً لا نظير له.

وكانت له مناظرات كلامية مع علماء الكلام، ومنهم ترك الهروي الذي

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٦ / ح ٣٧٨).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٤ / ح ٣٤٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، سير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٣).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ / ح ٣٤٩).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٠١
قال عن ابن روح بعد انتهاء المناظرة: فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا تَكَلَّمَ وَأَجَابَ فِي هَذَا الْبَابِ
بِأَحْسَنَ وَلَا أَوْجَزَ مِنْ جَوَابِهِ^(١).
وله مناظرات مع المفوضة بعد اختلاف الأصحاب في مسألة التفويض^(٢).
ونقاشه لمسألة تسليط الله الأعداء على الأولياء كما في قصة الحسين عليه السلام
وتسليط يزيد عليه لقتله، وحله هذه الشبهة^(٣).

أما تحركه السياسي:

فقد ذكرنا أن فترة سفارة ابن روح كانت قد بدأت عام (٣٠٥هـ) وانتهت
بوفاته عام (٣٢٦هـ)، وقد استغرقت حوالي الواحد وعشرين عاماً، وقد عاصر
فيها ثلاثة من الخلفاء العباسيين، هم:
١ - المقتدر العباسي، وقد عاصر فيها خمسة عشر عاماً من خلافته التي
بدأت عام (٢٩٥هـ) وانتهت عام (٣٢٠هـ).
٢ - خلافة القاهر، وعاصر ستين من خلافته التي بدأت عام (٣٢٠هـ)
وانتهت عام (٣٢٢هـ).
٣ - خلافة الراضي بالله، وعاصر أربع سنوات من خلافته التي بدأت عام
(٣٢٢هـ) وانتهت عام (٣٢٩هـ).
وقد رافقت فترة سفارة ابن روح بعض الحوادث، ونُلخصها بما يلي:

أولاً: خلافة المقتدر العباسي:

أما أهم ميزاتهما:

-
- (١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٨ / ح ٣٥٣).
 - (٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٧ / ح ٣٥١).
 - (٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٤ - ٣٢٦ / ح ٢٧٣).

أ - الضعف الإداري:

ذكرت النصوص التاريخية بأنَّ دولة المقتدر العباسي كانت ذات تخليط كثير، لصغر سنِّه، واستيلاء أمِّه ونسائه وخدمه عليه، فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم، وهو مشغول في لذَّاته، فخربت الدنيا في أيَّامه، وخلت بيوت الأموال، واختلفت الكلمة، فخلعَ ثمَّ أعيدَ ثمَّ قُتِلَ^(١).

ب - النقمة العسكرية وتدهور الجيش:

وانتشرت الفتن في عهد المقتدر العباسي، فخرج عليه مؤنس الخادم سنة (٣١٧هـ)، بعد أن بلغه أنه فكَّر في تولية هارون بن غريب مكانه، وأرسل مؤنس إلى المقتدر يُنبؤه بتدبُّر الجيش من إسراف الحاشية والخدم وضياع الأموال وإفساد الحكم بسبب تدخُّلهم في أمور الدولة، ويلحُّ عليهم في إخراجهم من قصره والاستيلاء على ما في أيديهم، فردَّ المقتدر عليه بكتاب ينفي فيه التُّهم التي وُجِّهت إليه وإلى رجال حاشيته، فطلب القوَّاد وعلى رأسهم أبو الهيجاء الحمداني ونازوك، فثاروا على الخليفة، وأخرجوه من داره، ونادوا بخلعه، وبايعوا محمَّد ابن المعتضد، ولقَّبوه القاهر بالله^(٢).

ج - استنزاف بيت المال وفقدان الرقابة:

وقد استنزف بيت المال في عهد الخليفة المقتدر بين عام (٢٩٥هـ) إلى (٣٢٠هـ)، لأنَّ المال أُخذَ منه بزعم إعادته متى تحسَّن الحال، وفي عام (٣١٩هـ) عرض الوزير على المقتدر ما كان من العجز وهو سبعمائة ألف دينار، فعظم ذلك على المقتدر^(٣).

(١) الفخري في الآداب السلطانية (ص ٢٥٣).

(٢) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٢٦٤ - ٢٦٩).

(٣) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٢٩٨)، الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٣١).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي ﷺ الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢٠٣

د - الاستهتار بالقيم والمبادئ:

ولقد ذكر المؤرِّخون في حوادث عام (٣١٣هـ) فترة سفارة ابن روح النوبختي أنَّ الشيعة البغداديين كانوا يجتمعون في مسجد براثا^(١)، فعلم الخليفة بأنَّ قوماً منهم يجتمعون فيه لسبِّ الصحابة، فأمر بكسبه في يوم الجمعة وقت الصلاة، فوجد فيه ثلاثون إنساناً يُصلُّون، فقبض عليهم، وفتشوا، فوجد معهم خواتم من طين أبيض عليها اسم الإمام، كما كان يفعل دعاة الفاطميين مع من يتسب إليهم، وقد استصدر الخليفة فتوى بهدم المسجد حتى سُوي بالأرض وعُفي رسمه ووصل المقبرة التي تليه^(٢).

ثانياً: الخليفة القاهر بالله:

وقد امتازت خلافته بميزات نُلخصها:

أ - قبح السريرة والتظاهر بالمحرّمات:

وصف الصولي الخليفة القاهر بالله بأنّه كان أهوج، سفّاكاً للدماء، قبيح السريرة، كثير التلّون والاستحالة، مدمن خمر، ولولا جودة حاجبه (سلامة) لأهلك الحرث والنسل^(٣).

ب - إشاعة الإرهاب والاستهانة بالنفوس:

وصف المسعودي الخليفة القاهر باشتهاره بالقسوة، فقد اتَّخذ حربة يحملها بيده إذا سعى في ذلك، ويطرحها بين يديه حال جلوسه، يباشر الضرب بتلك

(١) قال الشهيد رحمته الله في ذكرى الشيعة (ج ٣ / ص ١١٨) ما لفظه: (ومن المساجد الشريفة مسجد

براثا غربي بغداد، وهو باقٍ إلى الآن، وفيه فضائل عديدة...).

(٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (ج ١٣ / ص ٢٤٧ و ٢٤٨).

(٣) تاريخ الموصل (ج ٢ / ص ٢٤٠)، تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٧).

٢٠٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
الحربة لمن يريد قتله، فسكن من كان قبله من الخلفاء التشعب والتوثب عليهم،
وكان مخوف السطوة^(١).

ج - تناصر الطوائف الإسلامية:

اشتدَّ الخلاف في فترة سفارة ابن روح النوبختي بين الفرق والمذاهب
الإسلامية فيما بينها، وقد كان في بغداد آنذاك أكبر الفرق وهما الحنابلة
والشيعة^(٢)، فكان أنصار الطائفة الشيعية يسكنون بنوع خاص حول سوق
الكرخ، ولم يتقدموا الجسر الكبير، ويحتلوا باب الطاق إلا في أواخر القرن الرابع
الهجري، ولم يستطيعوا التعدي إلى القسم الغربي، لأن الهاشميين كانوا يكونون
عصبة قوية هناك لاسيما حول باب البصرة، وكانوا من أشد أعداء الشيعة^(٣).
على أن ياقوت الحموي وجد أن أهل محل باب البصرة بين كرخ بغداد
والقبلة كلهم سنيون حنابلة، وأن يسار الكرخ وفي جنوبها سنية، أمّا الكرخ
فأهلها كلهم شيعة إمامية، لا يوجد فيها سني البتة^(٤).
فمن ذلك التناحر:

١ - ما ذكره ابن كثير في حوادث عام (٣١٧هـ) من وقوع فتنة ببغداد بين
أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله
تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء: ٧٩)، فقالت
الحنابلة: يجلسه معه على العرش، وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى،
فاقتتلوا بسبب ذلك، وقُتِلَ بينهم قتلى^(٥).

(١) مروج الذهب (ج ٤ / ص ٢٢١).

(٢) المقدسي (ص ١٢٦).

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٩ / ص ١٤٦).

(٤) معجم البلدان (ج ٤ / ص ٤٤٨).

(٥) البداية والنهاية (ج ١١ / ص ١٨٤).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٠٥

٢ - وما ذكره آدم منز في حوادث عام (٣٢١هـ)، قال: وهمَّ عليُّ بن يلبق وهو من القوَّاد الترك مرَّةً أُخرى بأنَّ يلعن معاوية وابنه يزيد عليَّ المنابر، فاضطربت العامَّة، وكان البرهاري رئيس الحنابلة يثير الفتن هو وأصحابه^(١)، فتقدَّم عليُّ بن يلبق ليقبض عليَّ البرهاري هذا، فهرب وقبض عليَّ جماعة من كبار أصحابه، فجعلوا في زورق مطبق وأحدروا إلى البصرة^(٢).

٣ - ما ذكره آدم منز في حوادث عام (٣٢٣هـ)، قال: نُودي في جانبي بغداد بأنَّ لا يجتمع مع الحنابلة نفسان في موضع واحد، وكان ذلك لكثرة تشرُّطهم عليَّ الناس وإيقاعهم الفتن المتَّصلة، فخرج توقيع الخليفة الراضي بكتاب بيَّن فيه أخطاء الحنابلة وتوعَّدهم بالعقاب... إلخ^(٣).

د - استنزاف الطاقة وحروب القرامطة:

استغرقت معظم فترة ابن روح النوبختي بحروب القرامطة، حيث اتَّصفوا بالصرامة والشدَّة والاستهانة بالدماء، فبثوا الرعب، وانهارت المبادئ والقيَم، وكبدوا سوريا والعراق والبحرين تضحيات جلييلة، وقد شهد عام (٣١١هـ) مأساة البصرة، وهاجموا الكوفة عام (٣١٥هـ) هجوماً مميَّتاً، ونهبوا قوافل الحجَّاج عام (٣١٢هـ)، وجبوا ضريبة من الحجَّاج وكفُّوا عنهم عام (٣١٣هـ)، وعطلُّوا الحجَّ عام (٣١٧هـ) إلى عام (٣٢٧هـ)، وهجموا عليَّ مكَّة عام (٣١٧هـ)، وسفكت دماء الحجَّاج في المسجد الحرام، وقلعوا الحجر الأسود^(١)، وأبقوه ثلاثين عاماً عندهم^(٢).

(١) الحضارة الإسلاميَّة (ج ١ / ص ٨٨).

(٢) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٣٤٩).

(٣) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٤١٤).

(١) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٠٧).

(٢) تاريخ الشعوب الإسلاميَّة (ص ٢٣١).

هـ - المرح والمرج وتدهور الأوضاع السياسيّة:

كان الوزراء والوزارة ممّن كانوا يتناوبون الحكم سرعان ما يبدو فشلهم في معاملة الناس، وتوزيع الأموال وتدبير الشؤون السياسيّة، فيُعزّلون، وقد يذوقون بعد العزل صنوف العذاب والسجن والنهب ممّا لا يحصى بحديث.

ولقد ذكر المؤرّخون بأنّ ابن روح النوبختي كان أحد الرؤساء في خلافة المقتدر العبّاسي، وله وقائع في ذلك مع الوزراء^(١)، وكان وافر الحرمة، وجرت له خطوب مع الوزير ابن العبّاس^(٢)، واكتسب له الكثير من الأنصار في البلاط العبّاسي^(٣)، وحصل له عند المقتدر محلّ عظيم^(٤)، وكذا عند الخليفة الراضي بالله، وصار له رزق يُدفع من خزينة الدولة يُقدّمه إليه الوزراء والرؤساء مثل آل الفرات وغيرهم، لجاهه وموضعه وجلالة محله عندهم^(٥)، وكثرت غاشيته حتّى ركب إليه الأمراء والوزراء والمعزولون عن الوزارة والأعيان^(٦).

ويعود هذا النفوذ في البلاط العبّاسي إلى ثلاثة أمور رئيسيّة، هي:

أولاً: علومه وسعة اطلاعه:

لقد كان ابن روح النوبختي عارفاً بمجريات الأحداث وقوانين الأمم والدولة.

(١) لسان الميزان (ج ٢ / ص ٢٨٣ / الرقم ١١٧٧)، معجم المؤلّفين (ج ٤ / ص ٨).

(٢) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١).

(٣) دائرة المعارف الإسلاميّة العربيّة (ج ١ / ص ١٨١).

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤٤٥).

(٥) قد تقدّم في (ص ١٨٧)، فراجع.

(١) قد تقدّم في (ص ١٨٧)، فراجع.

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢٠٧

ثانياً: أسلوبه ومنهجيته المتكاملة في العمل.

ثالثاً: القرابة التي كانت بينه وبين آل نوبخت:

لقد ذكرنا أنّ ابن روح يُنسب إلى بني نوبخت، وخاصّة إلى أبي سهل إسماعيل بن عليّ الذي حصل على مقام رفيع في الدولة العبّاسية يقرب من مقام الوزارة، وكان له نفوذ تامّ فيها بحيث تبعه لمحاسبة الوزراء^(١).

ولقرابته من أبي عبد الله الحسين بن عليّ الذي كان وزيراً في حكومة الراضي بالله، والمدبّر للملك لابن رائق، ومن ساق إليه تلك النعمة^(٢).

وهناك من الأمراء والكتّاب من آل نوبخت تربطه معهم رابطة النسب^(٣).

وكانت الدولة تنظر إلى النوبختيين بعين الاحترام والإجلال، وتهايمهم، وتستشيرهم، وتأخذ برأيهم في تنصيب الخلفاء، وتجعله فوق الآراء.

قال ابن العبري: لَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ الْعَبَّاسِيُّ عام (٣٢٠هـ) عظم قتله على مؤنس وقال: الرأي أن ن نصب ولده أبا العبّاس، فإنّه تربيتي، وهو صبيّ عاقل فيه دين وكرم ووفاء لما يقول، فاعترض عليه إسحاق النوبختي وقال: بعد الكدّ استرحنا من خليفة له أمّ وخالة وخدم يُدبّرونه، فنعود إلى تلك الحالة؟ لا والله لا نرضى إلاّ برجل كامل يُدبّر نفسه ويُدبّرنا، وما زال حتّى ردّ مؤنساً عن رأيه، وذكر له أبو منصور محمّد بن المعتضد القاهر بالله، ليكون خليفة، فأجابه مؤنس عن ذلك، وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه، فإنّ القاهر قتله^(١).

(١) قد تقدّم في (ص ١٩٠)، فراجع.

(٢) قد تقدّم في (ص ١٨٣)، فراجع.

(٣) آل نوبخت (ص ٢٤٨).

(١) تأسيس الشيعة (ص ٣٧١).

٢٠٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وَيُعَلِّمُ أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ يَجْرِي مَجْرَى
الوزراء^(١)، وقد ذكره الصدوق رحمته الله في قائمة من شاهد المهدي رحمته الله^(٢).

وهنا نتساءل: ما هي طبيعة العمل الذي قام به ابن روح النوبختي في
البلاط العباسي؟ وما هي أسباب اعتقاله من قِبَل السلطة وزجّه في السجن مع
منزلته الرفيعة عند المقتدر والراضي، ومع وجود النوبختيين في الحكم؟
ونجيب عن هذه التساؤلات:

ذكرنا بأن ابن روح النوبختي صارت له المنزلة العظيمة عند المقتدر الذي
كانت له حظوة بسبب عقله ودرأيته التي جعلته محلّ اعتماد المخالف والمؤالف^(٣)،
واستطاع أن يكسب كثيراً من الأنصار في البلاط العباسي^(٤)، وصارت له وقائع
مع الوزراء^(٥)، خاصّةً مع حامد بن العباس، فقد كانت له معه خطوب^(٦)، فما
تلك الخطوب يا ترى؟!!

روى المؤرّخون أنّ حامد بن العباس هذا كان قد ألقى القبض على ابن
روح النوبختي وأودعه السجن الذي في دار المقتدر^(٧)، أو الممطورة^(٨)، وذكروا
أنّ مدّة حبسه كانت خمس سنوات فقط^(٩).

(١) المصدر السابق.

(٢) كمال الدين (ص ٤٤٢ / باب ٤٣ / ح ١٦).

(٣) قد تقدّم في (ص ٢٠٦)، فراجع.

(٤) قد تقدّم في (ص ١٩٨)، فراجع.

(٥) قد تقدّم في (ص ٢٠٦)، فراجع.

(٦) قد تقدّم في (ص ١٧٩)، فراجع.

(٧) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٧ / ح ٢٥٩).

(٨) لسان الميزان (ج ٢ / ص ٢٨٣ / الرقم ١١٧٧).

(٩) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٠٩

و عرفنا هذه المدّة من جهتين:

أولاً: إخبار رجال الإمامية الثقة بسجن ابن روح النوبختي ^(١)، واستتاره ^(٢).

ثانياً: أخبار وتواريخ أهل العامّة، فقد ذكر الحافظ الذهبي في حوادث عام (٣١٧هـ) أنّ المحبوسين في دار الخلافة الذي أخرجهم مؤنس - كما تقدّم - الحسين بن روح بن بحر أبا القاسم القيني - أو القميّ - المتوفّي سنة (٣٢٦هـ)، وكان قد قبض عليه الوزير حامد بن العباس، وسُجنَ خمسة أعوام ^(٣)، وأُطلق سراحه وقت خلع المقتدر ^(٤).

وقد سرد ابن أبي طيّ المتوفّي عام (٦٣٠هـ) في أوراق حال ابن روح النوبختي وكيفية اعتقاله ^(٥).

فيكون بناءً على هذا فترة اعتقاله في عام (٣١٢هـ)، وكان معه جماعة في السجن منهم: المقتدر العباسي بعد أن خلعه القادة والموالي وتولّى الخلافة عام (٣١٧هـ).

والطريف في الأمر أنّ القاهر هذا كان قد ذاق طعم الخلافة لمُدّة يومين فقط! في غضون أيّام ملكه، ولمّا رأى القاهر أنّ المقتدر سيرجع إلى دست الخلافة خاطبه المقتدر قائلاً: يا أخي، قد علمت أنّك لا ذنب لك وأنّك قُهرت، ولو لقبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر، فبكى القاهر وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي نفسي، أذكر الرحم التي بيني وبينك ^(٦).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٧ و ٣٠٨ / ح ٢٥٩).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٢ و ٣٠٣ / ح ٢٥٦).

(٣) قد تقدّم في الصفحة السابقة، فراجع.

(٤) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

(٥) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١).

(٦) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٠٦).

٢١٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وكان في السجن مع ابن روح النوبختي أيضاً أمُّ المقتدر وولده وعليُّ بن عيسى الوزير وآخرون، وكان مؤنس المظفر وأبو الهيجاء من حمدان قد صمَّما عليَّ إرجاع المقتدر المعزول إلى الخلافة، فدخل مؤنس الدار، وسأل بعض الخدم عن المقتدر، فأعلموه بمكانه، فاحتال في إخراجه وإخراج أمِّه وولده، فوجَّه معهم ثقاته إلى داره ليستتروا فيها، وأخرج عليَّ بن عيسى من المكان الذي كان محبوساً فيه فصرفه إلى منزله، وأخرج الحسين بن روح عام (٣١٧هـ) معهم أيضاً وأرجعوه إلى بيته^(١).

ودار حوار بين المقتدر ومؤنس المظفر بعد الإخراج حول ابن روح النوبختي، فقال المقتدر العباسي: دعوه، فبخطيئته جرى علينا ما جرى^(٢).
فما هي خطيئة ابن روح؟ وما الذي جرى حتَّى أوجب سجنه وسجن الخليفة معه؟

وأما الإجابة عنها:

أولاً: اتِّهامه في دسائس القرامطة:

قال الذهبي والصفدي: ومما رموه - أي ابن روح النوبختي - به أنَّه كان يكتب القرامطة ليقدموا ويحاصروا بغداد^(١)، فإنَّه كان يُبيِّئ لهم الأسباب للاستيلاء على سواحل الخليج والحجاز وزرع الخوف والقلق في بغداد، ولكنَّه بما أُوتي من نبوغ ودهاء ووفور عقل حاول دفع ذلك عن نفسه^(٢).

أقول: ولا يتفق هذا مع سياسة ابن روح في كتمان أمره والحذر، ومسلك

(١) تاريخ الطبري (ج ١١ / ص ١٢٢ / في حوادث عام ٣١٧هـ).

(٢) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩١).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢١١
الاحتجاب والتقية التي استعملها في عمله في السفارة، ومع الذكاء والعقل
الذي امتلكه ابن روح كما ذكرناه.

ولا يمكن للإمام المهدي عليه السلام تأييد القرامطة الذين اشتهروا بالصرامة
والشدّة والاستهانة بالدماء وبثّ الرعب، وقلع الحجر الأسود من المسجد
الحرام! وهو الذي يدافع عن مصالح الأُمَّة أينما اقتضت، بل كان على العكس
من ذلك حيث استنكر عليه السلام أعمال القرامطة وفضحهم وكشف زيغهم وخُدعهم
أمام الأُمَّة. وكيف يوافق أفعال القرامطة وقد اشتهر عنه في الحديث النبوي
الشريف بأنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؟

فمما جاء في ذلك أنّ رجلاً جليلاً من فقهاء أصحابنا - بتعبير الراوي -
كتب إلى الإمام المهدي عليه السلام رسالة عن طريق بعض سفرائه، فلم يرد فيها
الجواب على كثرة ما كان يرد من أجوبة وتوقعات عنه عليه السلام، قال الراوي: فَنَظَرْنَا
فَإِذَا أَلْعَلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ تَحَوَّلَ قَرَمَطِيًّا^(١)، ولذلك فإنّ اعتناق شخص لمذهب
القرامطة يُعتَبَر سبباً كافياً لمقاطعته والإعراض عنه مهما بلغ علمه.

ثانياً: اتّهامه بكثرة الديون ومطالبات الدولة:

ذكر الطبري في تاريخه كيفية إطلاق سراح ابن روح النوبختي من السجن
وأَسباب اعتقاله، فقال: كان محبوساً بسبب مال طولب به من قبَل الديوان^(١).
أقول: وهذا غير تامّ أيضاً، فلا يُعقَل من ابن روح أن يُسجَن خمسة أعوام
في السجن لأجل هذا المال مع وجود بني نوبخت وهم أصحاب المراتب
والمناصب العالية في الدولة، وما كانوا يُسَلِّمون له من الأموال من الوزراء
والأُمراء، وكان له رزق من بيت المال... إلخ^(٢).

(١) الكافي (ج ١ / ص ٥٢٠ / باب مولد الصاحب عليه السلام / ح ١٣)، الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٥٩).

(١) تاريخ الطبري (ج ١١ / ص ١٢٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٢ / ح ٣٤٣).

٢١٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ومع أنه كان لا يفعل إلا الصواب بأمر الإمام المهدي ﷺ، فكيف يسمح الإمام له بأن يقترض أموالاً من الدولة بحيث يبقى عاجزاً عن تسديدها ويبقى بعيداً عن المهمة التي اختير ابن روح لها في أمر السفارة؟!
ثالثاً: كثرة أنصاره وأتباعه:

لقد كانت الدولة تتوجس خيفةً من نشاط ابن روح، حتى إنه جمع لنفسه أنصاراً وأتباعاً له في البلاط العباسي، وكان هذا يثير من تساؤلاتهم نحوه، وقد حصلت الدولة على حقائق دامغة تُثبت ارتباطه بالإمام المهدي ﷺ، كالاعتراف الذي حصلت عليه من الشلمغاني بعد تقديمه للمحاكمة قائلاً بأنه كان وكيلاً عن ابن روح وليس إلهاً^(١)، لكن الدولة لم تسأل عن معنى هذه الوكالة، ولم تُرسل خلف ابن روح ليدلي بتوضيحاته حول هذه الوكالة ولمن هي.

ولكن عقل ابن روح ودرايته كانت قد نفت عنه كل تلك التهم الموجهة إليه، فمن جهة أنه يعلن عن أن مذهبه أهل السنة، ودفاعه عن الصحابة والخلفاء أمم الأمة، ومن جهة أخرى ارتباطه بالخليفة الراضي والقاهر وبني نوبخت وآل الفرات وغيرهم، وعلاقته القويّة بهم كان قد رفع عنه كل تلك التهم الموجهة له. قال الذهبي: وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء والوزراء يركبون إليه والأعيان، وتواصف الناس عقله وفهمه.

وقال الصفدي: ولم يزل أبو القاسم - النوبختي - على مثل هذه الحالة حتى ولي حامد بن العباس الوزارة.

وقد كاد أمره أن يظهر ويستفحل، وجرت لحامد مع ابن روح خطوب، وكان جمع الأنصار داخل البلاط سبباً في أن يأمر حامد بن العباس بإيداع ابن روح النوبختي في السجن.

(١) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩١).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي ﷺ الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢١٣

رابعاً: اعتقاله بسبب ما يصله من أموال:

قال الذهبي: وكانت الإمامية تبذل له الأموال، وتُجبي من كل البلاد الإسلامية، وكان يُفتي الشيعة ويفيدهم، وكان قدوتهم، وله جلاله عجيبة، وله رتبة عظيمة بينهم.

ثم قال الذهبي: ومما رموه به أن الأموال تُجبي إليه^(١).

ولعل هذا هو السبب في اعتقاله، وما تقدّم من الصفدي في الأمر الثالث، لأنّ الخزينة المالية للدولة كانت تعاني من النقص والحرمان بسبب الحروب التي كانت تُهددها وقد صرفت لأجلها الكثير من النفقات.

وعلى كل حال أُطلق سراح ابن روح النوبختي عام (٣١٧هـ) بعد أن استغرق سجنه خمسة أعوام منذ عام (٣١٢هـ)، وتابع فيها أعماله، ولم يتغيّر موقعه الاجتماعي في الأمة، وبقيت منزلته رفيعة بين الأمراء والوزراء.

فقد روي أنّ محمّد بن رائق أصدر مرسوماً حكومياً في التصرف في ممتلكات وضياح ابن مقلة وابنه عام (٣٢٤هـ)، فقام أبو عليّ ابن مقلة بزيارة لأبي عبد الله الحسين بن عليّ النوبختي وزير ابن رائق لعلّه يرفع ما صدر من المرسوم الحكومي وإيقاف ممتلكاته، وفي ضمن تشبّثاته أيضاً طلب من ابن روح النوبختي أن يتوسّط له أبو عبد الله عند ابن رائق، فكانت نتيجة الوساطة هي إصدار مرسوم حكومي إلى أبي عبد الله الحسين بن عليّ من قبل ابن رائق في رفع الحصار عليه ووقف ممتلكات ابن مقلة وفتح ما كان مغلقاً^(١).

وبما أنّ وزارة أبي عبد الله الحسين بن عليّ النوبختي لم تطل أكثر من ثلاثة

(١) راجع: تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٠ - ١٩٢)، وسير أعلام النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢ -

٢٢٤ / الرقم ٨٥)، والوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٦ و ٢٢٧).

(١) الأوراق للصولي (ج ٢ / ص ٨٧).

٢١٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
أشهر وثمانية أيام^(١)، فيكون تشبُّث ابن مقلة في إرجاع أمواله إليه بابن روح هو
عام (٣٢٥هـ) كما ذكره الصولي^(٢).

ثالثاً: خلافة الراضي بالله:

وقد امتازت خلافته بعدة ميزات، نُلخصها بما يلي:
حاول ابن روح النوبختي فترة خلافة الراضي بالله أن يحصل على رتبة
جليلة في السلطة عند المؤالف والمخالف، وقد كانت تصله الأموال الكثيرة من
أقصى البلاد الإسلامية في الوقت الذي كانت فيه الخزينة المالية تعاني من النقص
والإفلاس، فأثار ذلك العمل السلطة، وسعى به جماعة إليها، وصار الخليفة
الراضي بالله يتحدث عن ابن روح وما يصله من الأموال.
فقد ذكر الصولي المتوفى عام (٣٣٥هـ) وقد عاصر ابن روح النوبختي
قائلاً: إنَّ الخليفة كان كثيراً ما يقول: إنَّ الإمامية يحملون إليه الأموال، فنردُّ عنه،
ونكذب، فيقول لنا: وما في هذا؟ والله لوددت أن مثله أُلْفاً تحمل أموالها إليه
فيفقرهم الله، ولا أكره غنى هؤلاء من أموالهم^(٣).

* * *

(١) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٤٥٦).

(٢) الأوراق للصولي (ج ٢ / ص ٨٧).

(٣) الأوراق للصولي (ج ٢ / ص ١٠٤)، آل نوبخت (ص ٢٥٦).

المبحث الثالث:

الحسين بن روح النوبختي

ومدعو السفارة الكاذبة عن الإمام المهدي عليه السلام

المنحرفون عن الإسلام والتعاليم السماوية والمتاجرون باسمه هم أشدّ وقعاً وأكثر تأثيراً وخطراً من الكفرة والملحدّين، فقد ظهر رجال فترة الغيبة الصغرى وهم منحرفون عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ارتبطوا بالعوامّ ليُبعدهم عن الفكر الأصيل ويُشكّكوا في عقائدهم، من خلال تزريقهم الأفكار المسمومة في جسد الأمة، والسلطة من ورائهم في ذلك، بعد أن تكون الأمة أحوج إلى التثقيف والتوعية.

وقد عرف الإمام المهدي عليه السلام حيلهم وألعايبهم، ففضحهم وهم في عقر دارهم، وقد كلف هذا الأمر العناء والكثير من الجهود لإقناع الأمة بكذب هؤلاء.

ولقد كان بإمكان هؤلاء إخبار السلطات عن الإمام المهدي عليه السلام أو أصحابه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأمر:

أولاً: علمهم بأنّ خطّ السلطة هو غير مشروع، ومن جهة يريدون الارتزاق عن هذا الطريق وبأسهل الوسائل، فالدخول في خطّ السلطة معناه الابتعاد عن الأمة، وفيه نهايتهم المحتومة إن علمت بذلك. ولا تحصل من السلطات على شيء، لعلمها بإفلاس الخزينة المالية ونقصانها. وربّما لا تتجاوب السلطات معهم، لأنّه يُسبّب لها مشاكل عديدة هي في غنى عن ذلك، ومواجهة

٢١٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

أكبر تيار يمكن أن تستفيد منه لصالحها في حروبها الخارجية، وهي الأمة التي هي رصيد الإمام ﷺ، فهي لا تقدر على مواجهتها أبداً، ولا ترى ضرورة في ذلك.

ثانياً: علمهم بأن الإمام المهدي ﷺ سيفضحهم قبل أن يقوموا بأي عمل، ومعنى ذلك موتهم التدريجي في ساحة الصراع، فعلى هذا ينبغي أن يفكر هؤلاء في طريق يضمن لهم سلامتهم في جانب، وعدم فقدان الأمة في جانب آخر، ثم يسيروا في تحصيل رغباتهم لإيذاء الإمام ﷺ تدريجياً.

قال أبو علي بن همام: كُلُّ هَؤُلَاءِ الْمَدَّعِينَ إِنَّمَا يَكُونُ كَذِبُهُمْ أَوْلَا عَلَى الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَتَمُّهُمُ وَكَلَاؤُهُ، فَيَدْعُونَ الضَّعْفَةَ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى مَوَالِيهِمْ، ثُمَّ يَتَرَقَّى الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَى قَوْلِ الْحَلَاجِيَّةِ، كَمَا اِسْتَهَرَ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الشَّلْمَغَانِيِّ وَنُظَرَائِهِ عَلَيْهِمُ جَمِيعاً لِعَائِنُ اللَّهِ تَتَرَى^(١).

ونشير هنا إلى شخصيتين فترة سفارة ابن روح النوبختي كانتا قد ادعيتا السفارة عن الإمام المهدي ﷺ كذباً وزوراً، وهددا سفارة ابن روح، وكانتا أكثر خطراً من غيرهما، وهما:

أولاً: الحلاج:

الصوفي المشهور، اجتمع حوله تلاميذه (الحلاجية) عند عودته إلى بغداد عام (٢٩٦هـ)، واتهمه المعتزلة بالشعوذة، وأخرج من الطريقة بمقتضى توقيع من الإمامية، وفتوى من الظاهرية، وقبض عليه مرتين من قبل رجال الشرطة العباسيين، وأحضر أمام الوزير ابن عيسى، وعُذب في عام (٣٠١هـ)، وأمضى ثماني سنوات في سجن بغداد، وكانت رعاية (شغب) أم المقتدر والحاجب نصر

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٧ و ٣٩٨ / ح ٣٦٨).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢١٧
سبباً في أن عاداه الوزير حامد بن العباس وزير المقتدر، فأمر بقتله بعد محاكمة
دامت سبعة أشهر، بمقتضى فتوى أقرها القاضي المالكي أبو عمرو، وآل إليه ما
آل أمره^(١).

وقد عمل الشيخ المفيد رحمته الله كتاباً في الرد على الحلاجية، فقال: والحلاجية
ضرب من أصحاب التصوف، وهم أصحاب الإباحة، والقول بالحلول، وكان
الحلاج يتخصّص بإظهار التشيع، وإن كان ظاهر أمره التصوف، وهم قوم
ملاحدة وزنادقة يُموّهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم، ويدعون للحلاج
الأباطيل، ويجرون في ذلك مجرى المجوس في دعواهم لزرادشت المعجزات،
ومجربى النصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات والبيّنات، والمجوس والنصارى
أقرب إلى العمل بالعبادات منهم، وهم أبعد من الشرائع والعمل بها من
النصارى والمجوس^(٢).

عدّه الصدوق رحمته الله بأنه من الغلاة^(٣)، والطوسي رحمته الله بأنه من الكذابين
والملعونين بلسان الأئمة عليهم السلام لادّعائه البائية والرؤية للإمام المهدي عليه السلام^(٤)، وأمّا
المرتضى والطبرسي وابن طاوس والحلي وغيرهم فقد رأوا أنه من المذمومين^(٥).
وقد وافق أبناء العامة هذا الرأي، فقال ابن النديم: إنّه رجل محتال
مشعبد^(٦).

(١) روضات الجنّات (ج ٣ / ص ١٠٧ فصاعداً).

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية (ص ١٣٤ و ١٣٥).

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية (ص ١٠١).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤٠١).

(٥) روضات الجنّات (ج ٣ / ص ١٠٧ فصاعداً).

(٦) فهرست ابن النديم (ص ٢٤١).

ورأى الذهبي أنه المقتول على الزندقة^(١).
ذكر الصولي: أن الحلاج جاهل يتعاقل، وغبي يتبالغ، وخبيث مدع،
وراغب يتزهد، وتاجر يتعبد^(٢).
واختلفت آراء المفكرين الأوروبيين في الحلاج، فقد رأى مولر ودربلو أن
الحلاج كان نصرانياً في سريرة نفسه، وأتممه (ريسكه) بالكفر، ورأى (ثولوك)
أنه كان متناقضاً في أقواله، وعدّه (كريم) من القائلين بوحدة الكون، ورأى
(كازنسكي) أنه كان مريضاً بأعصابه، وعدّه (براون) دسّاساً ماهراً خطراً، وأنه
كان رائداً للغزالي، لأنه حاول أن يوفق في آرائه بين الدين والفلسفة اليونانية على
أساس من التجربة الصوفية.
وقد جعل الصوفية من الحلاج أعظم شهدائهم وإن كان قد أنكر تسرّهم^(٣).
ولم يبق لنا من مؤلفات الحلاج إلا كتاب (الطواسين)^(٤).
وقد تناولت ادّعاءاته أربعة أمور: المجاهدات، الكشف والحقيقة المدركة
من عالم الغيب، التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات، وألفاظ موهمة
الظاهر يُعبّر عنها بالشطحيات.
وله آراء أخرى كادّعاء الربوبية وقطيبة الأرض وعلوم الغيب، ورؤيته
للإمام المهدي ﷺ والنيابة والبايعة عنه ﷺ.
وذكر الخطيب البغدادي عنه أنه استغوى كثيراً من الناس والرؤساء،
وكان طمعه في الرفضة أقوى لدخوله من طريقهم^(٥).

(١) ميزان الاعتدال (ج ١ / ص ٥٤٨ / الرقم ٢٠٥٩).

(٢) البداية والنهاية (ج ١١ / ص ١٥٩)، نقلاً عن الصولي.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية العربية (ج ٨ / ص ١٩).

(٤) فهرست ابن النديم (ص ٢٤٢).

(٥) تاريخ بغداد (ج ٨ / ص ١٢٢).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢١٩

وكان يتقرب إلى الإمامية ليستميل قلوبهم ويحصل على منزلة عندهم، وكان يدعو الناس إلى نصرته مذهب أهل البيت عليهم السلام ويُسّرهم بالفرج، وخروج صاحب عليه السلام من أرض طالقان عمًا قريب^(١).

وقد حاول مراراً التقرب من إسماعيل بن علي النوبختي وعلي بن الحسين ابن بابويه القمي (الصدوق)، وكان يعتقد أنه بإمكانه إطلاع الخُدع والحيل والمخرقة عليهما.

روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن أبي نصر هبة الله، قال: لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَ الْحَلَّاجِ وَيُظْهِرَ فَضِيحَتَهُ وَيُخْرِجَهُ، وَقَعَ لَهُ أَنَّ أَبَا سَهْلٍ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَلِيِّ النَّوْبَخْتِيَّ مِمَّنْ تُجَوِّزُ عَلَيْهِ مَحْرَقَتَهُ وَتَتَمُّ عَلَيْهِ حِيلَتُهُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ، وَظَنَّ أَنَّ أَبَا سَهْلٍ كَعْيَرَهُ مِنَ الضَّعْفَاءِ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِفَرْطِ جَهْلِهِ، وَقَدَّرَ أَنْ يَسْتَجِرَّهُ إِلَيْهِ فَيَتَمَخَّرَقُ بِهِ وَيَتَسَوَّفَ بِانْقِيَادِهِ عَلَى غَيْرِهِ، فَيَسْتَتِبُّ لَهُ مَا قَصَدَ إِلَيْهِ مِنَ الْحِيلَةِ وَالْبَهْرَجَةِ عَلَى الضَّعْفَةِ، لِقَدْرِ أَبِي سَهْلٍ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ وَمَحَلِّهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ أَيْضاً عِنْدَهُمْ، وَيَقُولُ لَهُ فِي مُرَاسَلَتِهِ إِيَّاهُ: إِنِّي وَكَيْلُ صَاحِبِ الزَّمَانِ عليه السلام - وَبِهَذَا أَوْلَا كَانَ يَسْتَجِرُّ الْجُهَّالَ ثُمَّ يَعْلُو مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ - وَقَدْ أَمَرْتُ بِمُرَاسَلَتِكَ، وَإِظْهَارِ مَا تُرِيدُهُ مِنَ النَّصْرَةِ لَكَ لِتَقْوَى نَفْسِكَ وَلَا تَرْتَابَ بِهَذَا الْأَمْرِ.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو سَهْلٍ عليه السلام يَقُولُ لَهُ: إِنِّي أَسْأَلُكَ أَمْرًا يَسِيرًا يَخْفُ مِثْلُهُ عَلَيْكَ فِي جَنْبِ مَا ظَهَرَ عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، وَهُوَ أَنَّي رَجُلٌ أُحِبُّ الْجَوَارِي وَأَصْبُو إِلَيْهِمْ، وَبِي مِنْهُمْ عِدَّةٌ أَتَحْظَاهُنَّ، وَالشَّيْبُ يُبْعِدُنِي عَنْهُمْ، وَيُبْغِضُنِي إِلَيْهِمْ، وَأَحْتَاجُ أَنْ أَخْضِبَهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، وَأَتَحَمَّلُ مِنْهُ مَشَقَّةً شَدِيدَةً لِأَسْتُرَ عَنْهُمْ ذَلِكَ، وَإِلَّا انْكَشَفَ أَمْرِي عِنْدَهُمْ فَصَارَ الْقُرْبُ بَعْدًا وَالْوِصَالُ هَجْرًا، وَأُرِيدُ أَنْ تُغْنِيَنِي عَنِ الْخِضَابِ وَتَكْفِيَنِي مَوْنَتَهُ وَتَجْعَلَ لِحْيَتِي سَوْدَاءً، فَإِنِّي

(١) روضات الجنات (ج ٣ / ص ١١٠)، عن مجالس المؤمنين (ج ٢ / ص ٤٥٣).

٢٢٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

طَوَّعُ يَدَيْكَ وَصَائِرُ إِلَيْكَ وَقَائِلُ بِقَوْلِكَ وَدَاعٍ إِلَى مَذْهَبِكَ مَعَ مَا لِي فِي ذَلِكَ مِنْ
الْبَصِيرَةِ وَلَكَ مِنَ الْمَعُونَةِ.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْحَلَّاجُ مِنْ قَوْلِهِ وَجَوَابِهِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ فِي مُرَاسَلَتِهِ
وَجَهَلَ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ بِمَذْهَبِهِ وَأَمْسَكَ عَنْهُ وَلَمْ يَرُدَّ إِلَيْهِ جَوَابًا، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهِ
رَسُولًا. وَصَيَّرَهُ أَبُو سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُحْدُوثَةً وَصُحْحَكَةً وَيَطْنِزُ - يسخر - بِهِ عِنْدَ كُلِّ
أَحَدٍ، وَشَهَّرَ أَمْرَهُ عِنْدَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ سَبَبًا لِكَشْفِ أَمْرِهِ
وَتَنْفِيرِ الْجَمَاعَةِ عَنْهُ^(١).

وفعل كذلك مع الصدوق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمراسلته له قائلاً: أَنَا رَسُولُ الْإِمَامِ
وَوَكِيلُهُ، فَخَرَفَهَا وَقَالَ: مَا أَفْرَعَكَ لِلْجَهَالَاتِ، فَضَحِكُوا مِنْهُ وَهَزَأُوا بِهِ...،
وأمر الصدوق غلامه بضربه برجله وبقفاه، فخرج عدوُّ الله ورسوله، ثم قال:
أَتَدْعِي الْمُعْجَزَاتِ؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَأُخْرِجَ بِقَفَاهُ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَهَا بِقَمٍّ^(٢).

لقد أغضبت تصرفات الحلاج وأفعاله ابن روح النوبختي^(٣)، فقال فيه:
هَذَا كُفْرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى وَإِلْحَادٌ قَدْ أَحْكَمَهُ هَذَا الرَّجُلُ الْمَلْعُونُ - أي الحلاج - فِي
قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لِيَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى أَنْ يَقُولَ لَهُمْ يَا اللَّهُ تَعَالَى اتَّخَذَ بِهِ وَحَلَّ فِيهِ
كَمَا يَقُولُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤).

وخرج من الإمام المهدي ﷺ توقيع يلعن فيه جماعة ممن ادَّعى الباطنية

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٠١ و ٤٠٢ / ح ٣٧٦)؛ وفي تاريخ بغداد (ج ٨ / ص ١٢٢) بعد ذكره ما
أراده أبو سهل إسماعيل بن عليٍّ من وصل شعره وردَّ لحيته سوداء قال: (أمنت بما يدعوني إليه
كائنًا ما كان، إن شاء قلت إنَّه باب الإمام، وإن شاء: الإمام...) إلخ.

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٢ و ٤٠٣ / ح ٣٧٧).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية العربية (ج ١٤ / ص ٧٧).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٥ / ح ٣٧٨)؛ هذا والحديث في ابن أبي العزاقر الشلمغاني، وفي آخره:
(كما يقول النصاري في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٢١
والرؤية له كذباً وزوراً، كالنميري والهلالي والبلالي والحلاج وغيرهم^(١)، وقد
اتهم فيه الحلاج بالزندقة والخروج من الدين^(٢)، وإدخاله الأباطيل
ودعوته للقرامطة^(٣)، وسُعي به في وزارة علي بن عيسى الأولى^(٤).
وقد استمال جماعة من الوزراء وطبقات وحواشي السلطات وأمراء
الأمصار وملوك العراق والجزيرة وما والاها، فأمر المقتدر بتسليمه إلى حامد بن
العبّاس، وجرى له معه خطوب^(٥).

ومكث الحلاج محبوساً في دار الخلافة ثمانية أعوام موسّعاً عليه^(٦)، وحاكمه
ابن العبّاس قائلاً له: أَلست تعلم أنّي قبضت عليك بدور الراسبي وأحضرتك
واسط فذكرت في دفعة أنّك المهدي^(٧)؟! ثم أُخرج إلى رحبة المسجد وأمر الجلاد
بضربه بالسوط، فضرب تمام الألف، ثم قُطعت يداه ورجلاه وحُز رأسه وأُحرقت
جثته^(٨)، وبقي أربعة آلاف من الحلاجية في العراق ينتظرونه^(٩)، إلى عام (٤٤٩ هـ)،
ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقّعون ظهوره^(١٠).

(١) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٨٩ و ٢٩٠).

(٢) راجع: مجالس المؤمنين (ج ٢ / ص ٤٤٨).

(٣) راجع: تاريخ بغداد (ج ٨ / ص ١١٢ / الرقم ٤٢٣٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ٤١٠).

(٥) الحضارة الإسلامية (ج ٢ / ص ٤٣).

(٦) راجع: تاريخ بغداد (ج ٨ / ص ١١٢ / الرقم ٤٢٣٢).

(٧) الحضارة الإسلامية (ج ٢ / ص ٤٣).

(٨) تاريخ بغداد (ج ٨ / ص ١٣١).

(٩) تاريخ بغداد (ج ٨ / ص ١٣٤ و ١٣٥).

(١٠) كشف المحجوب (ص ٢٦٠)، الحضارة الإسلامية (ج ٢ / ص ٤٣).

(١) رسالة الغفران للجمعية الآسيوية.

ثانياً: الشلمغانى:

وُلِدَ في شلمغان، وهي من قرى واسط بالعراق^(١)، وانتقل إلى بغداد، فكان أحد كتّابها وأحد مؤلّفي علماء الشيعة^(٢)، والمتقدّمين في الأصحاب^(٣). نصبه ابن روح وكيلاً عنه، بعد أن فرغ من دفن أبي جعفر العمري عليه السلام^(٤)، فقصده الناس في حوائجهم ومهمّاتهم^(٥)، خرجت على يديه توقيعات الإمام المهدي من قِبَل ابن روح النوبختي^(٦)، لما كان شيخاً مستقيماً العقيدة والسلوك والصلاح^(٧)، ثمّ حمّله الحسد لأبي القاسم بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الردية^(٨)، وظهرت منه مقالات منكّرة^(٩)، وأصبح غالباً^(١٠)، واعتقد بالتناسخ وحلول الألوهية فيه^(١١).

فظهر توقيع من الإمام المهدي ﷺ بلعنه والبراءة منه ومَنّ تولّاه، وشاع خبره، وبلغ الخليفة الراضي بالله، فأمر بالقبض عليه، وقتله واستراحت الشيعة والأمة الإسلامية منه^(١٢).

(١) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠).

(٢) التنبيه والإشراف (ص ٣٤٣).

(٣) رجال النجاشي (ص ٣٧٨ / الرقم ١٠٢٩).

(٤) آل نوبخت (ص ٢٥٨).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٣ / ح ٢٥٦).

(٦) المصدر السابق.

(٧) رجال النجاشي (ص ٣٧٨ / الرقم ١٠٢٩)، الفهرست (ص ٢٢٤ / الرقم ٦٢٧ / ٤٢).

(٨) رجال النجاشي (ص ٣٧٨ / الرقم ١٠٢٩).

(٩) الفهرست (ص ٢٢٤ / الرقم ٦٢٧ / ٤٢).

(١٠) رجال الطوسي (ص ٤٤٨ / الرقم ٦٣٦٤ / ١١٤).

(١١) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠).

(١٢) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٦ / ح ٣٧٨).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٢٣

وكان الشلمغاني يُلقَّب نفسه بالحلاج أيضاً^(١)، وكان يتعاطى الكيمياء^(٢)، وقد ذُكرت عقائده في أربعة مصادر مهمّة من مصادر التاريخ الإسلامي^(٣). وقد كان للشلمغاني تأليفات كثيرة فترة استقامته وبعضها فترة انحرافه، وقد ذكرها ابن النديم والنجاشي والطوسي وغيرهم^(٤)، ونشير إلى جملة منها لارتباطها بسفارة ابن روح النوبختي:
أولاً: كتاب التكليف:

وقد ألفه الشلمغاني في حال استقامته، فلمّا حصلت نسخة منه بيد ابن روح النوبختي قال لأصحابه: أُطْلِبُوهُ إِلَيَّ لِأَنْظُرَهُ، فَجَاءُوا بِهِ، فَقَرَأَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، فَقَالَ: مَا فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ رَوَى عَنِ الْأَيْمَةِ إِلَّا مَوْضِعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، فَإِنَّهُ كَذَبَ عَلَيْهِمْ فِي رَوَايَتِهَا لَعَنَهُ اللَّهُ^(٥).

قال العلامة الحلي عليه السلام: كتاب التكليف رواه المفيد عليه السلام إلا حديثاً منه في باب الشهادات أنه يجوز للرجل أن يشهد لأخيه إذا كان له شاهد واحد من غير علم^(٦). ولكن الصحيح هو ما رواه الطوسي عليه السلام بإسناده عن محمد بن أحمد بن داود والحسين بن علي بن بابويه أنّهما قالاً: مِمَّا أَخْطَأَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ - الشلمغاني - فِي الْمَذْهَبِ فِي بَابِ الشَّهَادَةِ أَنَّهُ رَوَى عَنِ الْعَالِمِ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ لِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ

(١) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ١٨٦)، معجم الأدباء (ج ١ / ص ٢٣٥).

(٢) معجم الأدباء (ج ١ / ص ٢٣٦).

(٣) راجع: تاريخ الموصل (ج ٢ / ص ٢٤١)، والكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠)، ووفيات الأعيان (ج ٢ / ص ١٥٥ و ١٥٦)، وتاريخ أبي الفداء (ج ٢ / ص ٨٠)، وغيرها.

(٤) فهرست ابن النديم (ص ٤٢٥)، رجال النجاشي (ص ٣٧٨ و ٣٧٩ / الرقم ١٠٢٩)، الفهرست (ص ٢٢٤ / الرقم ٦٢٧ / ٤٢).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٨ و ٤٠٩ / ح ٣٨٢).

(٦) خلاصة الأقوال (ص ٣٩٩ / الرقم ٣٠).

عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَدَفَعَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْبَيِّنَةِ عَلَيْهِ إِلَّا شَاهِدٌ وَاحِدٌ، وَكَانَ الشَّاهِدُ ثِقَةً رَجَعَتْ إِلَى الشَّاهِدِ فَسَأَلَتْهُ عَنْ شَهَادَتِهِ، فَإِذَا أَقَامَهَا عِنْدَكَ شَهِدْتَ مَعَهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ عَلَى مِثْلِ مَا يَشْهَدُهُ عِنْدَهُ، لِئَلَّا يُتَوَى - أَي يَهْلِك - حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ»، وَاللَّفْظُ لِابْنِ بَابَوَيْهِ، قَالَ: هَذَا كَذِبٌ مِنْهُ، لَسْنَا نَعْرِفُ ذَلِكَ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: كَذَبَ فِيهِ^(١).

وروى الطوسي عليه السلام بإسناده عن محمد بن الفضل بن تمام، قال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الزَّكُوزَكِيِّ عليه السلام وَقَدْ ذَكَرْنَا كِتَابَ التَّكْلِيفِ وَكَانَ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ غَالٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا كَتَبْنَا الْحَدِيثَ، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: وَ أَيْشٍ كَانَ لِابْنِ أَبِي الْعَزَاقِرِ - السُّلَمِغَانِيِّ - فِي كِتَابِ التَّكْلِيفِ؟! إِنَّمَا كَانَ يُصْلِحُ الْبَابَ وَيُدْخِلُهُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيِّ بْنِ رَوْحٍ عليه السلام فَيَعْرِضُهُ عَلَيْهِ وَيُحْكِكُهُ، فَإِذَا صَحَّ الْبَابُ خَرَجَ فَتَقَلَّه، وَأَمَرْنَا بِنَسْخِهِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَتَبْتُهُ فِي الْإِدْرَاجِ بِخَطِّي بَعْدَادًا. قَالَ ابْنُ تَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ: تَفَضَّلْ يَا سَيِّدِي فَادْفَعَهُ إِلَيَّ حَتَّى أَكْتُبَهُ مِنْ خَطِّكَ، فَقَالَ لِي: قَدْ خَرَجَ عَنِّي يَدِي، فَقَالَ ابْنُ تَمَّامٍ: فَخَرَجْتُ وَأَخَذْتُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَتَبْتُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ^(٢).

ثانياً: كتاب التأديب^(٣).

ثالثاً: رسالة ابن همام^(١).

رابعاً: كتاب الأوصياء:

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٩ / ح ٣٨٣).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٩ / ح ٣٥٤).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٠ / ح ٣٥٧).

(١) وهو محمد بن أبي بكر الإسكافي من كبار شيوخ الإمامية، وأجداده من الزرادشتية الفرس، له كتاب في تاريخ الأئمة يُسمَّى الأنوار، وُلِدَ سنة (٢٥٨هـ) وتُوفِّي سنة (٣٢٦هـ)، وكان أوَّل من أسلم من أهله وهداه الله إلى الحقِّ. (رجال النجاشي: ص ٣٧٩ و ٣٨٠ / الرقم ١٠٣٢).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٢٥

وقد جاء فيه ولادة القائم عليه السلام، وكيفية زيارته للإمامين العسكريين عليهما السلام، وما رآه من معجز، وقد ذكره الطوسي عليه السلام في موضعين، فقد روى بإسناده عن محمد بن عليّ السلمغاني في كتاب (الأوصياء)، قال: حَدَّثَنِي حَمَزَةُ بْنُ نَصْرِ غُلَامٌ أَبِي الْحَسَنِ - الإمام الهادي - عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا وُلِدَ السَّيِّدُ - أي الإمام المهدي عليه السلام - تَبَاشَرَ أَهْلُ الدَّارِ بِذَلِكَ، فَلَمَّا نَشَأَ خَرَجَ إِلَيَّ الْأَمْرُ أَنْ أَبْتَعَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ اللَّحْمِ قَصَبَ مَخٍّ، وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا لِمَوْلَانَا الصَّغِيرِ عليه السلام (١).

وروى بإسناده عن السلمغاني في كتاب (الأوصياء) أنه قال: قال أبو جعفر المروزي: خَرَجَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ وَجَمَاعَةٌ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَرَأَوْا أَيَّامَ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام فِي الْحَيَاةِ وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طِينِ، فَكَتَبَ: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ يَسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ إِلَى الْقَبْرِ (٢)، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ: لَا تَكْتُبْ إِسْمِي، فَإِنِّي لَا أَسْتَأْذِنُ، فَلَمْ يَكْتُبْ إِسْمَهُ، فَخَرَجَ إِلَى جَعْفَرٍ: «أَدْخُلْ أَنْتَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَأْذِنْ» (٣).

خامساً: كتاب الغيبة:

قال الطوسي عليه السلام: ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْعَزَاقِرِ الشَّلْمَغَانِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِ (الْغَيْبَةِ) الَّذِي صَنَعَهُ: وَأَمَّا مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ الْمَذْكُورِ - زَادَ اللَّهُ فِي تَوْفِيْقِهِ - فَلَا مَدْخَلَ لِي فِي ذَلِكَ إِلَّا لَمَنْ أَدْخَلْتُهُ فِيهِ، لِأَنَّ الْجَنَائَةَ عَلَيَّ فَإِنِّي وَلِيَّهَا. وَقَالَ فِي فَصْلِ آخَرَ: وَمَنْ عَظُمَتْ مِنْتُهُ عَلَيْهِ تَضَاعَفَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ وَكَرُمَهُ الصَّدْقُ فِيمَا سَاءَهُ وَسَرَّهُ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ إِلَّا الصَّدْقُ عَنْ أَمْرِهِ، مَعَ عِظَمِ جِنَائَتِهِ، وَهَذَا الرَّجُلُ مَنْصُوبٌ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ لَا يَسَعُ الْعِصَابَةَ الْعُدُولُ عَنْهُ فِيهِ، وَحُكْمُ الْإِسْلَامِ مَعَ ذَلِكَ جَارٍ عَلَيْهِ كَجَرِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَذَكَرَهُ (٤).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٤٥ / ح ٢١٣).

(٢) المراد بالقبر هي المقبرة المطهرة للإمامين العسكريين عليهما السلام. (من هامش المصدر).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٤٣ / ح ٢٩٣).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٩١ / ح ٣٥٩ و ٣٦٠).

ودخلت كُتُبُ الشلمغاني البيوت لقربه من ابن روح حال استقامته، فسئِلَ ابن روح عَنْ كُتُبِهِ بَعْدَ مَا دُمَّ وَخَرَجَتْ فِيهِ اللَّعْنَةُ، فَقِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ نَعْمَلُ بِكُتُبِهِ وَبَيُوتِنَا مِنْهَا مِلَاءً؟! فَقَالَ ابن روح: أَقُولُ فِيهَا مَا قَالَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ - العسكري - عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ كُتُبِ بَنِي فَضَّالٍ^(١)، فَقَالُوا: كَيْفَ نَعْمَلُ بِكُتُبِهِمْ وَبَيُوتِنَا مِنْهَا مِلَاءً؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خُذُوا بِهَا رَوْوًا، وَذَرُّوا مَا رَأَوْا»^(٢)، فَإِنَّ الانحراف في العقيدة لا ينافي إمكان صحّة الرواية حال الاستقامة.

لقد كان الشلمغاني وجيهاً عند الناس^(٣)، ونال احترام بني بسطام^(٤)، الذين سكنوا بغداد قديماً، فصار منهم كُتَّاباً وَعَمَّالاً في الديوان العباسي، ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام وأولاده أبو القاسم عليّ وأبو الحسين بن محمد الذين ربطتهم صلة القرابة بآل الفرات، فلقد كان محمد هذا صهر حامد ابن العباس وزير المقتدر، وكانت هذه الطائفة من المدافعين عن مذهب أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ والإمامية، ولكن بعد إعلان الشلمغاني عن عقيدته بقوا على اعتقادهم السابق فيه وتابعوه في أفعاله، ممّا كان سبباً في بثّ المقتدر جواسيسه حول بيوتهم ليرقبوا تحركاتهم ويقتنصوا أخبارهم، وحصل الشلمغاني على احترام آل الفرات الذين كانوا بداية أمرهم على مذهب الإمامية، وهم رهط الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الذي كان من وزراء بني العباس،

(١) بنو فضال هم ثلاثة أولاد للحسن بن فضال الكوفي المتوفى عام (٢٢٤هـ)، وأولاده الثلاثة هم من الفقهاء الفطحيين، وهم: أحمد المتوفى عام (٢٦٠هـ)، ومحمد، وعليّ البالغة كُتُبُهُ الثلاثون كتاباً، وله كتاب في تأييد مذهبه. راجع: اختيار معرفة الرجال (ج ٢ / ص ٦٣٥ / ح ٦٣٩)، ورجال النجاشي (ص ٣٤ - ٣٦ / الرقم ٧٢، وص ٢٥٧ - ٢٥٩ / الرقم ٦٧٦).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٩ و ٣٩٠ / ح ٣٥٥).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٣ / ح ٣٧٨).

(٤) المصدر السابق.

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٢٧

وهو الذي صحَّح الخطبة الشقشقيةَ لأمير المؤمنين عليه السلام، ويحتمل أنهم نزلوا بشطَّ الفرات، وكان منهم أبو الحسن بن الفرات الذي وزر ثلاث مرَّات للمقتدر كان آخرها عام (٣١١هـ)^(١)، وكان ولده المحسن هو الغالب على الأمور في هذه الوزارة^(٢) حتَّى عُزِلَ عام (٣١٢هـ)، واختفى ولده المحسن، وصادر ابن الفرات على جملة من المال مبلغها ألف ألف دينار^(٣). وابن الفرات هذا فرع من أب وأخ منحرفين، كانا قد اتبعا محمَّد بن نصير النميري الذي ادَّعى السفارة كذباً عن الإمام المهدي عليه السلام فترة سفارة أبي جعفر العمري، وقد تقدَّم ذلك.

وكان المحسن بن عليٍّ وقحاً سيِّئ الأدب ظالماً ذا قسوة شديدة، وكان الناس يُسمُّونه: الخبيث بن الطيب^(٤)، وروي له شتاع في التعذيب والمصادرة^(٥)، وكان الشلمغاني من أقربائه، وله معه رابطة النسب، ومن المقرَّبين إليه^(٦).
وأما ميزات تلك الفترة:

أولاً: ما رواه الطوسي عليه السلام بإسناده عن أبي عليٍّ محمَّد بن همام أنه قال: إنَّ محمَّد بن عليٍّ الشلمغاني لم يكن قطُّ باباً إلى أبي القاسم، ولا طريقاً له، ولا نصبه أبو القاسم لشيءٍ من ذلك على وجه ولا سبب، ومن قال بذلك فقد أبطل، وإنَّما كان فقيهاً من فقهاءنا، وخلط وظهر عنه ما ظهر، وانتشر الكفر والاحقاد عنه^(٧).

(١) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٣٩ و ١٤٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مروج الذهب (ج ٤ / ص ٢١٤).

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٤٢).

(٥) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ١٤١).

(٦) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠).

(٧) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٨ / ح ٣٨١).

٢٢٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ولا تنافي هذه الرواية ما ذكره أبو غالب الزراري من أن الشيخ الحسين بن روح نصب الشلمغاني وكيلاً عنه حال استقامته^(١)، خاصة وأن ابن همام نفسه اعترف بأن الشلمغاني كان وكيلاً صالحاً لابن روح حال استتاره عن الخليفة المقتدر^(٢).

ثانياً: كان تنصيب الشلمغاني وكيلاً لابن روح بعد وفاة العمري ودفنه^(٣)، وفي بعض النصوص أنه كان وقت استتاره واختفائه عن الوسط الإسلامي^(٤).

وقد ذكرنا أنه اعتقل عام (٣١٢هـ)، فيكون تنصيبه للشلمغاني إذن في بداية وزارة حامد بن العباس أو آخرها حيث كان مستقيم السلوك والعقيدة في تلك الفترة^(٥)، ثم خرج عن المذهب وكذب على ابن روح، وحكى عنه لبني بسطام وآل الفرات كل كذب وبلاء وكفر، وأسند إلى ابن روح النوبختي، فكانوا يقبلونه منه ويأخذونه عنه^(٦).

وعندما لعنه ابن روح قال الشلمغاني في تأويل كلامه: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ بَاطِنًا عَظِيمًا، وَهُوَ أَنَّ اللَّعْنَةَ الْإِبْعَادُ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: «لَعْنَةُ اللَّهِ» أَي بَاعَدَهُ اللَّهُ عَنِ الْعَذَابِ وَالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ: وَالْآنَ قَدْ عَرَفْتُ مَنْزِلَتِي، وَمَرَّغَ خَدَّيْهِ عَلَى التُّرَابِ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْكِتْمَانِ هَذَا الْأَمْرِ^(٧).

وَادَّعَى الشلمغاني أَنَّ رُوحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انتقلت إلى العمري أبي جعفر،

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٣ و ٣٢٤ / ح ٢٧٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٨ / ح ٣٨١).

(٣) آل نوبخت (ص ٢٥٨).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٢ و ٣٠٣ / ح ٢٥٦).

(٥) المصدر السابق.

(٦) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٣ / ح ٣٧٨).

(٧) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٣ - ٤٠٥ / ح ٣٧٨).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٢٩

وروح أمير المؤمنين عليه السلام انتقلت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، وروح مولانا فاطمة عليها السلام انتقلت إلى ابنة أبي جعفر العمري^(١).

وعدا الشلمغاني إلى قول الحلاج لعنه الله^(٢)، واستهوى قلوب الضعفاء، واستزلاً خلقاً كثيراً من المسلمين وأشرك طوائف العمهين^(٣).

وكان يقول لبني بسطام: إِنِّي أَدَعْتُ السِّرَّ وَقَدْ أَخَذَ عَلَيَّ الْكِتْمَانُ فَعُوقِبْتُ بِالْإِبْعَادِ بَعْدَ الْإِخْتِصَاصِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ عَظِيمٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مُؤْمِنٌ مُتَّحِنٌ، فَيُؤَكِّدُ فِي نَفْسِهِمْ عِظَمَ الْأَمْرِ وَجَلَالَتَهُ^(٤).

وكانت له حكاية مع أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي مشابهة لحكاية الحلاج وافتضاحه، حيث راسله الشلمغاني يدعوه فيها إلى الفتنة، ويبدل له المعجز وإظهار العجب - كما حكاه ابن النديم -، قال: وكان بمقدم رأس أبي سهل جلع يشبه القرع، فقال للرسول: أنا ما أدري المعجز أي شيء هو! يُنبت صاحبك - الشلمغاني - بمقدم رأسي الشعر حتى أؤمن به! فما عاد إليه الرسول^(٥).

وحذر ابن روح النوبختي كل أصحابه من الشلمغاني، وكذا في بني نوبخت، فلم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه ومَن يتولاه ورضي بقوله أو كلمه فضلاً عن موالاته^(٦).

وخرج توقيع من ابن روح النوبختي وهو في السجن عام (٣١٢هـ) بلعن الشلمغاني، وقد رواه الطوسي عليه السلام بأسانيد مختلفة، قال: خَرَجَ التَّوْقِيعُ مِنْ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم الأدباء (ج ١ / ص ٢٣٥ / ترجمة ابن أبي عون).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٣ و ٤٠٤ / ح ٣٧٨).

(٥) تأسيس الشيعة (ص ٣٦٨)، عن فهرست ابن النديم (ص ٢٢٥).

(٦) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٥ / ح ٣٧٨).

٢٣٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحٍ فِي السَّلْمَغَانِيِّ، وَأَنْفَذَ نُسْخَتَهُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بْنِ هَمَّامٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِينَ^(١).

وقال محمد بن الحسن الصيمري: أَنْفَذَ الشَّيْخُ الْحُسَيْنُ بْنُ رُوحٍ عليه السلام مِنْ حَبْسِهِ فِي دَارِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى شَيْخِنَا أَبِي عَلِيٍّ بْنِ هَمَّامٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِينَ، وَأَمْلَاهُ أَبُو عَلِيٍّ عَلَيَّ وَعَرَّفَنِي أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عليه السلام رَاجَعَ فِي تَرْكِ إِظْهَارِهِ، فَإِنَّهُ فِي يَدِ الْقَوْمِ وَحَبْسِهِمْ، فَأَمَرَ بِإِظْهَارِهِ وَأَنْ لَا يُخْشَى وَيَأْمَنَ، فَتَخَلَّصَ وَخَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ^(٢).

ويظهر أن التوقيع كان قد شاع وانتشر قبل خروج ابن روح من السجن بقليل، أي ما يقرب من عام (٣١٧هـ)، وإليك نصه:

روى الطوسي والطبرسي عليهما السلام بإسنادهما: «بسم الله الرحمن الرحيم، اعْرِفْ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ وَعَرَّفَكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَخَتَمَ بِهِ عَمَلَكَ - مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ وَتَسْكُنُ إِلَى نَيْتِهِ مِنْ إِخْوَانِنَا - أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُمْ - بِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفَ بِالسَّلْمَغَانِيِّ - عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ النِّقْمَةَ وَلَا أَمَهْلَهُ - قَدْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَفَارَقَهُ وَالْحَدَّ فِي دِينِ اللَّهِ وَادَّعَى مَا كَفَرَ مَعَهُ بِالْحَالِقِ (جَلَّ وَتَعَالَى) وَافْتَرَى كَذِبًا وَزُورًا وَقَالَ هُبْتَانًا وَإِنَّمَا عَظِيمًا، كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ وَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا وَخَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا، وَإِنَّا بَرْتْنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِمْ) مِنْهُ، وَلَعْنَاهُ (عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ تَتْرَى) فِي الظَّاهِرِ مِنَّا وَالْبَاطِنِ، فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَعَلَى مَنْ شَايَعَهُ وَتَابَعَهُ وَبَلَّغَهُ هَذَا الْقَوْلَ مِنَّا فَأَقَامَ عَلَى تَوَلِيهِ بَعْدَهُ. وَأَعْلَمُهُمْ تَوَلَّاكُمْ اللَّهُ أَنَّنَا فِي التَّوَقُّيِ وَالْمُحَادَرَةِ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنْ نُظَرَائِهِ مِنَ الشَّرِيعِيِّ وَالنُّمَيْرِيِّ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٠ / ح ٣٨٤).

(٢) المصدر السابق.

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٣١

وَالْهَلَالِيَّ وَالْبَلَالِيَّ وَغَيْرِهِمْ، وَعَادَةُ اللَّهِ (جَلَّ ثَنَاؤُهُ) مَعَ ذَلِكَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عِنْدَنَا جَمِيلَةٌ، وَبِهِ نَيْقٌ، وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، وَهُوَ حَسْبُنَا فِي كُلِّ أُمُورِنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(١).

وقد ترك هذا التوقيع آثاراً بليغة في الحد من نشاط الشلمغاني ولعنه في المحافل العلمية والسياسية والاجتماعية^(٢).

ولم يأبه الشلمغاني بهذا القرار، وكان يعلن بين الآونة والأخرى عن رفضه لهذا القرار واستنكاره، وصبَّ جام غضبه على أنصار الإمام عليه السلام، فكتب كتاب (الغيبة)، وادَّعى فيه منصباً لم يصنعه الله فيه، وافتري الكثير على الإمام المهدي عليه السلام^(٣).

قال الشلمغاني: مَا دَخَلْنَا مَعَ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رَوْحٍ - النوبختي - فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ فِيمَا دَخَلْنَا فِيهِ، لَقَدْ كُنَّا نَتَهَارَشُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ كَمَا تَتَهَارَشُ الْكِلَابُ عَلَى الْجَيْفِ. لَكِنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَأَقَامَتْ عَلَى لَعْنِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ»^(٤).

ثم أظهر الشلمغاني أن الأجوبة التي كانت تخرج من الإمام المهدي عليه السلام هي له، ولا دخل للإمام عليه السلام فيها، فخرج توقيع من الإمام المهدي عليه السلام لأهل قم فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَدْ وَقَفْنَا عَلَى هَذِهِ الرَّقْعَةِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ، فَجَمِيعُهُ جَوَابُنَا [عَنِ الْمَسَائِلِ] وَلَا مَدْخَلَ لِلْمَخْذُولِ الضَّالِّ الْمُضِلِّ الْمَعْرُوفِ بِالْعَزَاقِرِيِّ (لَعْنَةُ اللَّهِ) فِي حَرْفٍ مِنْهُ، وَقَدْ كَانَتْ أَشْيَاءُ خَرَجَتْ إِلَيْكُمْ عَلَى يَدَيِ أَحْمَدَ بْنِ بِلَالٍ وَغَيْرِهِ مِنْ نُظَرَائِهِ، وَكَانَ مِنْ إِرْتِدَادِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ مِثْلُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا (عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ)»^(١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤١٠ و ٤١١ / ح ٣٨٤)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٠).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٤١١ و ٤١٢ / ح ٣٨٤).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٩١).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٩١ و ٣٩٢ / ح ٣٦١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٣ و ٣٧٤ / ح ٣٤٥).

وأراد الراوي أن يتأكد أن ما خرج من هؤلاء قبل انحرافهم صحيح أم لا؟ قال الراوي: فَاسْتَبْتُ قَدِيمًا فِي ذَلِكَ، فَخَرَجَ الْجَوَابُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلَا مَنْ اسْتَبَّتْ فَإِنَّهُ لَا ضَرَرَ فِي خُرُوجِ مَا خَرَجَ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ»^(١).

وقد كانت الضربة التي وجهها ابن روح للشلمغاني شديدة كانت قد أنهت بحياته^(٢)، وافتضح على أثرها في آخر وزارة حامد بن العباس حيث أظهر قبائح أفعاله وكفره وإلحاده، فنذته الأمة وطرده من بينها، فلاذ بالبلاط العباسي بعد عزل الوزير حامد بن العباس ومجيء أبي الحسن بن الفرات، وللمرة الثالثة عام (٣١١هـ) إلى الوزارة، فارتبط مع ابنه المحسن وقربه إليه^(٣)، ونصبه في بعض أعمال الديوان^(٤)، ليخفف عنه وطأة المعارضين، ويخفي الأموال التي سرقها من الأمة، وحين اضطرب أمر المحسن وأبيه قام باضطهاد المنكوبين، فاستخلف الشلمغاني بالحضرة لجماعة من العمال، وكان للشلمغاني صاحب يعرفه بملازمته، مقدم على الدماء، من أهل البصرة، فسلم إليه جماعة، فذبحهم كما يُذبح الغنم، ثم استخرج أموال جماعة كانوا مستترين، وصادر القسم الآخر^(٥).

وبعد أن قُتِلَ المحسن وأبوه، حلَّ محلَّهما في الوزارة أبو القاسم الخاقاني، فهرب الشلمغاني إلى الموصل، وصار في ضيافة الأمير ناصر الدولة الحمداني، روى النجاشي رحمته الله أن الشلمغاني أخبر بقائمة كُتِبَ عند استتاره بمعلثايا^(٦).

(١) المصدر السابق.

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ١٨٥).

(٥) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ١٨٥ و ١٨٦).

(٦) رجال النجاشي (ص ٣٧٩ / الرقم ١٠٢٩)؛ وقال الحموي في معجم البلدان (ج ٥ /

ص ١٥٨): (معلثايا بليد له ذكر في الأخبار المتأخرة قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٣٣

وبعد بقائه مدّة من الزمن هناك، رجع إلى بغداد واستتر فيها، وأظهر أنّه يدّعي لنفسه الربوبية^(١)!

فتابعه الكثيرون من وزراء وشعراء^(٢)، ولم يكن الإمساك بالشلمغاني يسيراً، فقد استمرت حملات المطاردة والتفتيش عليه من قبل عليّ بن مقلّة وزير المقتدر عام (٣٢٢هـ)، وكان الشلمغاني قد أحسّ بالخطر، ورأى كثرة أنصاره، فوجّه بخطابه إلى ابن روح يدعو للمباهلة، وقال: أَنَا صَاحِبُ الرَّجُلِ - يقصد الإمام المهدي عليه السلام - وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ، وَقَدْ أَظْهَرْتُهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، فَبَاهِلْنِي! فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ ابْنُ رُوحٍ جَوَابًا شَفْوِيًّا: أَيُّنَا تَقَدَّمَ صَاحِبُهُ فَهُوَ الْمَخْصُومُ، فَتَقَدَّمَ الْعَزَاقِرِيُّ - الشلمغاني -^(٣).

وأقيم مجلس المباهلة في دار الوزير ابن مقلّة، وحضره الخاصّة والعامّة، فلمّا دخل الشلمغاني المجلس خفية توجهت إليه الأعناق ليسمعوا ما يقوله، وفوجئ الشلمغاني بتحشّد الشيعة الإمامية في هذا المجلس، وكلّ منهم يحكي عن ابن روح لعنه والبراءة منه، فلم يرَ غير أن يقول كلمته الأخيرة ويخرج هارباً بسرعة قائلاً: أجمعوا بيني وبينه - يقصد ابن روح - حتّى آخذ بيده ويأخذ بيدي، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه، وإلا فجميع ما قاله في حقّ^(١).

فوصل هذا الخبر إلى أسمع الخليفة الراضي بسرعة عام (٣٢٢هـ)، فأمر جنوده بإلقاء القبض عليه وكبس داره، فألقي القبض عليه وفتّش داره تفتيشاً

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢٣٨)، العبر في خبر من غير (ج ٢ / ص ١٩٦).

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩٠).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٧ / ح ٢٥٨).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٦ / ح ٣٧٨).

٢٣٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

دقيقاً، فوجد فيه عدّة رسائل من أتباعه وخطابات مجمّلة له بأنّه الله سبحانه^(١)! وعرضت هذه الرسائل كلّها على الخليفة الراضي بالله، فأقرّ بها الشلمغاني كلّها، واعترف بأنّها كانت من أتباعه، فثبت صحّتها، فأحضر الخليفة اثنين من أتباعه، فأمرهما بصفع الشلمغاني، فصفعه أحدهما^(٢)، وأمّا الثاني فخاطبه: مولاي الكبير! ثمّ مدّ يده إلى لحية الشلمغاني على سبيل التوقير والتكريم وقال: مولاي مولاي، وإلهي وسيدي ورازقي^(٣)!

فقال الراضي بالله مخاطباً الشلمغاني: قد زعمت أنّك لا تدّعي الألوهيّة، فما هذا؟! فقال: وما عليّ من قول ابن أبي عون؟ والله يعلم أنّي ما قلت له: إنّني إله قطّ^(٤).

ثمّ جرت عدّة لقاءات بينه وبين الفقهاء والقضاة^(٥)، فأصدروا حكماً بإراقة دمه وأتباعه، فجلّد أمام الناس ثمّ قُتل وأُحرق جسده أمام المارّة والنظارة. وقد روى الطوسي رحمته الله له أشعاراً أثناء موته^(١)، واستراحت منه الأُمّة بأسرها.

* * *

(١) معجم الأدباء (ج ١ / ص ٢٤٨).

(٢) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩١)، العبر في خبر من غير (ج ٢ / ص ١٩٧).

(٣) تاريخ الموصل (ج ٢ / ص ٢٤٢)، الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٢٩١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) معجم الأدباء (ج ١ / ص ٢٥٢).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٧ / ح ٣٧٩)، وفيه: (وقال شاعرهم لعنهم الله...).

المبحث الرابع:

التراث الذي خلّفه الحسين ابن روح النوبختي للأمة الإسلامية

لقد خلّف الحسين بن روح النوبختي تاريخاً وتراثاً ضخماً للأجيال الإسلامية مع تصديّه لمهمّة السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام، ونلخصه بما يلي:

ما تركه من روايات وأحاديث وكتب:

برع ابن روح النوبختي في ميادين العلم، وحاز السبق في حلقات الأدب، وروى عن الأئمة عليهم السلام كثيراً من الروايات، وصنّف في شتى العلوم ومتنوّع الفنون، وزهت صورته العلمية زهو الطاووس في حدائق الكمال، ولكن التاريخ لم يمهلّه حيث امتدّت إليه يد الغدر، فلم تبق له من كتبه التي ألفها سوى كتاباً واحداً كما ذكره المؤرّخون، وهو كتاب (التأديب)، وفيه مسائل فقهية كالصلاة والصيام وأمور أخرى^(١)، وقد نسخ الشلمغاني نسخة منه، وأدخل فيه فرعاً فقهياً مخالفاً لما عليه مذهب الأصحاب.

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن سلامة بن محمّد، قال: أنفد الشيخ الحسين بن روح رحمته الله كتاب (التأديب) إلى قم، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: أنظروا في هذا الكتاب، وأنظروا فيه شيء يُجالفكم؟! فكتبوا إليه أنه كلّه صحيح،

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٠ / ح ٣٥٧)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ج ٣ / ص ٢١٠ / الرقم ٧٧٥)، معجم المؤلفين (ج ٤ / ص ٨).

٢٣٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وَمَا فِيهِ شَيْءٌ يُخَالِفُ إِلَّا قَوْلُهُ: الصَّاعُ فِي الْفِطْرَةِ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَالطَّعَامُ عِنْدَنَا مِثْلُ الشَّعِيرِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ صَاعٌ^(١).

وأما كتاب (التكليف) وقد ذكرناه في عداد مؤلفات الشلمغاني، فلعله من تعليقات ابن روح أيضاً، وهو كتاب في الحديث، وكان الشلمغاني (لعنه الله) قد أدخل فيه أموراً كثيرة ونسبها إلى الأصحاب ولم يقولوا بها، وكان ابن روح يُصلح كل ما يكتبه الشلمغاني^(٢).

أما روايته، فقد روى ابن روح النوبختي عن الأئمة عليهم السلام في شتى العلوم، فروى في الإمامة^(٣)، وإيمان أبي طالب عليه السلام^(٤)، والمتعة^(٥)، وزيارة العسكريين عليهم السلام^(٦)، وغيرها.

قال التستري رحمه الله: والغريب مما وقع من بعض العلماء، ولعله وقع منهم غفلة أن رجال الشيخ الطوسي غفل عن عنوانه مع عموم موضوعه^(٧).
وقد روى عن محمد بن زياد، وروى عنه الحسن بن جمهور في باب فضل زيارة الإمامين العسكريين عليهم السلام، كما تقدّمت الرواية عنه^(٨).

وأما تراثه في الأدعية:

فقد روى أدعية مشهورة من الأئمة عليهم السلام ومنه أيضاً، ونُلخصها بما يلي:

- (١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٠ / ح ٣٥٧).
- (٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٩ / ح ٣٥٤).
- (٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٧ و ٣٨٨ / ح ٣٥٢).
- (٤) معاني الأخبار (ص ٢٨٦ / باب معنى إسلام أبي طالب بحساب الجمل / ح ٢).
- (٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٠ / ح ٣٥٦).
- (٦) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٩٣ / ح ١٧٦ / ٣).
- (٧) قاموس الرجال (ج ٣ / ص ٤٥١).
- (٨) معجم رجال الحديث (ج ٦ / ص ٢٥٧ / الرقم ٣٤٠٦).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢٣٧

أولاً: الأدعية الرجبية:

قال ابن طاوس رحمته الله: ومن دعوات كل يوم من رجب ما روينا عن جدي أبي جعفر الطوسي (قدس الله روحه)، فقال: قَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ: وَخَرَجَ إِلَى أَهْلِي عَلَى يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ رحمته الله فِي مَقَامِهِ عِنْدَهُمْ هَذَا الدُّعَاءُ فِي أَيَّامِ رَجَبٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْمَوْلُودِينَ فِي رَجَبٍ...» إلخ^(١).

ثانياً: الزيارة الرجبية:

وروى الطوسي رحمته الله زيارة رواها ابن عيَّاش، قال: حَدَّثَنِي خَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مَوْلَانَا أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحِ رحمته الله، قَالَ: زُرْتُ أَيَّ الْمَشَاهِدِ كُنْتُ بِحَضْرَتِهَا فِي رَجَبٍ، ثُمَّ تَقُولُ إِذَا دَخَلْتَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِهِ فِي رَجَبٍ...» إلخ^(٢).

ثالثاً: دعاء وصلاة يوم المبعث:

وروى ابن طاوس رحمته الله بإسناده إلى جدّه أبي جعفر الطوسي رحمته الله بإسناده إلى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحِ رحمته الله، قَالَ: تُصَلِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَمَا تَبَسَّرَ مِنَ السُّورِ... إلخ^(٣).

رابعاً: التوسل بالإمام الحسين عليه السلام:

وهو دعاء خرج منه عليه السلام على يد الحسين بن روح إلى القاسم بن العلاء الهمداني، جاء فيه: «إِنَّ مَوْلَانَا الْحُسَيْنَ عليه السلام وُلِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ، فَصَمُّهُ وَأُدْعُ فِيهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْمَوْلُودِ فِي هَذَا الْيَوْمِ...» إلخ^(٤).

(١) إقبال الأعمال (ج ٣ / ص ٢١٥)، عن مصباح المتهجد (ص ٨٠٤ و ٨٠٥).

(٢) مصباح المتهجد (ص ٨٢١).

(٣) إقبال الأعمال (ج ٣ / ص ٢٧٤)، عن مصباح المتهجد (ص ٨١٦).

(٤) إقبال الأعمال (ج ٣ / ص ٣٠٣).

خامساً: زيارة آل ياسين:

روى الطبرسي رحمته الله عن محمد بن عبد الله الحميري مع مسائله التي بعثها عام ثمان وثلاثمائة إلى ابن روح النوبختي ليوصلها إلى الإمام المهدي رحمته الله أنه قال: خَرَجَ التَّوْقِيْعُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ حَرَسَهَا اللهُ بَعْدَ الْمَسَائِلِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَا لِأَمْرِهِ تَعْقِلُونَ، حِكْمَةٌ بِالْعَقَّةِ، فَمَا تُغْنِ الْأَنْدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ...» إلخ^(١).

سادساً: زيارة للصادق عليه السلام:

روى المجلسي رحمته الله عن مجموع الدعوات لأبي محمد هارون بن موسى التلعكبري، قال: رَوَى أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ رَجَاءِ الصَّيْدَاوِيِّ هَذِهِ الزِّيَارَةَ لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمْرِيِّ رحمته الله وَمَعَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رُوحٍ: قَالَ: عِنْدَ زِيَارَتِهِمَا لِمَوْلَانَا أَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ - الصَّادِقِ - عليه السلام وَقَفَا عَلَى بَابِ السَّلَامِ، فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ وَإِبْنَ مَوْلَايَ وَأَبَا مَوْلَايَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهِيدَ دَارِ الْفَنَاءِ، وَزَعِيمَ دَارِ الْبَقَاءِ... إلخ^(٢).

أما تراثه من التوقيعات التي خرجت على يديه من الإمام المهدي رحمته الله:

لقد خرجت توقيعات منه رحمته الله للأوضاع السياسية التي أحاطت تلك الفترة بالأمة، كقلع القرامطة للحجر الأسود ونقله إلى هجر، وتحذيره الوكلاء من السلطات، وغيرها. ونلخص بعض توقيعاته رحمته الله:

التوقيع الأول: في أهل قم:

ذكر ابن نوح أن هذا الدرَج بعينه كتب به أهل قم إلى الشيخ أبي القاسم

(١) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣١٥ و ٣١٦).

(٢) بحار الأنوار (ج ٩٧ / ص ٢١١ / ح ٩).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢٣٩

- الحسين بن روح رحمته الله - وَفِيهِ مَسَائِلُ، فَأَجَابَهُمْ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَطِّ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّوْبَخْتِيِّ، وَحَصَلَ الدَّرَجُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ. نُسخة الدَّرَجِ: مَسَائِلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الْحَمِيرِيِّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ وَأَدَامَ عِزَّكَ وَتَأْيِيدَكَ وَسَعَادَتَكَ وَسَلَامَتَكَ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَجَمِيلِ مَوَاهِبِهِ لَدَيْكَ وَفَضْلِهِ عِنْدَكَ، وَجَعَلَنِي مِنَ الشُّوءِ فِدَاكَ وَقَدَّمَنِي قِبْلَكَ، النَّاسُ يَتَنَافَسُونَ فِي الدَّرَجَاتِ، فَمَنْ قَبِلْتُمُوهُ كَانَ مَقْبُولاً، وَمَنْ دَفَعْتُمُوهُ كَانَ وَضِيعاً، وَالْحَامِلُ مَنْ وَضَعْتُمُوهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَبِبَلَدِنَا - أَيَّدَكَ اللَّهُ - جَمَاعَةٌ مِنَ الْوُجُوهِ يَتَسَاوُونَ وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْمَنْزِلَةِ، وَوَرَدَ - أَيَّدَكَ اللَّهُ - كِتَابُكَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ... إلخ^(١). وهو خبر طويل جداً وردت فيه المسائل الفقهية والاجتماعية والسياسية، فراجعه في مظانّه.

التوقيع الثاني: أسئلة الحميري:

وقد روى الطوسي والطبرسي رحمتهما الله كتاباً لمحمد بن عبد الله بن جعفر الحميري إلى الإمام المهدي عليه السلام في مثل ذلك، جاء فيه: رَأَيْتُكَ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكَ فِي تَأْمَلِ رُفْعَتِي وَالتَّفَضُّلِ بِمَا يَسْهُلُ لِأَضِيفَهُ إِلَى سَائِرِ أَيَادِيكَ عَلَيَّ، وَاحْتَجْتُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكَ أَنْ تَسْأَلَ لِي بَعْضَ الْفُقَهَاءِ عَنِ الْمُصَلِّي إِذَا قَامَ مِنَ التَّشْهَدِ الْأَوَّلِ لِلرَّكْعَةِ الثَّلَاثَةِ هَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُكَبِّرَ... إلخ. وهو خبر طويل أيضاً كسابقه، وقد جاء في آخره: قَالَ ابْنُ نُوحٍ: نَسَخْتُ هَذِهِ النُّسخَةَ مِنَ الْمُدْرَجِينَ الْقَدِيمِينَ الَّذِينَ فِيهِمَا الْخَطُّ وَالتَّوْقِيعَاتُ^(٢).

التوقيع الثالث: أسئلة في الحج:

وروى الطبرسي رحمته الله كتاباً آخر لمحمد بن عبد الله الحميري إلى صاحب

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٤ و ٣٧٥ / ح ٣٤٥)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٠١).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٨ - ٣٨٤ / ح ٣٤٦)، الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٠٤).

٢٤٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الزَّمانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جَوَابِ مَسَائِلِهِ الَّتِي سَأَلَهُ عَنْهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ - أرسلها لابن روح - يسأل عن المَحْرَمِ يَجُوزُ أَنْ يَشُدَّ الْمُنْزَرَ مِنْ خَلْفِهِ عَلَى عَقِبِهِ بِالطُّولِ...، إلخ^(١). وهو طويل أيضاً اشتمل على مسائل عديدة في الحج.

التوقيع الرابع: الأسئلة الفقهية المتنوعة:

وأرسل محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري أيضاً مسائل عام ثمان وثلاثين إلى ابن روح النوبختي ليوصلها إلى الإمام المهدي ﷺ، جاء فيه: أَطَالَ اللَّهُ بِقَاكَ وَأَدَامَ عِرْكَ وَكَرَامَتِكَ وَسَعَادَتِكَ وَسَلَامَتِكَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَجَمِيلِ مَوَاهِبِهِ لَدَيْكَ وَفَضْلِهِ عَلَيْكَ وَجَزِيلِ قَسَمِهِ لَكَ، وَجَعَلَنِي مِنَ السُّوءِ كُلِّهِ فِدَاكَ وَقَدَّمَنِي قِبْلَكَ، إِنَّ قِبْلَنَا مَشَايِخَ وَعَجَائِزَ يَصُومُونَ رَجَبًا مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً...، إلخ^(٢). وهو خبر طويل اشتمل على مسائل فقهية عديدة متنوعة.

التوقيع الخامس: إنزال العقوبة في بعض المشعوذين:

روى الطوسي رحمه الله بإسناده عن جماعة، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن داود القمي، قال: وَجَدْتُ بِحَظِّ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّوْبَخْتِيِّ وَإِمْلَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيِّ بْنِ رُوحِ بْنِ أَبِي نَجْدَةَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ فِيهِ جَوَابَاتٌ وَمَسَائِلٌ أَنْفَذْتُ مِنْ قُمْ يَسْأَلُ عَنْهَا هَلْ هِيَ جَوَابَاتُ الْفَقِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ جَوَابَاتُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ السَّلْمَغَانِيِّ، لِأَنَّهُ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ الْمَسَائِلُ أَنَا أَجَبْتُ عَنْهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِمْ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَدْ وَقَفْنَا عَلَى هَذِهِ الرَّقْعَةِ وَمَا تَضَمَّتْهُ، فَجَمِيعُهُ جَوَابَاتُنَا...» إلخ.

وَقَالَ ابْنُ نُوحٍ: أَوَّلُ مَنْ حَدَّثَنَا بِهَذَا التَّوْقِيعِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ

(١) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٠٦).

(٢) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٠٩ و ٣١٠).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢٤١
تَمَّام، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَهُ مِنْ ظَهْرِ الدَّرَجِ الَّذِي عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو
الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ...^(١).

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٧٣ / ح ٣٤٥).

المبحث الخامس:

معجزات الإمام المهدي عليه السلام

على يدي الحسين بن روح النوبختي

إنَّ المعجزة تترك آثاراً وتجاوباً سريعاً في النفوس ما لا يمكن أن تتركه الأنظمة والتشريعات العامّة، لأنّها فرضتها الضرورات الملحّة لإقناع من بهرتهم الحياة ولا يؤمن إلاّ بالمحسوس.

ولا يهْمُنَا تحديد الشكل الذي كانت تتمُّ فيه المعجزة، فإنَّ المعجزات إنّما ظهرت لدعم قولهم وصحّة الانتساب، فإنَّ ظهور المعجزات والكرامات على أيدي السفراء الذي هو من الممكن الذي ليس بواجب عقلاً ولا ممتنع قياساً، قد جاءت الأخبار على التظاهر والانتشار بكونه منهم عليهم السلام، ففُطِعَ عليه من جهة السمع والآثار^(١).

وإنّهم عليهم السلام إنّما جاؤوا بخوارق العادات والمعجزات حيث مصلحة الدّين التي تفرض عليهم ذلك^(٢).

وظهور المعجزات على المنصوبين من الخاصّة والسفراء المنصّبين من قبيل صاحب الأمر عليه السلام جائز لا يمنع منه عقل ولا سنّة ولا كتاب^(٣).

(١) أوائل المقالات (ص ٦٨).

(٢) بين التصوّف والتشيع (ص ١٤٠).

(٣) أوائل المقالات (ص ٦٩).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٤٣

ونذكر ملخصاً عن بعض المعجزات التي ظهرت على يد ابن روح

النوبختي من قبل الإمام المهدي عليه السلام:

أولاً: القرامطة والأسرار الغيبية:

روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه عليه السلام، قال: حدثني جماعة من أهل بلدنا المقيمين ببغداد في السنة التي خرجت القرامطة على الحاج، وهي سنة تناثر الكواكب، أن والدي عليه السلام كتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام يستأذن في الخروج إلى الحج، فخرج أجواب عنه عليه السلام: «لا تخرج في هذه السنة»، فأعاد وقال: هو نذر واجب، أفيجوز لي القعود عنه؟ فخرج أجواب: «إن كان لا بد فكن في القافلة الأخيرة»، وكان في القافلة الأخيرة، فسلم بنفسه، وقتل من تقدمه في القوافل الأخر^(١).

ثانياً: ولادة الصدوق عليه السلام بدعاء المهدي عليه السلام:

روى الطوسي عليه السلام بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي الأسود عليه السلام، قال: سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه عليه السلام بعد موت محمد بن عثمان العمري عليه السلام أن أسأل أبا القاسم الرّوحي (قدس الله روحه) أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله أن يرزقه ولداً ذكراً. قال: فسألته، فأبى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين عليه السلام، فإنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، وبعده أولاد... قال: فولد لعلي بن الحسين عليه السلام تلك السنة ابنه محمد بن علي، وبعده أولاد... إلخ^(٢).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٢ / ح ٢٧٠).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٠ / ح ٢٦٦)؛ ورواه الصدوق عليه السلام في كمال الدين (ص ٥٠٢ و ٥٠٣ /

باب ٤٨٢ / ح ٣١).

ثالثاً: رسالة تُكتب بلا مداد:

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن الصّفواني، قال: وافى الحسن بن عليّ الوجّناء النّصيبيّ سنة سبع وثلاثمائة، ومعه محمد بن الفضل الموصليّ، وكان رجلاً شيعياً غير أنّه يُنكر وكالة أبي القاسم بن روح رحمته الله، ويقول: إنّ هذه الأموال تُخرج في غير حقوقها، فقال الحسن بن عليّ الوجّناء لمحمد بن الفضل: يا ذا الرّجل، اتق الله، فإن صحّة وكالة أبي القاسم كصحّة وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان العمريّ، وقد كانا نزلنا ببغداد على الزّاهر، وكنا حصرنا للسّلام عليهما، وكان قد حصر هناك شيخ لنا يُقال له: أبو الحسن بن ظفر، وأبو القاسم بن الأزهر، فطال الخطاب بين محمد بن الفضل وبين الحسن بن عليّ، فقال محمد بن الفضل للحسن: من لي بصحّة ما تقول وتثبت وكالة الحسين بن روح؟ فقال الحسن بن عليّ الوجّناء: أبيت لك ذلك بدليل يثبت في نفسك، وكان مع محمد بن الفضل دفتر كبير فيه ورقّ طلحيّ مجلّد بأسود، فيه حساباته، فتناول الدّفتر الحسن وقطع منه نصف ورقة كان فيه بياض، وقال لمحمد بن الفضل: ابروا لي قلماً، فبرى قلماً، واتّفقا على شيء بينهما لم أقف أنا عليه، وأطلع عليه أبا الحسن بن ظفر، وتناول الحسن بن عليّ الوجّناء القلم، وجعل يكتب ما اتّفقا عليه في تلك الورقة بذلك القلم الميريّ بلا مداد، ولا يؤثّر فيه، حتّى ملأ الورقة، ثمّ ختمه وأعطاه لشيخ كان مع محمد بن الفضل أسود يخدمه، وأنفذ بها إلى أبي القاسم الحسين بن روح، ومعنا ابن الوجّناء لم يبرح، وحضرت صلاة الظهر، فصلّينا هناك، ورجع الرّسول فقال: قال لي: امض فإنّ الجواب يجيء، وقدمت المائدة، فنحن في الأكل إذ ورد الجواب في تلك الورقة مكتوب بمداد عن فضل فضل، فلطم محمد بن الفضل وجهه ولم يتهنأ بطعامه، وقال لابن الوجّناء: قم معي، فقام معه حتّى دخل على أبي

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي عليه السلام ٢٤٥

أَلْقَاسِمِ بْنِ رُوحِ اللَّهِ، وَبَقِيَ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي، أَقَلَّنِي أَقَالَكَ اللَّهُ، فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١).

أقول: وهناك معاجز كثيرة للإمام المهدي عليه السلام ظهرت على يدي ابن روح النوبختي رواها أهل السيرة والأخبار، ومنها: معجزات ظهرت للقاسم بن العلاء وقد عمّر مائة وسبعة عشر عاماً، وصار أعمى لا يبصر، فأعاد الله إليه بصره، وظهرت له معاجز أخرى من الإمام عليه السلام^(٢)، ومعجزات ظهرت للزراري وحلّ مشكلاته العائليّة^(٣)، وشفاء الأخرس على يديه عليه السلام^(٤)، وقصّة السبائك الذهبية^(٥)، وظهور معجزته عليه السلام لرجل أنكر ولده^(٦)، وقصّة الحقّة التي ألقته المرأة في ماء الفرات فرأتها في بيتها بعد رجوعها^(٧)، وكلام ابن روح النوبختي باللسان الأبّي لأهل قم^(٨)، وقصّة رجل شكى قلبه ونصائح الإمام عليه السلام له^(٩).

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣١٥ - ٣١٧ / ح ٢٦٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣١٠ - ٣١٥ / ح ٢٦٣).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٤ - ٣٠٦ / ح ٢٥٧).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٩ و ٣١٠ / ح ٢٦٢).

(٥) كمال الدّين (ص ٥١٦ و ٥١٧ / باب ٤٥ / ح ٤٥)؛ وروى الصدوق عليه السلام قصّة مشابهة لها أيضاً في كمال الدّين (ص ٥١٨ و ٥١٩ / باب ٤٥ / ح ٤٧).

(٦) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٨ / ح ٢٦٠).

(٧) كمال الدّين (ص ٥١٩ / باب ٤٥ / ح ٤٧).

(٨) الغيبة للطوسي (ص ٣٢١ / ح ٢٦٨)؛ ورواه الصدوق عليه السلام في كمال الدّين (ص ٥٠٣ و ٥٠٤ / باب ٤٥ / ح ٣٤).

(٩) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٣ / ح ٢٧١).

المبحث السادس:

وفاة الحسين بن روح النوبختي

ذكرت النصوص التاريخية أنَّ تاريخ وفاة ابن روح النوبختي كان في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة من شعبان سنة ستِّ وعشرين وثلاثمائة^(١)، وقبره في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ إلى التلِّ وإلى درب الآجر وإلى قنطرة الشوك^(٢).

ويوجد اليوم في الجانب الشرقي من بغداد، وهو في آخر زقاق يمرُّ في وسط سوق العطارين، يقع في وسط بيت ينبغي الاستيذان والدخول فيه^(٣). ومع الأسف الشديد لم يتبرَّع ولحدَّ الآن رجل من أهل الخير لشراء هذا البيت ليُنشأ فيه صحن مختصر مع مجموعة من العُرف والحياض، فإنَّ له منافع خيرية لا تُحصى، علاوة على تجليل وتعظيم لصاحب هذا القبر الشريف، فإنَّ غالب الزوَّار في بيع وشراء ومعاملات، وهم يحتاجون إلى مكان للاستراحة فيه بضع ساعات والتطهير والصلاة، ولا يوجد في بغداد محلاً كهذا لهم في الكاظمين عليهما السلام، ولو بُني هذا المقام لصار مقرّاً لآلاف الزوَّار في كلِّ أسبوع وشهر، وسوف يُجلب له الإعانات الدنيوية والديوية، ويكون حامياً للنفوس والأعراض.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ و ٣٨٧ / ح ٣٥٠)، تاريخ الإسلام (ج ٢٤ / ص ١٩٢)، سير أعلام

النبلاء (ج ١٥ / ص ٢٢٤)، الوافي بالوفيات (ج ١٢ / ص ٢٢٧).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ / ح ٣٥٠).

(٣) منتهى الآمال (ج ٣ / ص ٤٠٧).

الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام الحسين بن روح النوبختي رحمته الله ٢٤٧

وقد حقّق الدكتور مصطفى جواد البغدادي في نشرته مجلّة العرفان^(١) حول قبر ابن روح النوبختي، فقال: إنّ قبره في الجانب الغربي، وقد دُرِسَ فيما دُرِسَ من قبور العظماء والعلماء في ذلك الجانب.

واستدلّ لذلك بقول ابن خلكان في ترجمة الحسن بن محمّد المهلبّي الوزير: إنّه دُفِنَ بمقابر قريش في مقبرة النوبختيّة^(٢)، فعلم من هذا أنّ مقبرة النوبختيّة كانت في مقابر قريش التي دُفِنَ فيها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالجانب الغربي من بغداد.

فإن أراد الطوسي رحمته الله من (النوبختيّة) هي محلّة النوبختيّة لا مقبرتهم فلا يضرّ، لأنّ محلّة النوبختيّة كانت في الجانب الغربي أيضاً، وبدلّ عليه قول هبة الله الكاتب: إنّ النوبختيّة في الدرب النافذ إلى درب الآجر^(٣).

قال ياقوت الحموي في كلمة (الآجر): إنّ درب الآجر محلّة من محال نهر طابق ببغداد وخربت، وبنهر معلّى درب الآجر بالجعفرية، عامر، أهل^(٤).

ونهر طابق كان في الجانب الغربي، قال ياقوت الحموي: إنّ نهر طابق محلّة كانت ببغداد من الجانب الغربي^(٥)، ونهر معلّى كان بالجانب الشرقي^(٦).

وأراد هبة الله بدرب الآجر المحلّة التي كانت بالجانب الغربي، لذكر قنطرة الشوك التي هي في الجانب الغربي.

قال ياقوت الحموي: نهر عيسى كورة كبيرة في غربي بغداد، يأخذ من

(١) مجلّة العرفان (العدد ٤ / ص ٣٧٩).

(٢) وفيات الأعيان (ج ٢ / ص ١٢٧).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٦ / ح ٣٥٠).

(٤) معجم البلدان (ج ١ / ص ٥١).

(٥) معجم البلدان (ج ٤ / ص ٤).

(٦) معجم البلدان (ج ٢ / ص ٤٢).

٢٤٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

الفرات ثم يتفرّع منه أنهار تخرق إلى مدينة السلام وتمرُّ بعدة قناطر، وعدّها منها قنطرة الشوك، ثم يصبُّ في دجلة^(١).

فعلِمَ من ذلك أنّ النهر الذي على بعضه قنطرة الشوك يأتي من الفرات ويصبُّ في دجلة، فتكون قنطرة الشوك غربي دجلة^(٢).

لقد ترك ابن روح النوبختي من الأولاد الذكور ابناً اسمه (روح)، وقد ذكره العلماء وأثنوا عليه، وكان أحد أعلام الشيعة وثقاتهم والمرضيّين عندهم، وكان محدثاً فاضلاً ومتكلماً مناظراً، روى عنه الحسين بن عليّ بن موسى بن بابويه وجماعة من كبار الشيعة^(٣).

قال الخوئي رحمه الله: وكان روح بن الحسين بن روح بن أبي روح النوبختي يروي عن أبيه رحمه الله وغيره من أئمة العلم الكبار في المائة الثالثة^(٤).

وقد روى له الطوسي رحمه الله في كتاب (الغيبة) أنّه قرأ الحسين بن روح هذا الكتاب من أوله إلى آخره، فقال: ما فيه شيء إلا وقد روى عن الأئمة... الخبر^(٥).

وطوى ابن روح صفحة مشرقة من حياته بعد تمهيدته للسمرى في أمر السفارة كما سيأتي، وانتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم يكن عمر الإمام المهدي ﷺ سوى واحد وسبعين عاماً^(٦).

* * *

(١) معجم البلدان (ج ٥ / ص ٣٢١ و ٣٢٢).

(٢) تاريخ بغداد (ج ١ / ص ١٢٥)، مرصد الاطلاع (ج ٣ / ص ١٤٠٤).

(٣) تأسيس الشيعة (ص ٣٧٣).

(٤) معجم رجال الحديث (ج ٨ / ص ٢١٢ / الرقم ٤٦٣٧)، عن تأسيس الشيعة (ص ٣٧٣).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٤٠٨ و ٤٠٩ / ح ٣٨٢).

(٦) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٥٤٧).

الباب الرابع:

السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام

علي بن محمد السمرى رضي الله عنه

المبحث الأول:

علي بن محمد السمري في الميزان

والسمري عادل ذو العزم وقد تُوفِّي لسقوط النجم^(١)
والغيبة الكبرى بموته بدت فنور اللّهمَّ عينا كدرت
وهو أبو الحسن علي بن محمد السمري^(٢)، أو السيمري^(٣)، أو
الصيمري^(٤)، والمشهور الأوّل، مضبوطاً بالسين المهملة المفتوحة والميم المضمومة
والراء، وقيل: بالسين المهملة المكسورة والميم المكسورة المشدّدة والراء^(٥).
وسَمَّر - بفتحتين وتشديد الميم - موضع في اليمامة فيه نخل كثير^(٦)، قال
الحموي: وسَمَّر أعتقد بأنّه لفظ نبطي وليس عربي، وهي بلد من أعمال (كسكر)
وهي داخلة الآن تحت أعمال البصرة، وهي واقعة بين البصرة وواسط^(٧).
وذكر النهاوندي مثله عن السمعاني^(٨).

(١) الدرر المكنونة في الإمام والإمامة (ص ١٨٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٣).

(٣) الأنوار النعمانية (ج ٢ / ص ١٥).

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤١٢).

(٥) إيضاح الاشتباه (ص ٢٢١ / الرقم ٤٠١)، بهجة الآمال (ج ٥ / ص ٥١٧).

(٦) معجم البلدان (ج ٣ / ص ٢٤٦).

(٧) المصدر السابق.

(٨) العبقري الحسان (بالفارسيّة) (ج ٥ / ص ١١٦)، عن الأنساب للسمعاني (ج ٣ / ص ٢٩٧).

٢٥٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

لم تذكر النصوص تاريخ ومحلّ ولادته وأسرتة، وإنّما ذُكرَ فيها كواحد من أصحاب العسكري عليه السلام، ثمّ ذُكرَ أنّه قام بمهامّ السفارة عن الإمام المهدي ﷺ (١).

أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً، فقد عدّه الطوسي رحمه الله من السفراء الممدوحين بعد أن ذكر طرفاً من أخباره وأحواله (٢).

وقال فيه الصدوق رحمه الله: إنّهُ مَنْ أجمع الشيعة على عدالته وثقته (٣).
ووصفه المفيد رحمه الله بأنّه أهل عقل وأمانة وثقة ودراية وفهم وتحصيل ونباهة (٤).

وقال عنه الطبرسي رحمه الله بأنّه صادق اللهجة في مقالته (٥).
وأثنى عليه متأخرو العلماء أيضاً، وأطنبوا في مدحه وتعظيمه، قال المامقاني رحمه الله: إنّهُ من السفراء والنوّاب، وهو السفير بعد أبي القاسم بن روح، وكان يُكنّى بأبي الحسن، وثقته وجلالته أشهر من أن يُذكر، وأظهر من أن يُحرز، فهو كالشمس لا يحتاج إلى بيان نوره، وقد كانت سفارته عن الحجّة المنتظر عليه السلام بوصيّة الشيخ أبي القاسم بن روح إليه عند موته بأمر من الحجّة عليه السلام (١).

وقال السيّد الصدر رحمه الله عنه: كان حجّة المولى على المؤمنين، عالماً ربّانياً زاهداً ورعاً، شيخنا في الحديث والفقه، وكان المرجع بعد الشيخ أبي القاسم

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) كمال الدّين (ص ١٨٩).

(٤) الفصول العشرة (ص ٨١).

(٥) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٢٩٧).

(١) تنقيح المقال (ج ٢ / ص ٣٠٥).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري عليه السلام ٢٥٣

الحسين بن روح عليه السلام وباب الأحكام للطائفة، وله حكايات وكرامات ومكاشفات رواها الثقة^(١).

وجاء في (تعق): علي بن محمد السمري من السفراء والنواب، وجلالته تغني عن التعرض لحاله^(٢).

وفي (النقد) مثله^(٣).

تولّى السفارة من حين وفاة أبي القاسم بن روح النوبختي بأمر الإمام المهدي عليه السلام^(٤).

وقد تسالمت الأمة عليه وقبولها له، وكان تصديده للسفارة عام (٣٢٦هـ)، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام (٣٢٩هـ) في النصف من شعبان^(٥)، فتكون مدة سفارته حوالي ثلاثة أعوام كاملة غير أيام.

وقد وقع توهم في هذه الشخصية في أنّها نفسها شخصية علي بن زياد الصيمري، أو علي بن محمد بن زياد الصيمري، أم هي ثلاث شخصيات؟ ومنشأ هذا التوهم والاختلاف يعود إلى اختلاف الأخبار والروايات، فقد ذكر الطوسي عليه السلام في رجاله: علي بن محمد السمري - سفير الإمام المهدي عليه السلام - بأنّه من أصحاب الإمام العسكري تحت عنوان الصيمري لا السمري^(٦).

وروى ابن شهر آشوب عليه السلام دخول علي بن محمد بن زياد الصيمري على أبي أحمد عبد الله بن طاهر، وفي يديه رقعة أبي محمد... إلخ^(٧).

(١) تأسيس الشيعة (ص ٤١٢).

(٢) منتهى المقال (ج ٥ / ص ٥٧)، عن تعليقة الوحيد البهبهاني (ص ٢٣٨).

(٣) بهجة الآمال (ج ٥ / ص ٥١٧)، عن نقد الرجال (ج ٣ / ص ٢٩٦ / الرقم ٣٦٨٢ / ٢١٢).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٣ / ح ٣٦٢).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٤ / ح ٣٦٤).

(٦) رجال الطوسي (ص ٤٠٠ / الرقم ٥٨٥٨ / ٣).

(٧) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٥٣٠).

وهو نفس ما رواه الإربلي رحمته الله، ولكنه عن علي بن محمد السمرى^(١).
 فنقول في رفع التوهّم: أمّا علي بن زياد الصيمري، فقد ذكر الوحيد رحمته الله
 بأنّه ممّا لا شاهد عليه، ولا يوجد هذا الاسم في بعض النسخ^(٢).
 وقال التستري رحمته الله: يمكن الاستشهاد له بأنّ (دلائل الحميري) وكذا
 (الإكمال) و(دلائل الطبري) روت في معجزات الحجّة عليه السلام عن علي بن محمد بن
 زياد الصيمري أنّ علي بن محمد السمرى كتب يسأل كفنًا... إلخ. ورواه (الكافي)
 و(الغيبة) عن علي بن زياد الصيمري. فلا بدّ أنّ لفظ الأوّل (علي بن زياد الصيمري)
 نسبة إلى الأب، والثاني (علي بن محمد بن زياد الصيمري) نسبة إلى الجدّ، كما أنّ
 (الغيبة) رواه في إسناد آخر عن (محمد بن زياد الصيمري) وهو محرّف عن علي بن
 محمد بن زياد الصيمري. هذا والصيمري كما قال السمعاني: نسبة إلى صيمر، نهر من
 أنهار البصرة عليه عدّة قرى، وإلى صيمرة بلد بين ديار الجبل وخوزستان، لكن لا
 يبعد أن يكون الصيمري في (رجال الشيخ) و(المهّج) والخبر محرّف الصهري لقبها
 في الخطّ، فكأنّ قول المسعودي: صهر جعفر بن محمود الوزير هو تفسير للقبه، ومن
 تزوّج بنت أحد الأشراف يُعرّف به، كالدّاماد في المتأخّرين^(٣).
 أمّا الخوئي رحمته الله فقد ذكر أنّه تقدّم عن الشيخ في رجاله عدّ (علي بن زياد
 الصيمري) من أصحاب الهادي عليه السلام، وظاهره مغايرته لعلي بن محمد بن زياد،
 ولكن الصحيح أنّها واحد، وذلك لما تقدّم عن (الكافي) و(الإرشاد) و(الغيبة)
 من أنّ علي بن زياد كتب إليه عليه السلام يسأله كفنًا، فكتب إليه... الخبر، فيعلم من
 ذلك أنّ علي بن محمد بن زياد مع علي بن زياد^(١).

(١) كشف الغمّة (ج ٣ / ص ٢١٣).

(٢) قاموس الرجال (ج ٧ / ص ٥٥٤).

(٣) قاموس الرجال (ج ٧ / ص ٥٥٤ و ٥٥٥).

(١) معجم رجال الحديث (ج ١٣ / ص ١٥٢ / الرقم ٨٤٣٤).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري عليه السلام ٢٥٥

وهما شخصيتان واحدة لا متعددة.

وكان الطوسي عليه السلام قد عدَّ علي بن محمد بن زياد الصيمري من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام ^(١).

ووثقه ابن طوس عليه السلام قائلاً: كتاب (الأوصياء) تأليف السعيد علي بن محمد بن زياد الصيمري، كان قد لحق مولانا الهادي والعسكري عليهما السلام وخدمهما، وكاتباه ودفعا إليه توقيعات كثيرة، وكان رجلاً من وجوه الشيعة وثقاتهم، ومقدماً في الكتابة والعلم والأدب والمعرفة ^(٢).

فيتضح أنَّ علي بن محمد بن زياد الصيمري يختلف تماماً عن علي بن محمد السمري سفير الإمام المهدي عليه السلام.

إنَّ النصوص التاريخية لم تذكر طبيعة العمل الذي كان يقوم به السمري فترة إمامة الحسن العسكري عليه السلام، سوى أنَّه كان من أصحابه والمقرَّين إليه ^(٣)، وأمَّا فترة إمامة المهدي عليه السلام فقد كانت الظروف صعبة للغاية، وقد كثر فيها الكذَّابون والمدَّعون للسفارة زوراً وكذباً، وأخذت السلطات تضايق أصحاب الإمام، وتحذُّ من نشاطهم، وهكذا أعلن السفير ابن روح النوبختي للأُمَّة بأنَّ السمري هو السفير بعده بأمر الإمام المهدي عليه السلام مراعيّاً فيه جانب الحذر والكتمان، ولم نعثر على نصِّ تاريخي في تنصيب الإمام المهدي عليه السلام السمري سفيراً له بعد ابن روح، ولعلَّ ذلك يعود لتسالم الأُمَّة عليه، الحاصل من ثقة الأُمَّة المطلقة بابن روح النوبختي والتسليم له، وما كان ابن روح يقول ذلك من نفسه في تنصيبه السمري، بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجَّة عليه السلام ^(٤).

(١) رجال الطوسي (ص ٣٨٩ و ٤٠٠ / الرقم ٥٧٢٩ / ٢٤ و ٥٨٥٨ / ٣).

(٢) مهج الدعوات (ص ٢٧٣)، فرج المهموم (ص ٣٧).

(٣) رجال الطوسي (ص ٤٠٠ / الرقم ٥٨٥٨ / ٣).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٢٢ / ح ٢٦٩).

٢٥٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ولم يقم أحد من السفراء إلا بنصّ عليه من قبل صاحب ﷺ ونصب صاحبه الذي تقدّم عليه، ولم تقبل الشيعة قول السمرى إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يده من قبل صاحب الأمر ﷺ تدلُّ على صدق مقالته وصحة بايئته^(١).
ثم كانت الأموال تُحمّل إليه، فيُخرج لهم التوقيعات، وكان يذكر كمّية الأموال جملةً وتفصيلاً، ويُسمّي أصحابها بالإعلام من قبل القائم ﷺ له في ذلك^(٢).

وقد امتازت سفارة السمرى بميزات، نُخصّصها كالتالي:
أولاً: قصر مدّة سفارته:

لقد كانت مدّة سفارته ثلاث سنوات إلا أيام، ويعود سبب قصرها إلى الجوّ الخائق الذي كان يعيشه هذا السفير، وصعوبة الزمان، وكثرة الحوادث، وتشتت الأذهان.

ثانياً: ضآلة النشاط:

وامتازت هذه الفترة بالذات بقلة نشاط هذا السفير وضآلة عمله بالنسبة إلى أسلافه، لعدم تهيؤ الظروف المناسبة والفرص المؤاتية للعمل، وليس كما ذكره بعض المستشرقين من أنّ السمرى ربّما أدركته الخيبة فشعر بتفاهة منصبه وعدم حقيقته كوكيل معتمد للإمام المفترض^(١).

وما دراسة هذا المستشرق لهذا السفير إلا كونه بمستوى حدّه وضآلة تفكيره، وإلا فأى تفاهة في هذا المنصب الإلهي الخطير وكونه ممثلاً عن الإمام المهدي ﷺ فكراً وروحاً؟!!

(١) تاج الموالي (ص ٦٦).

(٢) الخرائج والجرائح (ص ١٨٦) مخطوط.

(١) عقيدة الشيعة (ص ٢٥٧).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري رضي الله عنه ٢٥٧

إنَّ الشعور بعدم حقيقة الوكالة أمر لا معنى له على الإطلاق، خاصَّةً في ما يتجلَّى مع موقفه المباشر من الإمام المهدي عليه السلام وتلقَّيه التوقيعات منه عليه السلام، وجلب رضا واعتماد الأُمَّة وتسالمها عليه وقبولها أقواله وأفعاله.

ثالثاً: قلَّة التوقيعات الصادرة إليه:

رابعاً: كثرة المدَّعين للسفارة كذباً وزوراً عن الإمام المهدي عليه السلام.

خامساً: كثرة المنازعات والمناقشات بين الفرق الإسلاميَّة واختلافها.

سادساً: خروج توقيع من الإمام المهدي عليه السلام في إنهاء السفارة بموت

السمري.

* * *

المبحث الثاني:

التحرُّكات السياسيَّة والفكريَّة والاجتماعيَّة للسمري

إنَّ فترة سفارة السمري كانت قد امتازت بميزات تُلخِّصها فيما يلي:

في خدمة الراضي بالله والمتقي:

أ - بغداد، والفضي:

شهدت العاصمة بغداد في هذه الفترة بالذات من سفارة السمري فترة خلافة الراضي والمتقي بالله الاضطرابات والفضي التي عمَّت كلَّ قطاعات البلاد، قال الصولي في حوادث عام (٣٢٧هـ): عاثت العامَّة في الأرض فساداً، وانقضوا على الحَمَّات العامَّة وأخذوا ثياب من فيها، وكثرت المصادرات، وتفاقم شرُّ اللصوص الذين تسلَّحوا بالعدد لكبس الدور ليلاً، وشكى الناس من غير جدوى إلى (بجكم) ما أحلَّه بهم أصحابه من بلاء، وانتشرت الفضى والمنازعات، وساءت أحوال العراق^(١).

ب - المنازعات الدِّينيَّة والطائفيَّة ونشاط القرامطة:

ولم تخل فترة سفارة السمري من عبث القرامطة، فقد كانت تلك الفترة آخذة بالمدِّ والجزر، وكان الحجُّ آنذاك معطَّلاً من عام (٣١٧هـ) إلى عام

(١) تاريخ الإسلام السياسي والدِّيني والثقافي والاجتماعي (ج ٣ / ص ٢٨).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري عليه السلام ٢٥٩

(٣٢٧هـ) لاعتراض القرامطة^(١).

أمّا المنازعات الدنيئة فقد بقيت بين الطوائف في بغداد عاصمة الخلافة ممّا زاد الأمر إدباراً^(٢).

ج - الضعف الإداري، وتوقّف الفتوحات:

وتوقّفت الفتوحات الإسلامية في هذه الفترة بالذات لضعف الخلافة والجهاز الإداري للبلاد وتدهور حالها، فإنّ الخليفة لم يكن له سوى بغداد وأعمالها، والحكم فيها جميعاً لابن رائق وليس للخليفة حكم^(٣)!

د - الغارات والتقسيمات الطائفية:

لقد كانت البلاد الإسلامية تعاني من الانقسامات الطائفية والعرقية، فالبصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، وكرمان في يد أبي محمد إلياس، والرّي وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، والمغرب وأفريقيا في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي، وهو الثاني منهم، ويُلقّب بأمر المؤمنين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقّب بالناصر الأموي...^(٤). وكان النزاع قائماً على قدم وساق بين تلك الأمصار، وكان شتّى الغارات والحروب بينها قد هدّد كيان الدولة العباسية^(٥).

(١) الحضارة الإسلامية (ج ١ / ص ٢٨).

(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (ص ٢٦٥).

(٣) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٣٢٣).

(٤) الكامل في التاريخ (ج ٨ / ص ٣٢٣ و ٣٢٤).

(٥) حياة الحيوان (ج ١ / ص ١٣٠).

هـ - شهوات الخليفة، واستهتاره بالمبادئ:

لقد عاصر السمرري بقیة خلافة الراضي بالله المتوفى عام (٣٢٩هـ)، وخمسة أشهر وخمسة أيام من خلافة المتقي بالله، وكانت هذه السنوات مليئة بالظلم وسفك الدماء^(١)، فلما نصب الراضي ابن أخي القاهر خليفة، كان له من العمر خمسة وعشرون عاماً، وكان له من العيب أنه يؤثر لذاته وشهواته على رأيه، ولم يسلم عهده من سفك الدماء، فقد احتال مثلاً على الوزير (ابن مقله) بعد تركه الوزارة حتى قبض عليه وسجنه وقبض على جماعة من أهله وأقاربه ممن سعى في تقليد الأمر لنفسه، وبايعه الناس عليه، فممنهم من قتله، ومنهم من ضربه وسجنه، فمات في سجنه، ومنهم من استتر طول المدّة^(٢).

و - الطبقة البرجوازية، والأوضاع الاقتصادية المتردية:

كان المجتمع يومذاك فترة سفارة السمرري قائماً على أساس الطبقة الملموسة، فالأموال مرتكزة بيد الأقوياء والمتنفذين في السلطة، ويحظى الأتراك والقواد والموالي بقسط كبير منها، على حين يعيش سائر الناس بالمستوى المتوسط أو دونه إلى حد الفقر المدقع من دون ضمان عيش أو أمل حياة^(٣).

ز - الانقلابات العسكرية المتوالية، وحالات الوزارة:

أمّا الإدارة للبلاد فترة سفارة السمرري فهو حديث ذو شجون، فقد استعان الراضي والمتقي في إدارة شؤون دولتهما ببعض الوزراء الضعاف الذين بذلوا للخليفة الكثير من الأموال، مقابل أن يرفعهم إلى مرتبة الوزراء! وليس أدل على ذلك مما بذله أبو علي بن مقله حينما تقلد أمر الوزارة للمرة

(١) عقيدة الشيعة (ص ٢٥٧).

(٢) الحضارة الإسلامية (ج ١ / ص ١٥).

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٩٠ و ٩١).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري عليه السلام ٢٦١

الثالثة في عهد الراضي، فقد دفع للخليفة خمسمائة ألف دينار! غير أنه لم يتمتع بالوزارة طويلاً إذ ثار عليه الجند، وقامت في البلاد فتنة انتهت بعزله، وصرفه الراضي عن الوزارة، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى بن داود الجراح فظهر عجزه في إدارة البلاد، وقلد الراضي أخاه الوزارة فاختلفت أمور الدولة في عهد وزارته، ولم يلبث أن استقال من منصبه، فحل محله محمد بن القاسم الكرخي، وكان كغيره من الوزراء الذين سبقوه ضعيف الجانب لم يقم بأي عمل في سبيل إصلاح شؤون البلاد وإقالتها من عثرتها، بل قد اشتد ضعف الدولة في عهده واضطراً أخيراً إلى الاختفاء حتى لا يلحق به أذى الأهلين^(١).

ح - إمرة الأمراء، والملوك الميروفنجيين:

كان ابن رائق وكاتبه هما اللذان ينظران في كافة شؤون الدولة، وصارت أموال النواحي تُحمّل إلى خزائن الأمراء^(٢)، فكانوا يأمررون وينهون وينفقونها كما يرون، ويُطلقون لنفقات السلطان ما يريدون.

وبطلت بيوت الأموال، وأن حالة الخلفاء العباسيين في عهد إمرة الأمراء لتشبه في كثير من الوجوه حالة الملوك الميروفنجيين المتأخرين الذين كانوا أشبه بالأعيب في أيدي نظار السراي (Maires)، والذين لم يعد لهم من الأمر شيء إلا ما كان من ظهورهم في الحفلات الرسمية، وفيما عدا ذلك عاشوا عيشة العزلة في إحدى ضياعهم^(٣).

ط - الجيش والبنية الدفاعية:

لقد بلغت الخلافة العباسية فترة سفارة السمري من الضعف بحيث لم

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ج ٣ / ص ٢٧).

(٢) تجارب الأمم (ج ٥ / ص ٤٤٤).

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ج ٣ / ص ٢٨).

٢٦٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

يتمكّن من دفع أرزاق الجيش، وارتفاع النعمة العسكرية، وضعف البنية الدفاعية، فلم يتمكّن الخليفة في الحصول على ما يكفيه، وظلّت الحالة على ذلك حتّى تُوفّي الراضي عام (٣٢٩هـ)، بعد أن حكم الدولة العباسية ستّ سنين وعشرة أشهر وعشرة أيّام، واجتمع كاتب (بجكم) الكوفي مع سليمان بن الحسن وزير الراضي وغيره ممّن تقلّد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويين والقضاة وأفراد البيت العباسي وسائر رجالات الدولة وشاورهم فيمن يصلح للخلافة، فرشّحوا إبراهيم بن المقتدر لهذا المنصب، فأحضر لدار الخلافة، وعُرِضت عليه ألقاب، فاختار منها لقب المتّقّي، وبويع له في العشرين من شهر ربيع الأوّل سنة (٣٢٩هـ)، وسيرّ الخلع واللواء إلى (بجكم) بواسط^(١).

* * *

(١) تاريخ الإسلام السياسي والدّيني والثقافي والاجتماعي (ج ٣ / ص ٢٨ - ٣٠).

المبحث الثالث:

معجزات الإمام المهدي عليه السلام

على أيدي السمرى عليه السلام

كانت الغيبة الصغرى كافية لإثبات وجود المهدي عليه السلام بما يصل إلى الناس عن طريق سفارته من البيئات والبيانات، كما أوجبت بكل وضوح أن يعتاد الناس على غيبة الإمام عليه السلام ويستسيغون فكرة اختفائه بعد أن كانوا يعاصرون عهد ظهور الأئمة عليهم السلام وإمكان الوصول إلى مقابلة الإمام عليه السلام.

لقد كان الإمام المهدي عليه السلام متدرجاً في الاحتجاب أول مرة، وكلما سار به الزمن زاد احتجابه حتى لا يكاد يُنقل عنه المشاهدة فترة سفارة السمرى لغير السفير نفسه، وحينما كانت هذه الفترة مشاركة على الانتهاء، فقد كان الجيل المعاصر لزمن ظهور الأئمة عليهم السلام قد انتهى، وبدأت تظهر أجيال جديدة إلى الوجود قد اعتادت غيبة الإمام المهدي عليه السلام وفكرة القيادة وراء الحجاب، وأصبحت معدة ذهنياً وبشكل تام لتقبل فكرة انقطاع السفارة أساساً.

وهكذا استوفت الغيبة أغراضها، وانحصرت رؤية الإمام عليه السلام في السفير نفسه، ولو طال أمر السفارة لاحتمل انكشاف أمرها، لعدم إمكان المحافظة على السرية الملتزمة في خطها.

أمّا المعجزات التي ظهرت من الإمام المهدي عليه السلام على أيدي السمرى،

فندخصها بما يلي:

إخباره بوفاة الصدوق عليه السلام قبل وقوعها:

عليُّ بن بابويه والد الشيخ الصدوق عليه السلام هو من أجلاء الشيعة والأدلاء على الصراط، فقد كان شيخ القميين في عصرهم وفقههم وثقتهم ومتقدمهم^(١)، وهو أوَّل من ابتكر طرح الأسانيد وجمع بين النظائر وأتى بالخبر مع القرينة، وكان الأصحاب يأخذون الفتاوى من رسالته إذا أعوزهم النصُّ ثقةً واعتماداً عليه^(٢)، ولقد جمع من غزارة علمه وكمال عقله وجودة فهمه وشدة حفظه وحسن ذكائه وعلو همته، وخاطبه الإمام العسكري عليه السلام بقوله: «أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقهيهي أبا الحسن عليَّ بن الحسين القميِّ وفقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته بتقوى الله»^(٣).

وكانت له مكاتبات مع النوبختي، وتوقيعات منه عليه السلام إليه، ومنها قوله عليه السلام: «قَدْ دَعَوْنَا اللَّهَ لَكَ بِذَلِكَ، وَسَتُرْزَقُ وَلَدَيْنِ ذَكَرَيْنِ خَيْرَيْنِ»، فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أمِّ ولد، وكان أبو جعفر - الشيخ الصدوق - يقول: أنا وُلدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام، ويفتخر بذلك^(٤).

لقد كانت لعلِّي بن بابويه منزلة خاصة ومقام رفيع عند السمري الذي كان يسأل عن أخباره كلَّ قريب وقادم إلى بغداد^(٥)، وأخبر بموته زمن وساعة وفاته وهو في قم، فأرخوا، فأتى الخبر بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً أنَّه قُبِضَ في تلك الساعة التي ذكرها - السمري -^(٦).

(١) روضات الجنات (ج ٤ / ص ٢٧٣ / الرقم ٣٩٧).

(٢) رياض العلماء (ج ٤ / ص ٦).

(٣) روضات الجنات (ج ٤ / ص ٢٧٤ / الرقم ٣٩٧).

(٤) رجال النجاشي (ص ٢٦١ / الرقم ٦٨٤).

(٥) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٦ / ح ٣٦٦).

(٦) المصدر السابق.

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري رحمته الله ٢٦٥

فقد روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن أبي الحسن صالح بن شعيب الطالقاني رحمته الله في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خالد، قال: حضرت بغداداً عند المشايخ رحمهم الله، فقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري رحمته الله ابتداءً منه: رحم الله علي بن الحسين بن بابويه القمي، فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورداً الخبر أنه توفي في ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمري رحمته الله بعد ذلك في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة^(١).

وهناك خبر آخر رواه الطوسي رحمته الله مشابهاً لما ذكر^(٢).
أقول: ولم نعر عن معاجز أخرى للسمري لنذكرها في هذا الباب.

* * *

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٤ / ح ٣٦٤).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٥ و ٣٩٦ / ح ٣٦٦).

المبحث الرابع:

وفاة علي بن محمد السمري رحمته الله

ذكرنا أن فترة سفارة السمري هي ثلاثة أعوام، وقد بدأت من عام (٣٢٦هـ) إلى عام (٣٢٩هـ)^(١)، ولم يفتح السمري في سفارته كما كان لأسلافه السفراء، ولم يكتسب ذلك العمق والرسوخ في الأمة كمن كان قبله، وإن كان الاعتقاد بجلالته ووثاقته كالاعتقاد بهم^(٢).

لقد روى السمري أيضاً عن الأئمة عليهم السلام، روى الطبري رحمته الله بإسناده عن علي بن محمد السمري، قال: كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَمَّا عِنْدَكَ مِنَ الْعُلُومِ، فَوَقَعَ عَلَيَّ: «عِلْمُنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: مَاضٍ، وَغَابِرٍ، وَحَادِثٌ...» إلخ^(٣).

وروى الإربلي رحمته الله بإسناده عن محمد بن علي السمري أنه قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي أَحْمَدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رُقْعَةٌ أَبِي مُحَمَّدٍ - العسكري - رحمته الله، فِيهَا: «إِنِّي نَزَلْتُ اللَّهُ فِي هَذَا الطَّاعِي - أَيِ الزُّبَيْرِيِّ - وَهُوَ أَخَذَهُ بَعْدَ ثَلَاثِ»، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ^(٤).
ورواه الحافظ في أماليه^(٥).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٤ / ح ٣٦٤).

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤١٣).

(٣) دلائل الإمامة (ص ٥٢٤ / ح ٩٩ / ٤٩٥).

(٤) كشف الغمّة (ج ٣ / ص ٢١٣).

(٥) المصدر السابق.

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري عليه السلام ٢٦٧

وقد وصلت كُتُبُ أبي جعفر العمري وفيها أحاديث سمعها من العسكري والمهدي عليهما السلام ومن أبيه عثمان بن سعيد إلى علي بن محمد السمري، واحتفظ بها عنده، وكان فيها الأسرار كما ذكرنا^(١).

وقد ألّف السمري ديواناً من الشعر سمّاه: ديوان السمري أو شعره، فقد عدّه ابن شهر آشوب رحمته الله في شعراء الشيعة^(٢)، ولكننا لم نر له شعراً^(٣).

وقبل وفاة السمري بأيّام أخرج إلى الناس توقيعاً من الإمام المهدي عليه السلام أعلن فيه عن انتهاء الغيبة الصغرى والسفارة.

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن الصفواني، قال: لَمَّا حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يُظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنّه لم يُؤمَر بأن يُوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن، وقال: لله أمرٌ هُوَ بِالْغَيْبَةِ التَّامَّةِ هِيَ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ مُضِيِّ السَّمَرِيِّ رحمته الله^(٤).

وقد وردت نصوص عديدة في أنّه قدّم طلباً للإمام المهدي عليه السلام بأن يُرسل إليه كفنًا، فورد منه عليه السلام: «إِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَنَةً ثَمَانِينَ»، فَمَاتَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ، وَبُعِثَ إِلَيْهِ بِالْكَفَنِ قَبْلَ مَوْتِهِ.

وقد رواها الطبري رحمته الله في (دلائله)، والصدوق رحمته الله في (إكمالهِ)، والحميري رحمته الله في (دلائله) عن علي بن محمد الصيمري أنّ علي بن محمد السمري كتب يسأل كفنًا... إلخ^(٥).

(١) راجع ما مرّ في (ص ١٤٩).

(٢) معالم العلماء (ص ١٨٣).

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ج ٩ ق ٢ / ص ٤٧٠).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٣ و ٣٩٤ / ح ٣٦٢).

(٥) كمال الدّين (ص ٥٠١ / باب ٤٥ / ح ٢٦)، ولم نجده في دلائل الإمامة للطبري ولا في قرب الإسناد للحميري.

٢٦٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

ولكن الكليني رحمته الله في (الكافي)، والطوسي رحمته الله في (الغيبة) رواها عن علي بن محمد الصيمري أنه كتب يسأل كفنًا، فورد فيها: «إِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَنَةً إِحْدَى وَثَمَانِينَ...، إلخ^(١).

وقد حلَّ المجلسي رحمته الله هذا فقال: المقصود من طالب الكفن قبل موته هو الصيمري لا السمري، والمظنون أن المراد بالسنة المحددة هي سنة إحدى وثمانين ومائتين، وإن كان يحتمل أن يُراد به السنة الحادية والثمانين من عمره^(٢).

لقد علمت الأمة بموت السمري، وكان أمرًا واضحًا لديها بأنَّ كلَّ من ادَّعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمَّس ضالُّ مضلُّ^(٣).
وعلمت أيضًا بالتوقيع الآخر الذي أخرجه السمري للأمة من الإمام المهدي رحمته الله في نهاية الغيبة الصغرى بانتهاء السفارة، وإعلانه رحمته الله عن بداية الغيبة الكبرى، وسنذكره في ختام البحث إن شاء الله تعالى.
لقد ذكر المؤرِّخون أنَّ وفاة السمري كانت في سنة تناثر النجوم، وهي عام (٣٢٩هـ).

قال صاحب (الروضات): رأى الناس في تلك السنة أي عام (٣٢٩هـ) تساقط الشُّهْبُ الكثيرة من السماء، وفُسر ذلك بموت العلماء، وقد كان ذلك، فإنَّه مات في تلك السنة جملة من العلماء منهم: علي بن محمد السمري، وعلي بن بابويه القمِّي ودُفِنَ بقم، والكليني، وغيرهم، فصارت تلك السنة تاريخًا من هذه

(١) الكافي (ج ١ / ص ٥٢٤ / باب مولد الصاحب عليه السلام / ح ٢٧)، وفيه (علي بن زياد الصيمري)؛ ولم نجده في الغيبة للطوسي.

(٢) مرآة العقول (ج ٦ / ص ١٩٩).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤١٢ / ح ٣٨٥).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمرى عليه السلام ٢٦٩
الجهة، وقد ذُكر في كتاب (تاريخ أخبار البشر) موت جماعة كثيرة من العلماء،
ومنهم علي بن محمد السمرى^(١).

وقد اختلف العلماء في سنة تناثر النجوم، فقد ذكر البهائي عليه السلام أنّها عام
(٢٤١هـ)، وأول كلامه صاحب (الروضات) قائلاً: ولا يبعد كونها بعينها هي سنة
تسع وعشرون وثلاثمائة، وذلك كما ذكره غير واحد منهم، فيحتمل أن يكون قد وقع
للبهائي اشتباه في الضبط أو لأحد النُسخ في رموزها الهندسيّة، فلا تغفل^(٢).
وقال التستري عليه السلام: إنّ العلامة توّهّم في موت علي بن الحسين بن بابويه
سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهي السنة التي تناثر فيها النجوم، فإنّ سنة التناثر
لم تكن في عام (٣٢٩هـ) بل كانت سنة (٣١٣هـ).

ثمّ استشهد التستري عليه السلام بقول ابن الأثير في وقائع سنة (٣٢٣هـ) أنّه قال:
وفيها في الليلة الثانية عشرة من ذي القعدة - وهي الليلة التي أوقع القرمطي
بالحجاج - انقضت الكواكب من أول الليل إلى آخره انقراضاً دائماً مسرفاً لم
يُعهَد مثله. وقال المسعودي بعد ذكر انقراض الكواكب سنة (٢٣٢هـ) في
عصر المتوكّل العبّاسي: وقد كان في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة انقراض
كوكب عظيم هائل، وهي الليلة التي وقعت فيها القرامطة بحاجّ العراق^(٣).
ويمكن الجمع بين الأقوال بأنّ تناثر النجوم وتهافتها لم ينحصر في سنة
معيّنة ومحدّدة بالذات كما تقدّم في أقوال العلماء والمؤرّخين، ولعلّ أقربها ما ذكره
النجاشي عليه السلام وهو وقوعها عام (٣٢٩هـ)، لأنّه أقرب زماناً من الغيبة، وأعرف
بها من غيره.

(١) روضات الجنّات (ج ٤ / ص ٢٧٨).

(٢) راجع: روضات الجنّات (ج ٥ / ص ٤٠).

(٣) قاموس الرجال (ج ٧ / ص ٤٣٧).

٢٧٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وقد أيد هذا البحراني رحمته الله^(١)، ووافق بعض مؤرّخي الجمهور^(٢).
وانتقل السمرى إلى الرفيق الأعلى، فأودع الأرض في قبره في الشارع
المعروف بشارع الخلنجي من ربع المحوّل قريب من شاطئ نهر أبي عتاب^(٣)،
وهو بقرب الكليني رحمته الله، وله الآن في بغداد مزار معروف^(٤).

* * *

(١) لؤلؤة البحرين (ص ٣٦٦).

(٢) روضات الجنّات (ج ٤ / ص ٢٧٨).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٦ / ح ٣٦٧).

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٤١٦).

المبحث الخامس:

دراسة ونقد لتوقيع الإمام المهدي عليه السلام

للسمري بانتهاء الغيبة الصغرى

أمّا التوقيع الصادر من الإمام المهدي عليه السلام في إعلانه لسفيره السمري بانتهاء الغيبة الصغرى والسفارة وبدء الغيبة الكبرى، فهو:

روى الطوسي رحمته الله بإسناده عن أبي محمد أحمد بن الحسن المكتب، قال: كُنْتُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُؤَيُّ فِيهَا الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْرِيُّ رضي الله عنه، فَحَضَرْتُهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ، فَأَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ تَوْقِيعًا نَسَخْتُهُ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْرِيُّ أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تُوصِلْ إِلَى أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التَّامَّةُ، فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَامْتِلَاءِ الْأَرْضِ جَوْرًا، وَسَيِّئَاتِي شِيعَتِي مَنْ يَدْعِي الْمُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَنْ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

قال: فَنَسَخْنَا هَذَا التَّوْقِيعَ، وَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ السَّادِسُ عُدْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ وَصِيكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَمْرٌ هُوَ بِالْغَيْبِ، وَقَضَى، فَهَذَا آخِرُ كَلَامٍ سَمِعَ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ^(١).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٥ / ح ٣٦٥)؛ ورواه الصدوق رحمته الله في كمال الدين (ص ٥١٦ /

ويقع الكلام هنا في مقامين:
أولاً: في سند هذا الحديث المشهور المستفيض.
ثانياً: في دلالته.

أما الكلام في المقام الأول:

فاعلم أن هذا الحديث صحيح عال اصطلاحاً، لأنه مروى عن الإمام المهدي ﷺ بواسطة ثلاثة من الرواة، هم:

- ١ - السمرري، سفير الإمام المهدي ﷺ.
- ٢ - الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي.
- ٣ - أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب.

ونخصّ الكلام في الشخصية الثالثة، لتقدّم الكلام في الشخصين الأولين: قال عناية الله: وقد روى عنه الصدوق مكرراً مترصياً مترحماً، وهذا من أمارات الصحّة والوثاقة. ثم ذكرت شواهد له كثيرة^(١).
ونشير هنا إلى أمرين:

الأمر الأول: روي في (الغيبة) هكذا: أَخْبَرَنَا جَمَاعَةٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَابُوَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُكْتَبُ، قَالَ: كُنْتُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ... الخبر^(٢). وساق مثله ما نقله ابن بابويه في (كمال الدين وتمام النعمة)^(٣). وقد عرفت أن الذي روى عنه ابن بابويه هو الحسن بن أحمد وليس أحمد بن الحسن، والظاهر أن السهو في كتاب الشيخ وقع من السُّنَّاحِ،

(١) راجع: مجمع الرجال (ج ٢ / ص ٩٨، وج ٧ / ص ١٩٠ و ١٩١).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٥ / ح ٣٦٥).

(٣) كمال الدين (ص ٥١٦ / باب ٤٥ / ح ٤٤).

الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي عليه السلام علي بن محمد السمري رحمته الله ٢٧٣
ويؤيد هذا السهو ما رواه النوري الطبرسي في (جنته المأوى) في الفائدة الأولى،
وعن (غيبة الطوسي) عن الحسن بن أحمد المكتب^(١). والله العالم.
الأمر الثاني: أن صاحب (المستدرک) مع سعة باعه وكثرة اطلاعه واهتمامه
في استقصاء أسماء مشايخ الصدوق كان قد غفل عن هذه الشخصية العظيمة
التي روى عنها الصدوق مكرراً مترصياً مترحماً، وأمثال هذه الأمور تبعث على
الفحص والتتبع، وتوجب الظفر بما غفل عنه من قبله، فقد روى عناية الله في
(مجمع رجاله) هذا الحديث عن كتاب (ربيع الشيعة) لابن طاوس رحمته الله حاكياً
عن الحسن بن أحمد المكتب، فتأمل^(٢).
وقد طعن في سند هذا الحديث...

فقالوا: إنه خبر واحد، مرسل، ضعيف، لم يعمل به ناقله - وهو الشيخ في
الكتاب المذكور -، وأعرض عنه الأصحاب، فلا يعارض تلك الوقائع
والقصص التي يحصل القطع عن مجموعها، بل من بعضها المتضمن لكرامات
ومفاخر لا يمكن صدورها عن غيره عليه السلام.

ويمكن المناقشة في تلك المطاعن وردّها كلّها بأمور:
أولاً: أن كونه خبراً واحداً ليس نقصاً فيه، لما ثبت في الأصول من حجّية
الخبر الواحد الثقة، والقول بعدم حجّيته فهو قول شاذ لا يقول به إلا النادر من
العلماء.

ثانياً: أن كونه مرسلًا، غير تامّ، إذ قد رواه الطوسي رحمته الله في (الغيبة)،
والصدوق رحمته الله في (إكماله)، وغيرهما، فأين الإرسال؟!
والزمن بحسب العادة مناسب مع وجود الواسطة الواحدة.

(١) جنته المأوى (ص ١٥٩).

(٢) مجمع الرجال (ج ٧ / ص ١٩٠ و ١٩١).

٢٧٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

وأما ما ذكره الطبرسي رحمته الله هذا الخبر مرسلًا من دون ذكر السند، فإنه التزم في أول كتابه (الاحتجاج) بأنه لا يذكر فيه سند الأحاديث، إما بسبب موافقتها للإجماع، أو اشتهاؤها بين المخالف والمؤلف، أو موافقتها بحكم العقل^(١).

فظهر أن الحديث المذكور أيضاً كان غنياً عن ذكر السند إما لموافقتها للإجماع، أو لاشتهاره، أو كليهما معاً، لأن علماءنا ابتداءً من الصدوق رحمته الله إلى زماننا هذا استندوا إليه واعتمدوا عليه، ولم يناقش فيه أحد أو يتأمل في اعتباره كما لا يخفى على من له أنس وتتبع في كلماتهم ومصنفاتهم، إذن هذه من الروايات القطعية التي لا ريب فيها ولا شبهة تعترها، قال عليه السلام: «المجمع عليه لا ريب فيه»^(٢).

ثالثاً: أن كونه ضعيفاً لا يُسلم به، وعلى تقدير التسليم فإنه للإثبات التاريخي وإن لم يكن كافياً لإثبات الحكم الشرعي.

رابعاً: وأما إعراض الأصحاب كالطوسي رحمته الله وغيره، فهو تخيل ووهم، لأن الشيخ وغيره اعتبروا إثبات رؤية المهدي رحمته الله في غيبته الكبرى هو مما لا شك فيه، إلا أنه إنما يصلح دليلاً على إعراضهم لو كانت هناك معارضة ومنافاة بين التوقيع وإثبات الرؤية، وأما مع عدم المعارضة فيمكن أن يكون الطوسي رحمته الله وغيره قد التزموا بكلا الناحيتين من دون تكاذب بينهما، ومعه لا دليل على هذا الإعراض منهم، ولو كان هذا حاصلًا عنهم لما أضرَّ بحجَّة الخبر، لما هو الثابت المحقق في علم الأصول بأن إعراض العلماء عن الرواية لا يوجب وهناً في الرواية لا سنداً ولا دلالة^(٣).

(١) الاحتجاج (ج ١ / ص ٤).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٦٨ / باب اختلاف الحديث / ح ١٠).

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى (ص ٦٤١ و ٦٤٢).

أما الكلام في المقام الثاني:

فقد تقدّم ذكرنا التوقيع عنه عليه السلام، وقد جاء فيه: «فقد وقعت الغيبة التامة»، وهو تعليل لقوله عليه السلام: «ولا توص لأحدٍ يقوم مقامك»، ويدلُّ هذا على أنّ الغيبة الكبرى هي التي انقطعت النيابة والسفارة الخاصة فيها. وأكّد ذلك بقوله عليه السلام: «وَسَيَأْتِي لِشِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمَشَاهِدَةَ»، ولا شبهة في أنّ المراد بها هو وقوعها على نحو ما وقع للسفراء الأربعة، وقد صرح بأنّ كلّ من ادّعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمّس ضالٌّ مضلٌّ.

فالمشاهدة هنا مقيّدة بكونها على نحو البايّة والسفارة الخاصة لا مطلق المشاهدة، وهو من باب ذكر المطلق وإرادة المقيّد، أو ذكر العام وإرادة الخاصّ، وهذا شائع في العرف واللغة.

فلا تنافي إذن بين التوقيع الشريف ووقوع المشاهدة زمن الغيبة الكبرى لكثير منّ فاز بشرف رؤيته عليه السلام، قال العلماء: إنّ هذا الوجه قريب جداً، وقد نُقل عن (البحار)^(١) وغيره.

هذا، وقد قيل في الجمع بين وقوع المشاهدة في الغيبة الكبرى والتوقيع الصادر منه عليه السلام وجوه، وهي بعيدة، ولا حاجة للتعرّض لها هنا، وهي مذكورة في (البحار)، فراجعها^(٢).

وقد أكّد الإمام المهدي عليه السلام في توقيعه للسمري أموراً عديدة، هي:
أولاً: إخباره بموت السمري في غضون ستّة أيام، وهو من الإخبار بالغيب الذي يمكن تحقّقه للإمام عليه السلام، ولم يشكّ أحد يومئذٍ في صدق الخبر،

(١) بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ١٥١ / ذيل الحديث ١).

(٢) الفوائد المذكورة في بحار الأنوار (ج ٥٣ / ص ٣١٨ - ٣٢٥) هي من كتاب جنة المأوى (ص ١٥٩ - ١٦٦)، فتنبّه.

٢٧٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

فغدا أصحابه بعد ستة أيام، فوجدوه يجود بنفسه، وتحقق كما أخبر عنه الإمام ﷺ.

ثانياً: إيعازه ﷺ بانتهاء السفارة وبداية الغيبة الكبرى بموت السمري، وأن لا يُوصي بعده لأحد.

ثالثاً: الإغماض عن ذكر تاريخ الظهور، وأن لا يظهر منه ﷺ إلا بإذنه تعالى.

رابعاً: إعرابه عن أمد الغيبة الكبرى بأنه سيكون طويلاً مديداً.
خامساً: إشارته في التوقيع إلى أمور غيبية كقسوة القلوب، وضعف الوازع الإيماني، وعدم الشعور بالمسؤولية، والمشاركة على الانحراف.

سادساً: إخباره ﷺ عن السفيناني والصيحة، وأنه حق لا محيص عنه قبل خروجه وظهوره، وتصديقه ما جاء عن النبي ﷺ في الأمور الغيبية.

سابعاً: إخباره ﷺ عن امتلاء الأرض ظلماً وجوراً، وفقدان العدالة، وغلبة الشهوات وسيطرتها على العالم.

ثامناً: تصريحه ﷺ بأن من ادعى المشاهدة له كرؤية السفراء له، مدعين البابية عنه ﷺ والسفارة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو مفتر كذاب^(١).

* * *

(١) راجع: تاريخ الغيبة الصغرى (ج ١ / ص ٦٣٤ - ٦٣٩).

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: الحرّ العاملي / ط ١ / ١٤٢٥هـ / مؤسّسة الأعلمي / بيروت.
- ٣ - إثبات الوصيّة للإمام عليّ بن أبي طالب: عليّ بن الحسين بن عليّ الهذلي المسعودي / ط ٣ / ١٤٢٦هـ / أنصاريان / قم.
- ٤ - الاحتجاج: أحمد بن عليّ الطبرسي / تعليق وملاحظات: السيّد محمّد باقر الخرسان / ١٣٨٦هـ / دار النعمان / النجف الأشرف.
- ٥ - اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): الشيخ الطوسي / تحقيق: السيّد مهدي الرجائي / ١٤٠٤هـ / مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
- ٦ - الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: محمّد صديق خان القنوجي / بعناية: بسّام عبد الوهّاب الجابي / ط ١ / ١٤٢١هـ / دار ابن حزم / بيروت.
- ٧ - الإرشاد: الشيخ المفيد / تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام / ط ٢ / ١٤١٤هـ / دار المفيد / بيروت.
- ٨ - أصول مذهب الشيعة الإماميّة الاثني عشرية: ناصر بن عبد الله القفاري.
- ٩ - الاعتقادات في دين الإماميّة: الشيخ الصدوق / تحقيق: عصام عبد السيّد / ط ٢ / ١٤١٤هـ / دار المفيد / بيروت.

٢٧٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

١٠ - إعلام الوري بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي / ط ١ / ١٤١٧هـ / مؤسسه آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم.

١١ - أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين / تحقيق وتخريج: حسن الأمين / دار التعارف للمطبوعات / بيروت.

١٢ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني / دار إحياء التراث العربي.

١٣ - إقبال الأعمال: السيد علي بن طاوس / تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني / ط ١ / ١٤١٤هـ / مكتب الإعلام الإسلامي.

١٤ - آل نوبخت: عباس إقبال الآشتياني / تعريب: علي هاشم الأسدي / ط ١ / ١٣٨٣ش / آستان قدس رضوي / مشهد.

١٥ - الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: أسد حيدر / ط ٥ / ١٤٢٢هـ / دار التعارف / بيروت.

١٦ - الإمام المهدي ﷺ عند أهل السنة: مهدي الفقيه إيماني / ١٤٠٢هـ / ط ٢ / مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام / أصفهان.

١٧ - انتظار الإمام: الدكتور عبد الهادي الفضلي.

١٨ - الأنساب: السمعاني / تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي / ط ١ / ١٤٠٨هـ / دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت.

١٩ - الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: الشيخ عباس القمي / ط ١ / ١٤١٧هـ / مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٠ - أنوار الملكوت في شرح الياقوت: العلامة الحلي / ط ٢ / ١٣٦٣ش / انتشارات الشريف الرضي / قم.

٢١ - الأنوار النعمانية: السيد نعمة الله الجزائري / قدم له وعلق عليه: محمد علي القاضي الطباطبائي / ط ١ / ١٤٣١هـ / مؤسسه الأعلمي / بيروت.

- ٢٢ - أنيس العابدين: محمد بن محمد الطيّب.
- ٢٣ - أوائل المقالات: الشيخ المفيد/ تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري/
ط ٢ / ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
- ٢٤ - الأوراق: محمد بن يحيى الصولي/ تحقيق: ج. هيورث. دن/ قدّم
هذه الطبعة: منير سلطان/ ٢٠٠٤م/ شركة الأمل للطباعة والنشر.
- ٢٥ - إيضاح الاشتباه: العلامة الحليّ/ تحقيق: الشيخ محمد الحسون/
ط ١ / ١٤١١هـ/ مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم
المشرّفة.
- ٢٦ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: العلامة
المجلسي/ تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني وعبد الرحيم الربّاني الشيرازي/
ط ٢ / ١٤٠٣هـ/ مؤسّسة الوفاء/ بيروت.
- ٢٧ - بحث حول المهدي ﷺ: السيّد محمد باقر الصدر/ تحقيق: عبد
الجبار شرارة/ ط ١ / ١٤١٧هـ/ مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة.
- ٢٨ - البداية والنهاية: ابن كثير/ تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري/
ط ١ / ١٤٠٨هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- ٢٩ - البلد الأمين: الكفعمي/ ١٣٨٣هـ/ مكتبة الصدوق/ طهران.
- ٣٠ - بهجة الآمال في شرح زبدة المقال: الحاجّ ملاّ عليّ العلياري
التبريزي/ عنى بتصحيحه وتخريج مصادره: السيّد هداية الله المسترّحي/ ط ٢/
١٤١٢هـ/ بنياد فرهنگ إسلامي كوشانپور/ طهران.
- ٣١ - البيان في أخبار صاحب الزمان المطبوع ضمن كفاية الطالب: محمد
ابن يوسف الكنجي الشافعي/ ط ٢ / ١٤٠٤هـ/ دار إحياء تراث أهل
البيت ﷺ/ طهران.

٢٨٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

٣٢ - بين التصوف والتشيع: السيد هاشم معروف الحسني / ١٤٢٧هـ /

دار التعارف / بيروت.

٣٣ - تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم: الشيخ الطبرسي / ط

١٤٠٦هـ / مكتبة آية الله المرعشي / قم.

٣٤ - تاريخ ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بـ (ابن

الوردي).

٣٥ - تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون / ط ٤ / دار إحياء التراث العربي /

بيروت.

٣٦ - تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر): أبو الفداء / دار المعرفة

للطباعة والنشر / بيروت.

٣٧ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي / تحقيق: عمر

عبد السلام تدمري / ط ١ / ١٤٠٧هـ / دار الكتاب العربي.

٣٨ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: حسن

إبراهيم حسن / ط ١٤ / ١٤١٦هـ / دار الجيل، بيروت / مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة.

٣٩ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي / تحقيق: لجنة من الأدباء /

دار التعاون / مكة المكرمة.

٤٠ - تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان.

٤١ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير الطبري /

ط ٤ / ١٤٠٣هـ / مؤسسة الأعلمي / بيروت.

٤٢ - تاريخ الغيبة الصغرى: السيد محمد الصدر / ١٤١٢هـ / دار

التعارف / بيروت.

المصادر والمراجع..... ٢٨١

- ٤٣ - تاريخ الموصل: يزيد بن محمد الأزدي / تحقيق وتصحيح: أحمد عبد الله محمود / ط ١ / ١٤٢٧هـ / دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٤٤ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام: الخطيب البغدادي / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / ط ١ / ١٤١٧هـ / دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٤٥ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: السيد حسن الصدر / منشورات الأعلمي / طهران.
- ٤٦ - تجارب الأمم: أحمد بن محمد مسكويه الرازي / تحقيق: أبو القاسم إمامي / ط ٢ / ١٤٢٢هـ / دار سروش.
- ٤٧ - تحية الزائر وبلغة المجاور: ميرزا حسين النوري الطبرسي.
- ٤٨ - التشيع والشيعة: أحمد الكسروي / ١٣٦٤ش / مطبعة بيان / طهران.
- ٤٩ - تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد / تحقيق: حسين دركاهي / ط ٢ / ١٤١٤هـ / دار المفيد / بيروت.
- ٥٠ - تقريب المعارف: أبو الصلاح الحلبي / تحقيق: فارس الحسون / ط ١٤١٧هـ.
- ٥١ - تلخيص الشافي: الشيخ الطوسي / ط ١ / ١٣٨٢ش / انتشارات المحييين / قم.
- ٥٢ - التنبيه والإشراف: المسعودي / دار صعب / بيروت.
- ٥٣ - تنقيح المقال في علم الرجال: الشيخ عبد الله المامقاني.
- ٥٤ - تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي / تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان / ط ٣ / ١٣٦٤هـ / دار الكتب الإسلامية / طهران.
- ٥٥ - جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطُّرق والأسناد: محمد علي الأردبيلي / مكتبة المحمودي.

- ٢٨٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام
- ٥٦ - جمال الأسبوع: ابن طاوس / تحقيق: جواد القيومي / ط ١ / ١٣٧١ش / مطبعة اختر شمال / مؤسّسة الآفاق.
- ٥٧ - جنّة المأوى: الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء / تحقيق: السيّد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي / ط ١ / ١٤٢٩هـ / دليل ما.
- ٥٨ - الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام: الأستاذ آدم متز.
- ٥٩ - حياة الحيوان الكبرى: كمال الدّين الدميري.
- ٦٠ - الخرائج والجرائح: قطب الدّين الراوندي / بإشراف: السيّد محمّد باقر الموحّد الأبطحي / ط ١ / ١٤٠٩هـ / مؤسّسة الإمام المهدي ﷺ / قم.
- ٦١ - خلاصة الأقوال: العلامة الحليّ / ط ١ / ١٤١٧هـ / مؤسّسة نشر الفقهة.
- ٦٢ - دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة: حسن الأمين / ط ٦ / ١٤٢٢هـ / دار التعارف / بيروت.
- ٦٣ - الدرر المكنونة في الإمام والإمامة: السيّد حسن الميرجهاني الطباطبائي.
- ٦٤ - دلائل الإمامة: محمّد بن جرير الطبري الشيعي / ط ١ / ١٤١٣هـ / مؤسّسة البعثة / قم.
- ٦٥ - ديوان ابن الرومي: ابن الرومي / شرح: أحمد حسن بسج / ط ٣ / ١٤٢٣هـ / دار الكُتب العلميّة / بيروت.
- ٦٦ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهراني / ط ٣ / ١٤٠٣هـ / دار الأضواء / بيروت.
- ٦٧ - ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: الشهيد الأوّل / ط ١ / ١٤١٩هـ / مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث / قم.

المصادر والمراجع..... ٢٨٣

٦٨ - رجال البرقي: أحمد بن محمد بن خالد البرقي / انتشارات دانشگاه تهران.

٦٩ - رجال الطوسي (الأبواب): الشيخ الطوسي / ط ١ / ١٤١٥هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي.

٧٠ - رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنّفي الشيعة): أبو العبّاس أحمد ابن عليّ بن أحمد بن العبّاس النجاشي الأَسدي الكوفي / ط ٥ / ١٤١٦هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة.

٧١ - رسالة في آل أعين: أبو غالب الزراري / شرح: السيّد محمد عليّ الموسوي الموحد الأبطحي الأصفهاني / ١٣٩٩هـ.

٧٢ - روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات: السيّد محمد باقر الخونساري / تحقيق: أسد الله إسماعيليان / ط ١ / ١٣٩٠هـ / الناشر: إسماعيليان / قم.

٧٣ - رياض العلماء وحياض الفضلاء: الميرزا عبد الله أفندي الأصفهاني / تحقيق: أحمد حسيني الإشكوري / ط ١ / ١٤٣١هـ / مؤسّسة التاريخ العربي / بيروت.

٧٤ - زاد المعاد: العلامة محمد باقر المجلسي / تعريب وتعليق: علاء الدّين الأعلمي / ط ١ / ١٤٢٣هـ / مؤسّسة الأعلمي / بيروت.

٧٥ - سفينة البحار ومدينة الحُكم والآثار: الشيخ عبّاس القميّ / ط ١ / ١٤١٤هـ / دار الأُسوة / قم.

٧٦ - سير أعلام النبلاء: شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / إشراف وتخريج: شعيب الأرناؤوط / تحقيق: حسين الأسد / ط ٩ / مؤسّسة الرسالة / بيروت.

٢٨٤ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

٧٧ - شرح مقامات الحريري: أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي / تحقيق وتصحيح: إبراهيم شمس الدين / ط ٢ / ١٤٢٧هـ / دار الكُتُب العلميَّة / بيروت.

٧٨ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / ط ١ / ١٣٧٨هـ / دار إحياء الكُتُب العربيَّة / بيروت.

٧٩ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي / ط ٢ / ١٤١٠هـ / أوقاف مصر.

٨٠ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري / دار الفكر / بيروت.

٨١ - الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم: عليُّ بن يونس العاملي النباطي البياضي / تصحيح وتعليق: محمد باقر البهودي / ط ١ / ١٣٨٤هـ / المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفرية.

٨٢ - صلة تاريخ الطبري: عريب بن سعد القرطبي / مؤسَّسة الأعلمي / بيروت.

٨٣ - الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي / خرَّج أحاديثه وعلَّق حواشيه وقَدَّم له: عبد الوهَّاب عبد اللطيف / ط ٢ / ١٣٨٥هـ / مكتبة القاهرة لصاحبها عليُّ يوسف سليمان / القاهرة.

٨٤ - ضحى الإسلام: أحمد أمين / ط ٧ / مكتبة النهضة المصريَّة / القاهرة.

٨٥ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: السيِّد عليُّ بن طاوس / ط ١ / ١٣٩٩هـ / مطبعة الخيام / قم.

- ٨٦ - ظهر الإسلام: أحمد أمين/ ط ٥ / دار الكتاب العربي/ بيروت.
- ٨٧ - العبر في خبر من غبر: الذهبي / تحقيق: فؤاد سيّد / ١٩٦١م / الكويت.
- ٨٨ - العبقري الحسان في أحوال صاحب الزمان عليه السلام: الشيخ علي أكبر النهاوندي/ تحقيق وتصحيح: صادق برزگر وحسين أحمد قمي / ط ١ / ١٣٨٦ش / مسجد جمران.
- ٨٩ - العرف الوردي في أخبار المهدي: جلال الدين السيوطي / ط ١ / ١٤٢٧هـ / المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية / طهران.
- ٩٠ - عقيدة الشيعة: دوايت رونالدسن / تحقيق وتصحيح: عليّ دهباشي / ط ٢ / مؤسّسة المفيد / بيروت.
- ٩١ - العقيدة والشريعة في الإسلام: جولد تسيهر / ترجمة: محمد يوسف موسى وعليّ حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحقّ / دار الكُتب الحديثة بمصر.
- ٩٢ - عيون الأنباء: ابن أبي أصيبعة.
- ٩٣ - الغيبة: ابن أبي زينب النعماني / تحقيق: فارس حسّون كريم / ط ١ / ١٤٢٢هـ / أنوار الهدى.
- ٩٤ - الغيبة: الشيخ الطوسي / تحقيق: عبد الله الطهراني وعليّ أحمد ناصح / ط ١ / ١٤١١هـ / مطبعة بهمن / مؤسّسة المعارف الإسلامية / قم.
- ٩٥ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ابن الطقطقي / تحقيق: عبد القادر محمد مايو / ط ١ / ١٤١٨هـ / دار القلم العربي / بيروت.
- ٩٦ - فرج المهموم: ابن طاوس / ١٣٦٣ش / مطبعة أمير / منشورات الشريف الرضي / قم.

٢٨٦ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

٩٧ - فِرَق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي / ١٤٠٤هـ / دار الأضواء/ بيروت.

٩٨ - الفِرَق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمّد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني / ط ٢ / ١٩٧٧م / دار الآفاق الجديدة.

٩٩ - الفصول العشرة في الغيبة: الشيخ المفيد / تحقيق: الشيخ فارس الحسّون / ط ٢ / ١٤١٤هـ / دار المفيد / بيروت.

١٠٠ - الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: عليّ بن محمّد أحمد المالكي المكي (ابن الصبّاغ) / تحقيق: سامي الغريبي / ط ١ / ١٤٢٢هـ / دار الحديث / قم.

١٠١ - الفهرست: الشيخ الطوسي / تحقيق: جواد الفيومي / ط ١ / ١٤١٧هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي.

١٠٢ - فهرست ابن النديم: ابن النديم البغدادي / تحقيق: رضا تجدد.

١٠٣ - قاموس الرجال: الشيخ محمّد تقي التستري / ط ٢ / ١٤١٠هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة.

١٠٤ - قيام القائم: مصطفى غالب.

١٠٥ - الكافي: الشيخ الكليني / تحقيق: عليّ أكبر الغفاري / ط ٥ / ١٣٦٣ش / مطبعة حيدري / دار الكُتب الإسلاميّة / طهران.

١٠٦ - الكامل في التاريخ: عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد ابن محمّد الشيباني (ابن الأثير) / ١٣٨٥هـ / دار الصادر / بيروت.

١٠٧ - الكتاب المقدّس (العهد القديم): دار الكتاب المقدّس.

١٠٨ - كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: عليّ بن أبي الفتح الإربلي / ط ٢ / ١٤٠٥هـ / دار الأضواء / بيروت.

- ١٠٩ - كشف المحجوب: عليُّ الهجويري.
- ١١٠ - كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق / تصحيح وتعليق: عليُّ أكبر الغفاري / ١٤٠٥ هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة.
- ١١١ - كنز الفوائد: أبو الفتح محمّد بن عليِّ الكراجكي / ط ٢ / ١٣٦٩ ش / مكتبة المصطفوي / قم.
- ١١٢ - الكنى والألقاب: الشيخ عبّاس القمّي / تقديم: محمّد هادي الأميني / مكتبة الصدر / طهران.
- ١١٣ - لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني / ط ٢ / ١٣٩٠ هـ / مؤسّسة الأعلمي / بيروت.
- ١١٤ - لؤلؤة البحرين: المحقّق البحراني / مخطوط.
- ١١٥ - مآثر الكبراء في تاريخ سامراء: الشيخ ذبيح الله المحلّاتي / ط ١ / ١٣٨٤ ش / المكتبة الحيدريّة / قم.
- ١١٦ - مجالس المؤمنين: القاضي نور الله المرعشي التستري / دار هشام.
- ١١٧ - مجمع الرجال: عناية الله بن عليِّ القهبائي / صحّحه وعلّق عليه: ضياء الدين العلّامة / ١٣٨٧ هـ / أصبهان.
- ١١٨ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميّة: الشيخ محمّد الخضري.
- ١١٩ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي / وضع حواشيه: خليل المنصور / ط ١ / ١٤١٧ هـ / دار الكُتب العلميّة / بيروت.
- ١٢٠ - مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: العلّامة المجلسي / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ / قدّم له: السيّد مرتضى العسكري / إخراج ومقابلة وتصحيح: السيّد هاشم الرسولي / دار الكُتب الإسلاميّة.

٢٨٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

١٢١ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: عبد المؤمن
البغدادي/ تحقيق وتصحيح: عليّ محمد بجاوي/ ط ١ / ١٤١٢هـ/ دار الجيل/
بيروت.

١٢٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: عليّ بن الحسين بن عليّ
المسعودي/ ط ٢ / ١٤٠٤هـ/ منشورات دار الهجرة/ قم.

١٢٣ - المزار الكبير: محمّد بن جعفر المشهدي/ تحقيق: جواد القيومي
الأصفهاني/ ط ١ / ١٩١٩هـ/ نشر القيوم/ قم.

١٢٤ - مصباح الزائر: السيّد عليّ بن موسى بن طاوس/ ط ١ /
١٤١٧هـ/ مؤسّسة آل البيت للإحياء التراث/ قم.

١٢٥ - مصباح المتهدّد: الشيخ الطوسي/ ط ١ / ١٤١١هـ/ مؤسّسة فقه
الشيعة/ بيروت.

١٢٦ - معالم العلماء: ابن شهر آشوب/ قم.

١٢٧ - معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ تصحيح وتعليق: عليّ أكبر
الغفاري/ ١٣٧٩هـ/ مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم
المشرّفة.

١٢٨ - معجم الأدباء: ياقوت الحموي/ ط ٣ / ١٤٠٠هـ/ دار الفكر/
بيروت.

١٢٩ - معجم البلدان: شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
الحموي الرومي البغدادي/ ١٣٩٩هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٣٠ - معجم المؤلّفين: عمر كحالة/ مكتبة المثنيّ ودار إحياء التراث
العربي/ بيروت.

١٣١ - معجم رجال الحديث: السيّد الخوئي/ ط ٥ / ١٤١٣هـ.

المصادر والمراجع..... ٢٨٩

١٣٢ - مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمّي / ط ٣ / ٢٠٠٦م / مكتبة العزيزي / قم.

١٣٣ - المقالات والفرق: أبو الخلف سعد الأشعري القمّي / ط ٢ / ١٣٦٠ش / مركز انتشارات علمي وفرهنگي.

١٣٤ - الملل والنحل: الشهرستاني / دار المعرفة / بيروت.

١٣٥ - من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري / ط ٢ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

١٣٦ - مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / ١٣٧٦هـ / المكتبة الحيدريّة / النجف الأشرف.

١٣٧ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد ابن الجوزي / دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا / راجعه وصحّحه: نعيم زرزور / ط ١ / ١٤١٢هـ / دار الكُتب العلميّة / بيروت.

١٣٨ - منتهى الآمال في تواريخ النبيّ والآل: الشيخ عبّاس القمّي / ط ٢ / ١٤٣٢هـ / دار المصطفى العالميّة / بيروت، وط ٥ / ١٤٢٢هـ / جامعة المدرّسين / قم.

١٣٩ - منتهى المقال: الشيخ المازندراني / ط ١ / ١٤١٦هـ / مؤسّسة آل البيت عليه السلام / قم.

١٤٠ - منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال: محمّد بن عليّ الأسترآبادي / ط ١ / ١٤٢٢هـ / مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم.

١٤١ - مهج الدعوات ومنهج العبادات: ابن طاوس / كتابخانه سنائي.

٢٩٠ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

١٤٢ - المهدي: صدر الدين الصدر / ١٣٩٨هـ / مكتبة المنهل / الكويت.

١٤٣ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / تحقيق: عليّ محمد البجاوي / ط ١ / ١٣٨٢هـ / دار المعرفة / بيروت.

١٤٤ - نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي.

١٤٥ - نقد الرجال: السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي / مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم.

١٤٦ - الوافي بالوفيات: الصفدي / تحقيق: أحمد الأرنبوط و تركي مصطفى / ١٤٢٠هـ / دار إحياء التراث.

١٤٧ - وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): الحرّ العاملي / ط ٢ / ١٤١٤هـ / مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم.

١٤٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلّكان / تحقيق: إحسان عبّاس / دار الثقافة.

١٤٩ - الياقوت في علم الكلام: أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت / ط ١ / ١٤١٣هـ / مكتبة المرعشي / قم.

* * *

الضهرس

٣	مقدّمة المركز
١١	تقريظ الأستاذ العلامة جعفر السبحاني
١٣	ما عشت أراك الدهر عجباً
١٧	المقدّمة
٢٩	الفصل الأوّل: نظرة متكاملة حول سفارة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
٣١	المبحث الأوّل: الأهداف المرتقّبة من السفارة المهدويّة
٣١	الأمر الأوّل: إثبات وجوده وحياته عن طريق سفرائه
٣٢	الأمر الثاني: رعاية شؤون الأُمّة الإسلاميّة
٣٢	الأمر الثالث: تهيئة الأُمّة لاستيعاب مفهوم الغيبة الكبرى
٣٤	المبحث الثاني: مقوّمات السفراء الأربعة للإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
٣٦	المبحث الثالث: الصيغ العمليّة والأيدلوجيّة الجديدة في عمل السفراء... ..
٣٦	أوّلاً: إثبات صدق سفارتهم بإقامتهم الدلائل الباهرة
٣٨	ثانياً: بذل الجهود في إخفاء أمر الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
٤٠	ثالثاً: إخراج التوقعات عن الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> في قضايا الأُمّة
٤٠	الملاحظة الأوّلى: تشابه خطّ الأئمّة <small>عليهم السلام</small>
٤١	الملاحظة الثانية: كيفيّة استلام التوقعات
٤٢	الملاحظة الثالثة: مدّة خروج التوقعات
٤٢	أ - التوقيع الشفوي

٢٩٢ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

- ب - التوقيع بنحو الرسالة المستعجلة ٤٢
- ج - التوقيع الغيبي ٤٢
- د - التوقيع بعد ساعات ٤٣
- هـ - التوقيع بعد ثلاثة أيّام ٤٣
- و - التوقيع على مجموعة أسئلة ٤٣
- رابعاً: قبض الأموال وتوزيعها على الأمة ٤٤
- المبحث الرابع: تساؤلات على طاولة البحث حول السفارة ٤٥
- السؤال الأوّل: لماذا لم يختار الإمام المهدي ﷺ سفراءه من العلويين؟ ٤٥
- السؤال الثاني: لماذا اختار الإمام المهدي ﷺ بغداد لسفارته؟ ٤٦
- أولاً: البعد عن الرقابة ٤٩
- ثانياً: إرسال بياناته إلى الأمة الإسلامية ٤٩
- ثالثاً: تطبيقه مسلك الاحتجاب وتتميمه بأعلى مستواه ٥٠
- رابعاً: موقع بغداد السياسي والجغرافي ٥٠
- السؤال الثالث: ما هو الهدف من اختيار الوكلاء في أمر السفارة؟ ٥٠
- أولاً: تسهيل أمر السفراء وتوسعة عملهم ٥١
- ثانياً: نظام الوكلاء ساهم في إخفاء عمل السفراء ٥٢
- الأوّل: حاجز الوشاء ٥٢
- الثاني: أبو طاهر محمد بن عليّ بن بلال ٥٣
- الثالث: العطار ٥٣
- الرابع: العاصمي ٥٤
- الخامس: الأهوازي ٥٤
- السادس: القمّي الأشعري ٥٥

الفهرس.....	٢٩٣
السابع: الهمداني.....	٥٥
الثامن: البسامي.....	٥٦
التاسع: الرازي الأسيدي.....	٥٦
العاشر: القاسم بن العلاء.....	٥٧
الحادي عشر: النعيمي النيشابوري.....	٥٨
الفصل الثاني: دراسة موضوعية للسفارة، ودور السفراء في ترسيخ مفهوم	
الغيبة.....	٦١
المدخل: آراء العلماء حول السفراء.....	٦٣
الباب الأوّل: السفير الأوّل للإمام المهدي <small>عليه السلام</small> عثمان بن سعيد العمري <small>رحمته الله</small>	٦٧
المبحث الأوّل: عثمان بن سعيد العمري <small>رحمته الله</small> في الميزان.....	٦٩
أمّا منزلته عند الإمام الهادي <small>عليه السلام</small>	٧٤
أمّا موقف الإمام العسكري <small>عليه السلام</small> منه <small>رحمته الله</small>	٧٨
أولاً: مسلك الاحتجاب والاختفاء.....	٨١
ثانياً: تجديد نظام المكاتبات.....	٨٢
ثالثاً: نظام الوكلاء.....	٨٢
أمّا موقف الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> من عثمان بن سعيد العمري.....	٨٤
الأوّل: إعلام أصحابه بولادته.....	٨٦
الثاني: اعتماد الإمام على بعض أصحابه في تبليغ الولادة.....	٨٦
الثالث: كتمان خبر الولادة.....	٨٩
المبحث الثاني: وقوع الاشتباه في عثمان بن سعيد من بعض الأعلام.....	٩٢
الاشتباه الأوّل: اشتباه العلامة وابن شهر آشوب <small>رحمتهما الله</small>	٩٢
الاشتباه الثاني: اشتباه الطوسي <small>رحمته الله</small>	٩٣

٢٩٤	سفر المهدي <small>عليه السلام</small> بين الحقائق والأوهام
	المبحث الثالث: التراث الذي خلفه عثمان بن سعيد العمري للأمة الإسلامية
٩٦	أولاً: ما تركه من روايات وأحاديث عن الأئمة <small>عليهم السلام</small>
٩٦	ثانياً: تراثه في الأدعية
٩٨	ثالثاً: تراثه في ما خرج عنه من توقيعات
٩٩	التوقيع الأول: في من أنكر الحجّة
١٠٠	التوقيع الثاني: في من ارتاب في الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
١٠١	التوقيع الثالث: تكذيبه لجعفر في ادّعائه الإمامة
	المبحث الرابع: المعجزات التي ظهرت من الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> على يدي عثمان
١٠٢	ابن سعيد العمري
١٠٣	أولاً: الإخبار عن أمور الغيبة
١٠٤	ثانياً: علمه بموت المصري في مكّة
١٠٤	ثالثاً: إثبات صحّة سفارته عن الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
١٠٤	رابعاً: قضية مدهشة للعقول
	المبحث الخامس: وفاة عثمان بن سعيد العمري وبرقيّة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
١٠٦	بالمواساة
١٠٩	الباب الثاني: السفير الثاني للإمام المهدي <small>عليه السلام</small> محمد بن عثمان العمري <small>رحمته الله</small>
١١١	المبحث الأول: محمد بن عثمان العمري في الميزان
١١٣	أمّا منزلته في الأمة الإسلامية
١١٧	أمّا منزلته عند الإمام الهادي <small>عليه السلام</small>
١١٩	أمّا منزلته عند الإمام العسكري <small>عليه السلام</small>
١٢٢	أمّا منزلته عند الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>

الفهرس..... ٢٩٥

- الأول: إعلانه أمر سفارته عن الإمام المهدي عليه السلام للأمة ١٢٣
- الثاني: إقامة الدلائل والبراهين على صدقه ١٢٤
- الثالث: إثبات جدارته في أمر السفارة ١٢٤
- الرابع: نفوذه على أقرانه في العلوم ١٢٥
- الخامس: حلُّ مشاكل الأمة وقضاء حوائج أصحابه ١٢٥
- السادس: المساهمة في إخفاء الإمام المهدي عليه السلام ١٢٥
- السابع: قبض الأموال والأنفال والزكوات من أربابها وصرفها في المشاريع بأمر الإمام المهدي عليه السلام ١٢٥
- الثامن: تنصيب الوكلاء من قبله بأمر الإمام المهدي عليه السلام ١٢٥
- أمّا أسرته ١٢٦
- المبحث الثاني: محمد بن عثمان العمري والأوضاع السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة فترة سفارته ١٢٨
- أولاً: مطاردة قواعد الإمام المهدي عليه السلام وملاحقة أصحابه ١٢٨
- ثانياً: صعوبة تلك الفترة، والسريّة التامة ١٣٠
- ثالثاً: ظهور المدّعين للسفارة كذباً عن الإمام المهدي عليه السلام ١٣١
- رابعاً: قساوة الحُكّام فترة سفارة العمري ١٣١
- خامساً: انتقال الخلافة العباسيّة من سامراء إلى بغداد ١٣٣
- سادساً: الأفول التدريجي للخلافة، والفوضى في البلاد ١٣٣
- سابعاً: نهاية ثورة صاحب الزنج ١٣٤
- ثامناً: نهاية الدولة الطولونيّة ١٣٥
- تاسعاً: ظهور مهدي جديد في أفريقيا ١٣٥
- عاشراً: ظهور القرامطة ١٣٦

٢٩٦ سفراء المهدي <small>عليه السلام</small> بين الحقائق والأوهام
المبحث الثالث: محمد بن عثمان العمري ومدعو السفارة الكاذبة	١٣٧.....
أولاً: أبو محمد الشريعي	١٣٨.....
ثانياً: محمد بن نصير النميري	١٣٨.....
ثالثاً: أحمد بن هلال	١٤٠.....
رابعاً: أبو طاهر البلالي	١٤٢.....
خامساً: البغدادي	١٤٤.....
سادساً: الباقراني	١٤٦.....
سابعاً: إسحاق الأحمر	١٤٧.....
ثامناً: أبو دلف الكاتب	١٤٧.....
المبحث الرابع: التراث الذي خلفه محمد بن عثمان بن سعيد العمري للأئمة	الإسلامية.....
١٤٩.....	١٤٩.....
ما تركه من روايات وأحاديث عن الأئمة وكُتُب ومؤلفات	١٤٩.....
وأما رواياته وأحاديثه عن الأئمة <small>عليهم السلام</small>	١٥٠.....
وأما أدعيته عن الأئمة <small>عليهم السلام</small>	١٥١.....
أما تراثه فيما خرج من توقيعات	١٥٧.....
التوقيع الأول: النهي عن ذكر اسم الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> وحكمة النهي	١٥٨.....
عن ذلك	١٥٨.....
التوقيع الثاني: مسألة كلامية، وهي تفويض الخلق والرزق	١٥٨.....
التوقيع الثالث: متى يظهر المهدي <small>عليه السلام</small> ؟	١٥٩.....
التوقيع الرابع: الموسوعة الفقهية للإمام المهدي <small>عليه السلام</small>	١٥٩.....
التوقيع الخامس: معجزات المهدي <small>عليه السلام</small>	١٥٩.....
التوقيع السادس: فضيحة المنحرفين، وأجوبة عامة في الفقه	١٦٠.....
والسياسة	١٦٠.....

الفهرس.....	٢٩٧
التوقيع السابع: فائدة الغيبة وعلتها.....	١٦١
التوقيع الثامن: في طلب العافية.....	١٦٢
المبحث الخامس: المعجزات التي ظهرت من الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> على يدي	
محمد بن عثمان بن سعيد العمري.....	١٦٣
أولاً: الإخبار عن أمور غيبية مدهشة.....	١٦٤
ثانياً: معاجز متتابعة.....	١٦٥
ثالثاً: الأموال الناقصة.....	١٦٦
رابعاً: قصة الدينوري وما فيها من الأعاجيب.....	١٦٦
خامساً: قصة صاحب الشهباء.....	١٦٧
المبحث السادس: وفاة محمد بن عثمان العمري.....	١٦٩
الباب الثالث: السفير الثالث للإمام المهدي <small>عليه السلام</small> الحسين بن روح	
النوبختي <small>رحمته الله</small>	١٧٥
المبحث الأول: الحسين بن روح النوبختي في الميزان.....	١٧٧
أما منزلته في الأمة.....	١٨٥
أما عند محمد بن عثمان العمري.....	١٨٨
أولاً: أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي.....	١٨٩
ثانياً: جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه.....	١٩١
ثالثاً: الحسين بن روح النوبختي.....	١٩٢
أولاً: تربيته منه واختصاصه به.....	١٩٣
ثانياً: توثيقه وأمر الأمة بمراجعته.....	١٩٤
ثالثاً: التصريح بسفارته وكونها بأمر المهدي <small>عليه السلام</small>	١٩٥
أما منزلته من الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>	١٩٥

٢٩٨ سفراء المهدي ﷺ بين الحقائق والأوهام

- أولاً: تكامل الشخصية والإخلاص ١٩٦
- ثانياً: غلق الشُّبُهات أمام المشكِّكين والمرجفين ١٩٦
- المبحث الثاني: التحرُّك الثقافي والسياسي لابن روح النوبختي وأسباب
اعتقاله ١٩٩
- أولاً: دمج الأُمَّة بمذاهبها ومعتقداتها ٢٠٠
- ثانياً: إفحام من ادَّعى السفارة الكاذبة عن الإمام المهدي ﷺ ٢٠٠
- أمَّا تحرُّكه السياسي ٢٠١
- أولاً: خلافة المقتدر العباسي ٢٠١
- أ - الضعف الإداري ٢٠٢
- ب - النقمة العسكرية وتدهور الجيش ٢٠٢
- ج - استنزاف بيت المال وفقدان الرقابة ٢٠٢
- د - الاستهتار بالقيم والمبادئ ٢٠٣
- ثانياً: الخليفة القاهر بالله ٢٠٣
- أ - قبح السريرة والتظاهر بالمحرَّمات ٢٠٣
- ب - إشاعة الإرهاب والاستهانة بالنفوس ٢٠٣
- ج - تناصر الطوائف الإسلامية ٢٠٤
- د - استنزاف الطاقة وحروب القرامطة ٢٠٥
- هـ - المهرج والمرج وتدهور الأوضاع السياسيَّة ٢٠٦
- أولاً: علومه وسعة اطلاعه ٢٠٧
- ثانياً: أسلوبه ومنهجِيَّته المتكاملة في العمل ٢٠٧
- ثالثاً: القرابة التي كانت بينه وبين آل نوبخت ٢٠٧
- أولاً: اتِّهامه في دسائس القرامطة ٢١٠

الفهرس.....	٢٩٩
ثانياً: اتِّهامه بكثرة الديون ومطالبات الدولة.....	٢١١
ثالثاً: كثرة أنصاره وأتباعه.....	٢١٢
رابعاً: اعتقاله بسبب ما يصله من أموال.....	٢١٣
ثالثاً: خلافة الراضي بالله.....	٢١٤
المبحث الثالث: الحسين بن روح النوبختي ومدَّعو السفارة الكاذبة عن الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>	٢١٥
أولاً: الحلاج.....	٢١٦
ثانياً: الشلمغاني.....	٢٢٢
المبحث الرابع: التراث الذي خلفه الحسين بن روح النوبختي للأمة الإسلامية.....	٢٣٥
ما تركه من روايات وأحاديث وكُتُب.....	٢٣٥
وأما تراثه في الأدعية.....	٢٣٦
أولاً: الأدعية الرجبية.....	٢٣٧
ثانياً: الزيارة الرجبية.....	٢٣٧
ثالثاً: دعاء وصلاة يوم المبعث.....	٢٣٧
رابعاً: التوسُّل بالإمام الحسين <small>عليه السلام</small>	٢٣٧
خامساً: زيارة آل ياسين.....	٢٣٨
سادساً: زيارة للصادق <small>عليه السلام</small>	٢٣٨
أما تراثه من التوقيعات التي خرجت على يديه من الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>	٢٣٨
التوقيع الأوَّل: في أهل قم.....	٢٣٨
التوقيع الثاني: أسئلة الحميري.....	٢٣٩
التوقيع الثالث: أسئلة في الحجِّ.....	٢٣٩

٣٠٠	سفر المهدي <small>عليه السلام</small> بين الحقائق والأوهام
٢٤٠	التوقيع الرابع: الأسئلة الفقهية المتنوعة
٢٤٠	التوقيع الخامس: إنزال العقوبة في بعض المشعوذين
٢٤٢	المبحث الخامس: معجزات الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> على يدي الحسين بن روح النوبختي
٢٤٢	أولاً: القرامطة والأسرار الغيبية
٢٤٢	ثانياً: ولادة الصدوق <small>عليه السلام</small> بدعاء المهدي <small>عليه السلام</small>
٢٤٤	ثالثاً: رسالة تُكتب بلا مداد
٢٤٥	المبحث السادس: وفاة الحسين بن روح النوبختي
٢٤٩	الباب الرابع: السفير الرابع للإمام المهدي <small>عليه السلام</small> علي بن محمد السمري <small>عليه السلام</small>
٢٥١	المبحث الأول: علي بن محمد السمري في الميزان
٢٥٨	المبحث الثاني: التحركات السياسية والفكرية والاجتماعية للسمري
٢٥٨	في خدمة الراضي بالله والمتقي
٢٥٨	أ - بغداد، والفوضى
٢٥٨	ب - المنازعات الدينية والطائفية ونشاط القرامطة
٢٥٩	ج - الضعف الإداري، وتوقف الفتوحات
٢٥٩	د - الغارات والتقسيمات الطائفية
٢٦٠	هـ - شهوات الخليفة، واستهتاره بالمبادئ
٢٦٠	و - الطبقة البرجوازية، والأوضاع الاقتصادية المتردية
٢٦٠	ز - الانقلابات العسكرية المتوالية، وحالات الوزارة
٢٦١	ح - إمرة الأمراء، والملوك المير وفنجيين
٢٦١	ط - الجيش والبنية الدفاعية
٢٦٣	المبحث الثالث: معجزات الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> على يدي السمري <small>عليه السلام</small>

٣٠١	الفهرس
٢٦٤	إخباره بوفاة الصدوق <small>عليه السلام</small> قبل وقوعها
٢٦٦	المبحث الرابع: وفاة علي بن محمد السمرى <small>عليه السلام</small>
	المبحث الخامس: دراسة ونقد لتوقيع الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> للسمرى بانتهاء
٢٧١	الغيبة الصغرى
٢٧٢	أمّا الكلام في المقام الأوّل
٢٧٥	أمّا الكلام في المقام الثاني
٢٧٧	المصادر والمراجع
٢٩١	الفهرس

* * *